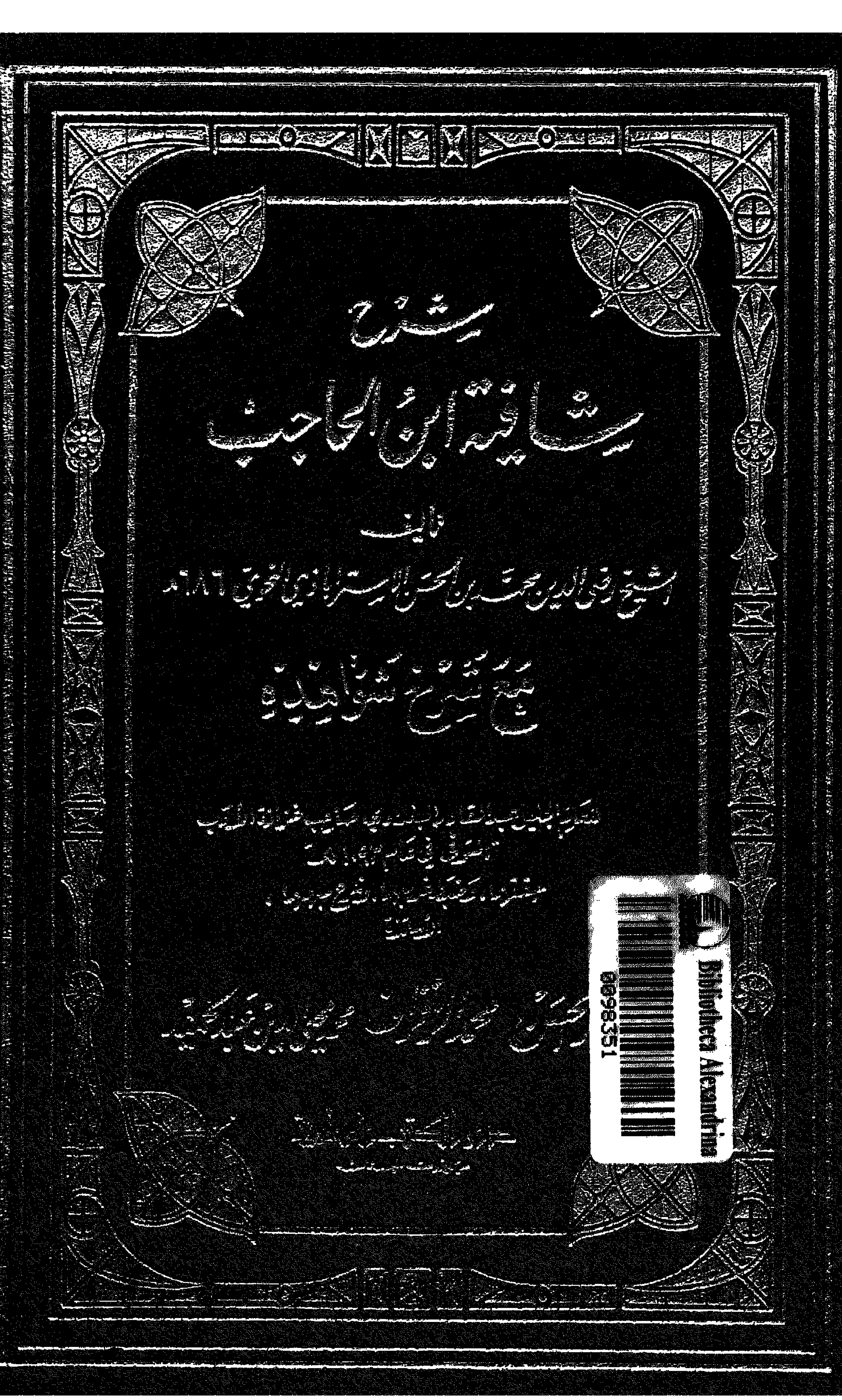

شرح
شافية ابن الحاجب
تأليف
الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي ٦٨٦ هـ
مع شرح شواهده
Bibliotheca Alexandrina
0098351







شرح
شافية ابن الحاجب

تأليف

الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي

مع شرح شواهده

للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب
المتوفى في عام ١٠٩٣ من الهجرة

حققهما ، وضبط غريبهما ، وشرح مبهمهما ، الأساتذة

محمد نور الحسن
المدرس في تخصص
كلية اللغة العربية

محمد الزفزاف
المدرس في كلية
اللغة العربية

محمد محيي الدين عبد الحميد
المدرس في تخصص
كلية اللغة العربية

القسم الثاني

وهو خاص بشرح الشواهد

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه العَوْنُ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد أفضل المرسلين، وعلى آله وأصحابه الطاهرين، وسَلَّم تسليما كثيراً إلى يوم الدين

وبعد؛ فلما فَرَغْتُ بتوفيق الله من شرح شواهد الكافية لنجم الأئمة الشيخ الرَّضى الأستراباذى [1]، رحمه الله وتجاوز عنه، رأيت أن ألحق به شرح أبيات شواهد الشافية له أيضاً، وهى مائة وستة وتسعون بيتاً [2]؛ لكونهما ككتاب واحد مَتْناً وَشَرْحًا، فكذلك ينبغى أن يكون شرح أبياتهما

وأشار إلىَّ بعض الأفاضل بأن أضم إليها أبيات شرح المحقق العلامة أحمد ابن الحسن الجاربردى التى انفرد بها؛ لمسيس الحاجة إليها لكثرة تداولها تدريساً ومراجعة، حتى يعم النفع، وهى اثنان وخمسون بيتاً، فأجبته إلى ذلك

وشرعت مستعيناً بالله ذى الطَّوْل والإعانة، فى يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الآخرة من سنة تسع وسبعين وألف؛ أسأل الله إتمامه، والنفع به، آمين

---

(١) الأستراباذى: نسبة إلى مدينة أستراباذ، وهى بفتح الهمزة وسكون السين بعدها تاء مثناة مفتوحة وآخره ذال معجمة: بلدة كبيرة مشهورة من أعمال طبرستان بين سارية وجرجان

(٢) ترك المؤلف بعض الشواهد فلم يتكلم عليها؛ ولعل عذره فى ذلك اختلاف النسخ، وتجد ذلك موضحا تمام التوضيح فى حواشينا على شرح الشافية؛ فقد نبهنا هناك على الأبيات التى لم يشرحها، وذكرنا ما سقط منها من بعض نسخ الشرح

أبنية الاسم

أنشد الجار بردى (ص ١٩) [من الرجز]

١ — فَهُوَ ذَا ؛ فَقَدْ رَجَا النَّاسُ الْغِيَرْ
مِنْ أَمْرِهِمْ عَلَى يَدَيْكَ وَالثُّوَرْ (١)
مِنْ آلِ صَعْفُوقٍ وَأَتْبَاعٍ أُخَرْ الطَّامِعِينَ لاَ يُبَالُونَ الْغَمَرْ (٢)

بيان النادر والشاذ والضعيف

على أن صَعْفُوقاً على فَعْلُول بالفتح نادر ، وهو الذى قَلَّ وجوده وإن كان على القياس ، والشاذ : هو الذى على خلاف القياس ، وإن كان كثيراً ، والضعيف : هو الذى فى ثبوته كلام

قال الإمام أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقى فى كتاب المعربات : صعفوق اسم أعجمى ، وقد تكلمت به العرب ، يقال : بنو صعفوق خَوَلٌ باليمامة ، وقال العجاج :

* فهوذا لقد رجا الناس الغير *

إلى آخر الأبيات ، وقال يخاطب عمر بن عبيد الله بن معمر «هوذا» أى الأمر هو الذى ذكرته من مدحى لعمر ، و«الغير» : أى رجوا أن يتغير أمرهم من فساد إلى صلاح بامارتك ونظرك فى أمرهم وَدَفْعَ الخوارج عنهم ، والثور : جمع ثُؤْرَةٍ ، وهو الثأر ، أى أملوا أن تثأر بمن قتلت الخوارج من المسلمين انتهى ، ونقله الجار بردى

عمر بن عبيد الله

وعمر بن عبيد الله هذا كان عبد الملك بن مروان وَلاَّه حَرْبَ أبى فُدَيْكٍ الحرورى ، فأوقع به ، وأراد العجاج تحقير أمر الخوارج ، فوصفهم بأنهم سُوقَة

---

(١) فى ديوان العجاج (ص ١٦) * ها فهو ذا ، فقد رجا . . . * وفى اصول الكتاب * . . . . لقد رجا الناس . . . . *

(٢) فى شرح الجاربردى * الطاعمين ... * وفى أصول كتابنا * الطاعنين ... * وفى ديوان العجاج * من طامعين . . . . *

وعبيد ، وأتباع ، اجتمعوا إلى [أبي] فُديك ، وليسوا ممن يقاتل على حسب ويرجع إلى دين صحيح ومنصب ، والرواية هنا « فهوذا فقد رجا » بسكون هاء[١] فهو ، ومعناه خذ أبا فديك فهو هذا قد أمكنك ، والناس قد رجوا أن يغير الله هذه الحال على يديك ، ويثأر لهم من الخوارج ، والثؤرة بالهمز كغُرْفة ، وجمعها ثؤر كغُرَف ، بمعنى الثأر أيضا بالهمز ، ويسهل ، وهو الحقد ، يقال : ثأرت القتيل ، وثأرت به ، من باب نفع ؛ إذا قتلت قاتله ، وقد جمعها الشاعر فقال [من الطويل] :

طَلَبْتُ بِهِ ثَأْرِى فَأَدْرَكْتُ ثُؤْرَتِى   بَنِى عَامِرٍ هَلْ كُنْتُ فِى ثُؤْرَتِى نِكْسَا[٢]

والنكس — بالكسر — : الضعيف العاجز ، والغير — بكسر ففتح — اسم من قولك : غيرت الشيء تغييراً ، ويأتى جمع غِيَرَة أيضاً ، بمعنى الدية ، وليس هذا بمراد هنا ، يقال : غارنى الرجل يغيرنى : أى أعطانى الدية ، والاسم الغِيرَة بالكسر وجمعها غِيَر ، قال هُدْبَةُ بن الْخَشْرَم [من البسيط] :

لَنَجْدَعَنَّ بِأَيْدِينَا أُنُوفَكُمُ   بَنِي أُمَيَّةَ إِنْ لَمْ تَقْبَلُوا الْغِيَرَا

قال ابن السِّيد فى شرح أدب الكاتب : بنو صَعْفوق كانوا يخدمون السلطان باليمامة ، كان معاوية بن أبى سفيان قد صَيَّرَهُمْ بها ، وقال الأصمعى : صعفوق قرية باليمامة ، كان ينزلها خَوَلُ السلطان . وقال ابن الأعرابى : يقال هو صَعْفَقِيٌّ فيهم ، والصعافقة : قوم من بقايا الأمم الخالية باليمامة ضلت أنسابهم ، وقيل : هم الذين يشهدون الأسواق ولا بضائع لهم فيشترون ويبيعون ويأخذون الأرباح ، انتهى *

---

(١) أى على حذف حرفين من أول البيت ، وهو محتمل عند بعض العروضيين ، ومجازه عندهم أنه حذف الثانى الساكن ، ثم خرم بحذف الحرف الاول ، ومنع ذلك الخليل

(٢) فى اللسان (مادة ث أ ر) * شفيت به نفسى . . . . بنى مالك . . . * وفيه أيضا * قتلت به ثأرى . . . . * على أن الثأر هو الرجل المطلوب بدم حميمك

وفى العباب قال الليث : الصعافقه خَوَلٌ لبنى مروان أنزلهم اليمامة [1] ، ومروان بن أبى حَفْصَةَ منهم ، ولا يجىء فى الكلام فَعْلول إلا صعفوق ، والصعافقة قوم يشهدون السوق للتجارة وليس لهم رءوس أموال ، فاذا اشترى التجار شيئا دخلوا معهم ، الواحد منهم صَعْفَقى وصَعْفَق ، وجمعهم صعافقة وصعافيق . قال : والصُّعْفوق : اللئيم من الرجال ، وهم الصعافقة ، كان آباؤهم عبيداً فاستعربوا ، قال العجاج :

* من الصَّعافيق وأتباع أخر *

[و]قال أعرابى : ما هؤلاء الصعافقة حَوْلَكَ ؟ ويقال : هم بالحجاز مسكنهم ، وهم رُذَالَةُ الناس ، انتهى ما قاله الليث ، وقال غيره : صَعْفوق : قرية باليمامة قد شُقَّ فيها قناة يجرى منها نهر كبير ، و بعضهم يقول صَعْفوقة بالهاء ، وصعفوق لا ينصرف للعجمة والمعرفة ووزنه نادر ، انتهى كلام العباب .

المعرب من الأعجمى

واعلم أن العرب إذا عربت كلمة أعجمية لا تلتزم إلحاقها بأوزانهم ، بل قد تلحقها وهو الأكثر ، وقد تتركها على حالها فلا تلحقها ، قال سيبويه فى الاسم المعرب من العجم ، وهم ما عدا العرب : ربما ألحقوه بأبنية كلامهم ، وربما لم يلحقوه ، وذكر مما ألحق بأبنيتهم قولهم درهم بَهْرج ، وما لم يلحق نحو آجُرّ وفرِند و إبريسم ، وتحقيقه أن تلك الكلمة المعربة لا تخلو من أن تكون مغيرة بنوع تصرف من تبديل وتغيير حركة ، أولا تكون مغيرة أصلا ، وعلى كل من التقديرين لا تخلو من أن تكون ملحقة بأبنيتهم ، أولا ، فالأقسام أربعة : أحدها ما لم تتغير ولم تكن ملحقة كخراسان ؛ وثانيها ما لم تتغير ولكن كانت ملحقة كَخُرَّم ؛ وثالثها ما تغيرت ولكن لم تكن ملحقة بها كآجُرّ ؛ ورابعها ما تغيرت وكانت ملحقة بها كدِرْهَم ، وَصَعْفوق من القسم الثالث ، وليست بكلمة فارسية إذ الصاد والقاف مهجوران فى لغة الفرس ، إلا إن كانا فى كلمة دخيلة فى لغتهم .

وفى قوله « من آل صعفوق » إشكال من جهة إضافة « آل » فانهم قالوا :

---

(١) سبق قريبا عن ابن السيد أن الذى أنزلهم اليمامة معاوية

إنها لاتضاف إلا لمن له شرف وخطر ، وصمفوق قد عرفت حاله ، ولا يرد هذا عَلَى الرواية الأخرى ، وهى * من الصعافيق وأتباع أخر *

أبوفديك الخارجى

وأبو فديك المذكور بضم الفاء وفتح الدال ، وهو أبو فديك عبد الله بن ثور من بنى قيس بن ثعلبة الخارجى ، كان أولا من أتباع نافع بن الأزرق رئيس الخوارج ، ثم صار أميراً عليهم فى مدة ابن الزبير ، وكان الخوارج متغلبين عَلَى البحرين وما والاها ، فلما كانت سنة اثنتين وسبعين من الهجرة بعث خالد بن عبد الله أمير البصرة أخاه أمية بن عبد الله فى جند كثيف على أبى فديك إلى البحرين ، فهزمه أبو فديك ، فكتب إلى عبد الملك بن مروان بذلك ، فأمر عبد الملك عمر بن عبيد الله ابن معمر أن يندب الناس مع أهل الكوفة والبصرة ويسير إلى قتاله ، فانتدب معه عشرةُ آلاف ، وسار بهم حتى انتهوا إلى البحرين ، فالتقوا ، واصطفوا للقتال ، فحمل أبو فديك وأصحابه حَمْلة رجل واحد فكشفوا الميسرة ، ثم رجع أهل الميسرة وقاتلوا واشتد قتالهم حتى دخلوا عسكر الخوارج ، وحمل أهل الميمنة حتى استباحوا عسكر الخوارج ، وقتلوا أبافديك وستة آلاف من أصحابه ، وأسروا ثمانمائة ، وذلك فى سنة ثلاث وسبعين من الهجرة ، كذا فى تاريخ النويرى

العجاج

والعجاج : شاعر راجز إسلامى قد ترجمناه فى الشاهد الواحد والعشرين من شواهد شرح الكافية

***

وأنشد الشارح ، وهو الشاهد الثانى ، للحماسى [من البسيط] (١) :

٢ — نَحْوَ الْأُمَيْلِحِ مِنْ سَمْنَانَ مُبْتَكِراً
بِفِتْيَةٍ فِيهِمِ الْمَرَّارُ وَالْحَكَمُ

على أنه لا دليل فى منع صرف سَمْنَان فيه على كونه فَعْلَان ؛ لجواز كونه فعلالا ، وامتناع صرفه لكونه علم أرض ، وفيه رد على الجاربردى فى زعمه أن

(١) فى نسخة : وأنشد الشارح وهو للحماسى الشاهد الثانى .

منع الصرف للتعريف والزيادة ؛ وإنما يدل على كونه فعلان ما سيجيء من أن التضعيف فى الرباعى والخماسى لا يكون إلا زائداً ، إلا أن يُفْصَل أحد المثلين بحرف أصلى كزلزال .

كتاب الحماسة

والحماسى : منسوب إلى كتاب الحماسة ، وهو مجموعة أشعار من شعر الجاهلية والاسلام انتقاها واختارها أبو تمّام حبيب بن أوس الطائى الشاعر المشهور ، وقد وقع الاجماع من النقاد على أنه لم يتفق فى اختيار المقطعات أنْقَى[1] مما جمعه أبو تمام فى كتاب الحماسة ، ولا فى اختيار المقصّدات أوفى مما دوّنه المفضل فى المفضليات ، وقد رتب أبو تمام ما اختاره على ثمانية أبواب : أولها باب الحماسة ، وآخرها باب الملح ، وقد اشتهر تسميته بالجزء الأول منه ، والحماسة : الشجاعة ، وقد جرت عادة المصنفين إذا استشهدوا بشىء مما فيه أن يقولوا قال الحماسى ، ونحوه ، والمراد الشاعر المذكور فى كتابُ الحماسة ، تنويها برفعة ما فيه من الأشعار ؛ فإن جميع ما فيه مما يصح به الاستشهاد ، ولأنه قد يتعذر أو لا يحضر معرفه قائله فينسب إليه .

والبيت المذكور من قصيدة طويلة فى الحماسة لزياد بن منقذ العدوى[2] التميمى ، ولم يقل غير هذه القصيدة ، ولم يقل أحد مثلها فى جودة جميع أبياتها ، وكان قد نزل بصنعاء [اليمن] فاجتواها ولم توافقه فَذَمَّهَا فى هذه القصيدة ، ومدح بلاده وأهله ، وذكر اشتياقهُ إلى قومه وأهله وإلى وطنه ببطن الرُّمَّةِ[3] وهو واد بنجد ، وقبل البيت :

---

(١) فى نسخة « أبقى » ولها وجه

(٢) فى شرح الحماسة (ج ٣ ص ١٨٠) أنه زياد بن حمل بن سعد بن عميرة بن حريث ، ويقال زياد بن منقذ

(٣) الرمة : بضم الراء ، والميم مفتوحة مشددة أو مخففة ، وهو قاع عظيم بنجد تنصب فيه أودية ؛ قاله فى القاموس

يَالَيْتَ شِعْرِى مَتَى أَغْدُو تُعَارِضُنِي   جَرْدَاءسَابِحَةٌ أَوْسَابِحٌ قُدُمُ(١)

تمنى أن يكون فى بلاده راكبا ذاهبا إلى الأُمَيْلح مع أخويه وأصحابه ، وَالْجَرْدَاء : الفرس القصيرة الشعر ، وقصر الشعر فى الخيل محمود ؛ لأنه إنما يكون فى كرائمها ، والفرس السابحة : اللينة الجرى لاتتعب راكبها كأنها تسبح فى سيرها وجريها ، وَالْقُدُم ــ بضمتى القاف والدال ــ بمعنى المتقدم يوصف به المذكر والمؤنث . ومعارضة الخيل : أن تخرج عن جادّة الطريق فتذهب فى عرضها لنشاطها ، وقوله « نَحْوَ الأمَيْلِحِ الخ » نحو بمعنى جهة وجانب ، وهو ظرف متعلق بأغدو ، والأُميلح على وزن مصغر الأملح . قال ياقوت فى معجم البلدان وتبعه الصاغانى فى العباب : هو ماء لبنى ربيعة الجوع (٢) ، وأنشدا هذين البيتين لزياد بن منقذ المذكور ، وقالا : [و] المرّار والحكم أخواه(٣) وَسَمْنَان من ديار الشاعر بنجد ، وقال الشراح : هو ماء لبنى ربيعة ، وليس كما قالوا ، بل الماء هو الأُمَيْلح ، وفى القاموس : سَمْنَان بالفتح موضع ، وبالكسر بلد ، وبالضم جبل ، وليست هذه الكلمة في الصحاح ، وقال أبو عبيد البكرى فى معجم ما استعجم : سَمْنَان كسكران مدينة بين الرى ونيسابور ، وسُمْنان بالضم جبل فى ديار بنى أسد ، وقال أبو حاتم : فى ديار بنى تميم ، انتهى . وهذا الضبط مخالف لشراح الحماسة فإنهم ضبطوه بالفتح كما هنا ، ومُبْتكراً : حال من فاعل أغدو : أى ذاهبا فى بُكرة النهار ، وهى أوله ، وصلته محذوفة : أى نحو

---

(١) فى الحماسة * بل ليت شعرى . . . * ومثله فى معجم البلدان لياقوت (مادة أميلح) ، وفيهما * نحو الأميلح أو سمنان *

(٢) ربيعة الجوع بالاضافة : من تميم ، وفى تميم ربيعتان : إحداهما هذه وهى الكبرى ، وأبوها ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، والثانية ربيعة الصغرى (ويقال الوسطى) . وأبوها ربيعة بن حنظلة بن مالك

(٣) فى شرح الحماسة عن الأصمعى أن المرار أخو الشاعر والحكم ابن عمه

الأميلح ، ويجوز أن يكون من « ابتكرت إلى الشيء » أى أسرعت إليه ، كما يقال : بَكَّرْت إليه تبكيراً ، وبَكَرْت إليه بُكورا ، من باب قعد ، والباء فى قوله « بفتية » بمعنى [مع] متعلقة بتبكرا . والفتية : جمع فتىّ ، على وزن غَنِىّ ، وهو الشاب القوى ، كصبية جمع صبىّ وعِلْية جمع على ، ويجوز أن يكون جمع فَتًى كعصاً ، وهو الشاب ، والمَرّار بفتح الميم وتشديد الراء ، والحَكَم بفتحتين . و « من سمنان » حال من الأميلح ، وقد نسب جماعة هذه القصيدة إلى المرّار ، وهذا البيت يَرُدُّ عليهم ، وبطن الرمة قال أبو العلاء المعرى : يروى بتشديد الميم وتخفيفها ، وهو واد بنجد ، وقال ياقوت : الرمة بالتخفيف ذكره أبو منصور فى باب ورم وخففه ولم يذكر التشديد ، وقال : بطن الرمة واد معروف بعالية نجد وقال السكونى : هو منزل لأهل البصرة إذا أرادوا المدينة ، بها يجتمع أهل الكوفة والبصرة ، وقد أطال الكلام عليه وأطاب

زياد ابن منقذ وزياد بن منقذ شاعر إسلامى من معاصرى الفرزدق وجرير ، وقد ترجمناه مع أخيه المرار ، وشرحنا أبياتا من هذه القصيدة فى الشاهد التاسع والسبعين بعد الثلاثمائة من شواهد شرح الكافية

***

وأنشد بعده وهو الشاهد الثالث [من الطويل] :

٣ — جَرِىءٍ مَتَى يُظْلَمْ يُعَاقِبْ بِظُلْمِهِ
سَرِيعًا ، وَإِنْ لَايُبْدَ بِالظُّلْمِ يَظْلِمِ

على أن « يُبْدَ » أصله يبدأ بالهمز ، فقلبت الهمزة ألفا لانفتاح ما قبلها ، ثم حذفت للجازم ، وهو إن ، قال أبو جعفر النحوى فى شرح معلقة زهير بن أبى سُلْمى ونقله الخطيب التبريزى فى شرحه : قوله « وإن لا يبد بالظلم » الأصل فيه الهمزة ، من بدأ يبدأ ، إلا أنه لما اضطر أبدل من الهمزة ألفا ، ثم حذفت[1] الألف للجزم

(١) فى شرح القصائد العشر للتبريزى (ص ١١٨) الذى نقل المؤلف عنه « ثم حذف الألف »

وهذا من أقبح الضرورات ، وحكى [عن] سيبويه أن أبا زيد قال له : من العرب من يقول قرَيتُ فى قرأتُ ، فقال سيبويه : فكيف أقول فى المستقبل؟ قال : تقول أقرا ، فقال سيبويه : كان يجب أن تقول أقْرِى ، حتى يكون مثل رميت أرمى ، وإنما أنكر سيبويه هذا لأنه إنما يجىء فَعَلْتُ أَفْعَلُ إذا كانت لام الفعل أوعينه من حروف الحلق ، ولا يكاد يكون هذا فى الألف ، إلا أنهم قد حكوا أبى يأبى ، فجاء على فَعَلَ يَفعَل؛ قال أبو إسحق [قال إسماعيل بن إسحاق][1] إنما جاء هذا فى الألف لمضارعتها حروف الحلق ، فشبهت بالهمزة ، يعنى فشبهت بقولهم قرأ يقرأ انتهى

و «جرىء» بالجر صفة لأسد فى بيت[2] قبله ، المراد به حُصَيْن بن ضَمْضَم ، ويجوز رفعه ونصبه على القطع ، و «يُظْلَمْ» و «يُبْدَ» كلاهما بالبناء للمفعول ، «ويعاقِب» و «يظلم» كلاهما بالبناء للفاعل ، والجرىء: ذو الجراءة والشجاعة ، يقول: هو شجاع متى ظُلم عاقب الظالم بظلمه سريعا ، وإن لم يظلمه أحد ظلم الناس إظهاراً لعزة نفسه وجراءته ، وسريعاً حال أو صفة مصدر : أى يعاقب عقابا سريعاً

وهذا البيت من معلقة زهير المذكور ، وقد شرح ماقبله ومابعده وسبب نظمها فى الشاهد السادس والخمسين بعد المائة ، وفى الشاهد الثانى بعد الخمسمائة

وزهير شاعر جاهلى ، تقدمت ترجمته فى الشاهد الثامن [والثلاثين بعد المائة] من شرح شواهد شرح الكافية

---

(١) سقطت هذه العبارة من أصول الكتاب عامة ، وهى ثابتة فى شرح القصائد العشر للتبريزى ، وفى شرح أبى جعفر « قال أبو إسحاق قال إسماعيل بن إسحاق قاضى بغداد »

(٢) هذا البيت هو قوله : —

لدى أسد شاكى السلاح مقذف   له لبد أظفاره لم تقلم

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الرابع من [الطويل]

٤ — رَأَيْتُ الْوَلِيدَ بْنَ الْيَزِيدِ مُبَارَكاً
شَدِيداً بِأَعْبَاءِ الْخِلَافَةِ كَاهِلُهْ

على أن دخول اللام فى الدُّئل علما منقولا من فعل مبنى للمفعول ، كدخولها على يزيد من قوله « الوليد بن اليزيد » وقد تكلم الشارح المحقق على لام اليزيد فى باب المنادى وفى باب العلم من شرح الكافية

والبيت من قصيدة لابن مَيَّادة مدح بها الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان الأموى

وترجمة ابن ميادة تقدمت فى الشاهد التاسع عشر من أوائل شرح أبيات شرح الكافية

وأعباء : جمع عبء كالحمل وزنا ومعنى ، والكاهل : مابين الكتفين

وتقدم شرحه مفصلا فى الشاهد التاسع عشر من شرح الكافية

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الخامس [من المنسرح] :

٥ — جَاءُوا بِجَيْشٍ لَوْ قِيسَ مُعْرَسُهُ
مَا كَانَ إِلاَّ كَمُعْرَسِ الدُّئِلِ

على أن الدُّئل فيه اسم جنس لدويبة شبيهة بابن عُرْس ، قال الصاغانى فى العباب : دَأَل يَدْأَل دَأْلاً وَدَأَلاناً ودَأَلَى : أي ختل ، قال :

* وَأَنا أَمْشِي الدَّأَلَى حَوَالَكا (١) *

(١) هذا بيت من الرجز ذكر فى اللسان أن سيبويه أنشده فيما تضعه العرب على ألسنة البهائم لضب يخاطب ابنه ، وقبل هذا البيت : —

* أَهَدَمُوا بَيْتَكَ لاَأَبَالَكَا *

وقال أبو زيد : هى مشية شبيهة بالخَتْلِ ومشى المثقل . وذكر الأصمعى فى صفة مشى الخيل الدألان مشى يقارب فيه الخطو ويُبْطَأ (١) فيه كأنه مثقل ، والدئل : دويبة شبيهة بابن عرس ، قال كعب بن مالك الأنصارى رضى الله تعالى عنه فى جيش أبى سفيان الذين وردوا المدينة فى غزوة السويق وأحرقوا النخيل ثم انصرفوا [من المنسرح] :

جَاءوا بجَيْشٍ لوقيس مُعْرَسُهُ ما كان إلا كمعرس الدُّئلِ

عَارٍ مِنَ النَّسْلِ والثَّرَاءِ وَمِنْ أبْطَالِ أهْلِ البَطْحَاءِ وَالأسَلِ

قال ثعلب : لا نعلم اسما جاء على فُعِل غير هذا ، قال الأخفش : وإلى المسمى بهذا الاسم نسب أبو الأسود الدؤلى إلا أنهم فتحوا الهمزة فى النسبة استثقالا لتوالى كسرتين مع ياءى النسب ، كما ينسب إلى نَمِرٍ نَمَرِىّ ، وربما قالوا أبو الأسود الدُّولى ، بلا همز ؛ قلبوا الهمزة واوا لأن الهمزة إذا انفتحت وكانت قبلها ضمة فتخفيفها أن تقلبها واوا محضة ، كما قالوا فى مؤن مون ، انتهى .

غزوة السويق

وإنما قيل لها غزوة السويق لأن أبا سفيان قبل إسلامه رضى الله عنه لما غزا المدينة فى مائتى راكب بعد غزوة بدر فَحَرَّقَ بعض نخل المدينة وقتل قوما من الأنصار خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبه حتى بلغ موضعاً يقال له قَرْقَرة الكُدْرِ ففرّ أبو سفيان ، وجعل أصحابه يُلْقُونَ مَزَاوِد السويق يتخفّفون للفرار ، فسميت غزوة السويق

وقوله « لو قيس مُعْرَسُه » هو من القياس والتخمين ، والمُعْرَس — بضم الميم وفتح الراء — مكان النزول من آخر الليل ، والأشهر فيه مُعَرَّس — بتشديد الراء

---

(١) كذا فى أصول الكتاب ، والذى فى الصحاح واللسان عن الأصمعى « ويبغى فيه » وباقى العبارة كما هنا بنصها ، وفى عبارة ابن برى تفسير ذلك حيث قال : « والدألان بالدال مشى الذى كأنه يبغى فى مشيه من النشاط » اهـ

المفتوحة — يقال : عرّس تعريسا ، إذا نزل آخر الليل ،
وصف جيش أبى سفيان بالقلة والحقارة ، يقول : لو قُدِّرَ مكانهم عند تعريسهم كان كمكان هذه الدابة عند تعريسها .
والنسل : الولد ، والثراء : الكثرة ، وأهل البطحاء : قريش، وهم الذين ينزلون الشعب بين جبلى مكة ، وهم قريش البطاح ، وقريش الظواهر : الذين ينزلون خارج الشّعب ، وقريش البطاح أكرم من قريش الظواهر ، والأسل : الرماح
وكان أبو سفيان نذر بعد بدر أن لا يمس رأسه ماء حتى يغزو محمداً صلى الله عليه وسلم ، قال صاحب الأغانى : قال أبو سفيان وهو يتجهز من مكة المكرمة خارجا إلى المدينة المنورة أبياتا من شعر يحرض فيها قريشا [من المنسرح] :

كِرُّوا عَلَى يثربٍ وَجَمْعِهِمُ فانّ ما جَمَّعُوا لَكُمْ نَفَلُ
إنْ يَكُ يومُ القليب كان لهم فان ما بعده لكم دُوَلُ
آليتُ لا أقرب النساء ولا يَمَسُّ رأسي وجلدىَ الْغُسُلُ
حتّي تُبيرُوا قبَائل الأوسْ والْ خزرج إنَّ الفؤاد مُشْتَعلُ

فأجابه كعب بن مالك رضى الله عنه [من المنسرح] :

يالَهْفَ أم المستمحّين على جيش بن حرب بالْحَرّة الْفَشِلِ
جاءُوا بجَيْشٍ لوقيس مُعرَّسُه ما كان إلاّ كمُعْرَس الدُّئل
عارٍ من النصر والثراء ومن أبطال أهل النكاء والأَسَلِ

والنكاء : بمعنى النكاية
وكعب بن مالك الأنصارى شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد السادس والستين من شواهد [شرح] الكافية .

***

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس [من الطويل] :

٦ — وَحُبٌّ بِهَا مَقْتُولَةً حين يُقْتَلُ

على أن فَعُل الذى فيه معنى التعجب يقال [فيه] فُعْل كما هنا ، فان حُبّ بضم الحاء أصلها حَبَب بفتح العين ثم حُوّل فتح عينه إلى الضم للمدح والتعجب ، فصار حَبُبَ ، ثم نقلنا ضمة العين إلى الفاء بعد حذف حركتها فصار حُبَّ ، بضم الحاء ، ويجوز حذف ضمة العين دون نقلها فيصير حَبَّ بفتح الحاء ، والباء فى « بها » زائدة ، والضمير فاعل حب ، وهو راجع إلى الخمر ، و « مقتولة » حال منه ، والقتل : مزج الخمر بالماء حتى تذهب حدّتها ، فكأنها قتلت بالماء ، وهذا عجز ، وصدره :

* فقلت أُقتلوها عنكُمُ بمزاجها *

وهو من أبيات فى وصف الخمر من قصيدة للأخطل النصرانى ، وتقدم الكلام عليها مفصلا فى الشاهد الواحد والسبعين بعد السبعمائة من شواهد [شرح] الكافية .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع ، وهو من شواهد سيبويه [من الرجز]

٧ — لَوْعُصْرَ مِنْهَا الْمِسْكُ وَالْبَانُ انْعَصَرْ

على أنه سكن عين الفعل فى الفعل المبنى للمجهول كراهة لتوالى الثقيلين فى الثلاثى الخفيف ، وكذا قول القَطَامى [من الوافر]

أَلم يُخْزِ التَّفَرُّقُ جندَ كسرى وَنُفْخُوا فِى مَدَائِنِهِمْ فَطَارُوا

قال سيبويه فى باب مايسكن تخفيفا وهو فى الأصل عندهم متحرك : وذلك قولهم فى فَخِذ فَخْذ ، وفى كَبِدٍ كَبْد ، وفى عَضُد عَضْد ، وفى كَرُم كَرْم ، وفى عَلِمَ عَلْمَ ، وهى لغة بنى بكر بن وائل وأناس كثير من بنى تميم ، وقالوا فى مَثَلٍ : لم يُحْرَمْ من فُصْدَ له ، وقال أبو النجم :

* لَوْ عُصْرَ منها المسك والبانُ انْعَصَرْ *

يريد عُصِر

وإنما حملهم على هذا أنهم كرهوا أن يرفعوا ألسنتهم عن المفتوح إلى المكسور والمفتوح أخف عليهم فكرهوا أن ينتقلوا من الأخف إلى الأثقل ، وكرهوا فى فى عُصِرَ الكسرة بعد الضمة كما يكرهون الواو مع الياء فى مواضع ، ومع هذا إنه بناء ليس من كلامهم إلا فى هذا الموضع من الفعل ، فكرهوا أن يحولوا ألسنتهم إلى الاستثقال ، انتهى كلامه

وقال الأعلم فى شرح شواهده : الشاهد فى تسكين الثانى من عُصِر طلبا للاستخفاف ، وهى لغة فاشية فى تغلب بن وائل ، وأبو النجم من عجل ، وهم من بكر بن وائل ، واستعمل لغتهم ، ووصف شعرا يُتَعَهّد بالبان والمسك ويكثر فيه منهما حتى لو عصرا منه لسالا ، انتهى

وبهذا يعلم أن فى نسبة هذه التفريعات إلى تميم فقط تقصيرا من الشارح المحقق ، رحمه الله

وقوله « إن أبا النجم تميمى» لا أصل له ، فانه من بكر بن وائل ؛ فان أبا النجم شاعر إسلامى ، واسمه الفضل بن قدامة بن عبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن عبدة بن الياس بن العوف بن ربيعة بن عجل بن لجيم بن صعب بن على بن بكر ابن وائل ، وقد ترجمناه فى الشاهد السابع من شواهد شرح الكافية ، وهذا البيت من رجز له يصف فيه امرأة بكثرة الطيب ، وقبله :

كأَنَّمَا فِي نَشْرِهَا إذا نَشَر فَغْمَةَ رَوْضَاتٍ تَرَدَّيْن الزَّهَرْ
هَيَّجَهَا نَضحٌ من الطَّلِّ سَحَرْ وَهَزَّتِ الرِّيحُ النَّدَى حَتَّى قَطَرْ
لَوْ عُصْرَ مِنْهَا الْبَانُ والْمِسْكُ انْعَصَرْ

النشر : الرائحة الطيبة ، و « نَشَرَ » بمعنى انتشر ، والفغمة بفتح الفاء وسكون الغين المعجمة بعدها ميم : الرائحة التى تملأ الأنوف ، ولا تكون إلا من الطيب ، يقال منه : فغمتنى رائحة الطيب ، إذا سدت خياشيمك ، شبه رائحة المرأة الطيبة برائحة

الروضات ، وجملة « تردين الزهر » صفة لروضـات : أى ابسن النَّوْر كالرداء ، وعنده يكون كال طيب الروضات ، والروضة : الموضع المعجب بالزهور ، قيل : سميت بذلك لاستراضة المياه السائلة إليها : أى لسكونها بها ، والزهر بفتح الهـاء وسكونها : النَّوْر ، قالوا : ولا يسمى النور زهرا حتى يستقيم و يتفتح ، وقال ابن قتيبة : حتى يصفر ، وقبل التفتـح هو بُرْعوم ، وأزهر النبات : أخرج زهره ، و « هيجها » الضمير للروضات بتقدير مضاف : أى هيج رائحتها ، يقـال : هاج الشيء يهيج هيَاجاباالـكسروهَيَجَانا : ثار ، وهجته ، يتعدى ولا يتعدى ، وهَيَّجته بالتشديد مبالغة ، وهذا من تمام وصف الروضات ، فانه يزداد طيبها بما ذكره ، و « نضح » فاعل هيجها ، والنضح بالحاء المهملة : الرش ، والطل : المطر الضعيف ، وسحر : منصوب على الظرفية ، وسكن على لغة ر بيعة ، وهزت : حركت ، وقوله « لو عصر منها » الضمير للمرأة التى تغزّل فيها ، وقال الجـواليقى فى شرح أدب الـكاتب : قيل : بل الضمـير فى منها يعود إلى الروضة ، أى المسك ينعصر من الروضة ، هذا ما نقله ، وهُوَ بعيد ، وروى «لو عُصِرَ منه» بتذكير الضمير ، كما رواه سيبو يه ، فالضمير راجع إلى الفرع المذكور قَبْلُ فى قوله :

بَيْضَاء لاَ يَشْبَعُ مِنْهَا مَنْ نَظَرْ   خَوْدٌ يُغَطِّى الْفَرْعُ مِنْهَا الْمُؤْتَزَرْ

والخَوْد بفتح الخاء المعجمة : الجارية الناعمة ، والجمع خود بالضم ، والفرع بفتح الفاء وآخره عين مهملة : شعر الرأس بتمامه ، والمؤتزر : محل الإزار ، وهو الـكفل حيث يُعقد الإزار ، وقوله «البان» نائب الفاعل لعصر على تقـدير مضاف : أى دهن البان ، وقوله «والمسك» الواو بمعنى أو ، ولهذا قال «انعصر» بالافراد ، ولم يقل انعصرا ، بضمير التثنية ، ورواه ابن جنى فى المنصف وهو شرح تصريف المازنى :

* لَوْ عُصْرَ منها البانُ يَوْمًا لانعصر *

وعلى هذه الرواية لا إشـكال فيه ، والمسـك : معروف ، معرب مُشْك بالفارسية ، بضم الميم وسكون الشين المعجمة ، وانعصر : سال وجرى بالانعصار

***

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن [من الطويل]

٨ — وَمَا كُلُّ مُبْتَاعٍ وَلَوْ سَلْفَ صَفْقُهُ
بِرَاجِعِ مَافَدْ فَاتَهُ بِرِدَادِ

على أن أصله سَلَفَ بفتح اللام ، وتسكينُ العين المفتوحة شاذ ضرورة ، قال سيبويه فى ذلك الباب : وأما ماتوالت فيه الفتحتان فإنهم لا يسكنون منه ، لأن الفتح أخف عليهم من الضم والكسر ، كما أن الألف أخف من الواو والياء ، وذلك نحو جَمَل وحَمَل ونحو ذلك ، انتهى

وقد أورده ابن عصفور فى كتاب الضرائر ، فقال : فأما نقص الحركة فمنه حذفهم الفتحة من عين فعَلَ مبالغة فى التخفيف ، نحو قول الراجز [من الرجز]

على محالات عُكِسْنَ عَكْسَا إذا تسداها طلابا غَلْسَا

يريد غَلَسَا ، وقول الآخر [من الطويل]

* وما كل مغبون ولو سَلْفَ صَفْقُهُ *

يريد سَلَفَ ، وقول الآخر [من الطويل]

وَقَالُوا تُرَابِىٌّ فَقُلْتُ صَدَقْتُمُ أَبِى مِنْ تُرَابٍ خَلْقَهُ اللهُ آدَمُ

يريد خَلَقَه الله ، وقول أبى خراش [من الطويل]

ولحم امرئٍ لم تطعم الطير مثْلَهُ عَشِيَّةَ أَمْسَى لاَ يُبِينُ مِنَ الْبَكْمِ

يريد من الْبَكَمْ ، انتهى

وقد تكلف له ابن جنى فى شرح تصريف المازنى فقال : هذا من الشاذ عند أصحابنا ، ويحتمل عندى وجها [آخر] (١) وهو أن يكون مخففا من فَعِلَ مكسور العين ، ولكنه فعل غير مستعمل ، إلا أنه فى تقدير الاستعمال و إن لم ينطق به ، كما أن قولهم تفرقوا عَبَادِيد وشماطيط كأنهم قد نطقوا فيه بالواحد من [هذين] (٢) الجمعين

(١و٢) الزيادة من شرح تصريف المازنى لابن جنى الذى نقل عنه المؤلف (ورقة رقم ٢٠ من نسخة خطية)

وإن لم يكن مستعملا فى اللفظ ، وكأنهم استغنوا بسَلَف هذا المفتوح عن ذلك المكسور أن ينطقوا به غير مسكن ، وإذا كانوا قد جاءوا بجموع لم ينطقوا لها بآحاد مع أن الجمع لا يكون إلا عن واحد ، فأنْ يُستغنى [بفَعِل] عن فَعَل من لفظه ومعناه وليس بينهما إلا فتحة عين هذا وكسرة عين ذلك أجدر ، وأرى أنهم استغنوا بالمفتوح عن المكسور لخفة الفتحة ، فهذا ما يحتمله القياس ، وهو أحسن من أن تحمل الكلمة على الشذوذ ماوجدت لها ضربا من القياس (١) فإن قلت : فإنا لم نسمعهم يقولون يَسْلَف بفتح اللام فما تنكر أن يكون هذا يدل على أنهم لا يريدون سَلِفَ على وجه ، إذ لو كان مرادا عندهم لقالوا فى مضارعه يَسْلَف ، كما أن من يقول قد عَلْم فيسكن عين الفعل لا يقول فى مضارعه إلا يَعْلم فالجواب أنهم [لمَّا] لم ينطقوا بالمكسور على وجه واستغنوا عنه بالمفتوح صار عندهم كالمرفوض الذى لا أصل له ، وأجمعوا على مضارع المفتوح (٢) ؛ هذا كلامه

والبيت من قصيدة للأخطل النصرانى ، وعدتها ستة عشر بيتاً ، وهذا أولها ، ويليه :

أتَغْضَبُ قيسٌ أن هَجَوْتُ ابن مِسْمَعٍ ... وماقطعوا بالعِزِّ بَاطِنَ وادى
وكنا إذا احْمَرَّ القَنَا عند مَعْرَك ... نرى الأرض أحلى من ظهور جياد
كما ازدحمت شُرْفٌ نِهَالٌ لمورد ... أبت لا تَنَاهَي دونه لذياد
وقد ناشَدَتْهُ طَلَّة الشيخ بعد ما ... مضت حقبةٌ لا ينثنى لنشاد

---

(١) الذى فى شرح تصريف المازنى لابن جنى : « وهو أحسن من أن تحمل الكلمة على الشذوذ مرة ماقد وجدت له ضربا من القياس » ولعل مافى الأصل كتابنا أحسن

(٢) فى الأصول التى بأيدينا « وأجمعوا على المضارع المفتوح » وهو خطأ والصواب ما أثبتناه نقلا عن شرح تصريف المازنى وذلك لأنهم إنما قالوا يسلف كيضرب وهذا مضارع الماضى المفتوح العين ، وليس هو المضارع المفتوح

رأت بارقاتٍ بالأكُفِّ كأنها مصابيحُ سُرْجٍ أُوقدت بمداد
وَطَلَّتُهُ تبكى وتضرب نَحْرَهَا وتحسب أن الموت كلَّ عتاد
وما كل مغبون ولو سَلْفَ صفقةً البيت

وقوله « أتغضب قيس » الخ ابن مسمع — بكسر الميم الأولى وفتح الثانية ، هو مالك بن مسمع بن شيبان بن شهاب أحد بنى قيس بن ثعلبة ، وقوله « وما قطعوا » وصفهم بالذل ، والواو ضمير قيس باعتبار الحى والقبيلة ، وقوله « وكنا إذا احمر القنا » أى بدم القتلى ، وصف قومه بزيادة الشجاعة فى أنهم يرغبون فى المجالدة بالسيوف وهم مشاة أكثر من التطاعن بالقنا على ظهور الخيل ، وقوله « كما ازدحمت شرف — الخ » يقول : نحن نقع على الموت ونزدحم عليه كما تزدحم الإبل العطاش على مورد ولا تنتهى عنه بطرد ، والشُّرْف بالضم : جمع شارف ، وهى الناقة المسنة ، والنهال : جمع ناهلة اسم فاعل من النَّهَل بفتحتين ، وهو العطش ، ويأتى بمعنى الرى أيضاً ، وليس بمراد هنا ، وذياد : مصدر ذاد الراعى إبله عن الماء يذودها ذوداً وذياداً ، إذا منعها ، وقوله « وقد ناشدته — الخ » أى تسأله وتقسم عليه ، والطلة بفتح الطاء المهملة : الزوجة ، والحِقْبة بكسر الحاء المهملة : المدة ، ولا ينثنى : لا ينزجر ، ونِشَاد : مصدر ناشده مناشدة ونشادا ، وقوله « رأت بارقات » أى رأت سيوفاً لامعة كالسرج التى أمدت بمداد من الدهن ، وقوله « وطلته تبكى » أى زوجته تبكى عليه ، والنحر : الصدر ، وهو فى الأصل موضع القلادة من الصدر ، وقوله « وتحسب أن الموت — الخ » قال جامع ديوانه السُّكرى : يقول : تحسب أن الموت بكل فج وطريق ، وكل ما هيأته لشىء وأعددته فهو عَتَاد بالفتح ، وقوله « وما كل مبتاع — الخ » المبتاع : المشترى ، ورواية السكرى وابن قتيبة فى فى أدب الكاتب « وما كل مغبون » من غَبَنَهُ فى البيع والشراء غَبْنًا —

من باب ضرب — مثل غلبه ، فانغبن ، وغبنه : أى نقصه ، وغُبِن بالبناء للمفعول فهو مغبون : أى منقوص فى الثمن أو غيره ، كذا فى المصباح ، وسَلَفَ بمعنى مضى ووجب ، والهاء فى « صفقه » ضمير المبتاع والمغبون ، قال السكرى : وصفقه إيجابه البيع ، والصفق : مصدر صفق البائع صَفْقًا ، إذا ضرب بيده على [يد] صاحبه عندالمبايعة بينهما ، وقوله «براجع ما قد فاته » رواه السكرى بالباء فتكون زائدة فى خبر ما النافية ، وراجع اسم فاعل مضاف إلى « ما » الواقعة على المبيع أو الثمن ، ورواه غيره « يراجع » بالمثناة التحتية على أنه مضارع من الرجوع[1] ، وما مفعوله ، وفاعله ضمير المغبون أو المبتاع ، وقوله « برداد » الباء للسببية متعلقة براجع أو بيراجع ، والرِّداد بكسر الراء مصدر رادَّ البائع صاحبه مرادة ورِدادا ، إذا فاسخه البيع

قال ابن السِّيد فى شرح أدب الكاتب : ذكر ابن قتيبة أن هذا البيت للأخطل ، ولم أجده فى ديوان شعره الذى رواه أبو على البغدادى ، ولعله قد وقع فى رواية أخرى ، انتهى

والأخطل شاعر نصرانى من بنى تغلب ، كان معاصراً للفرزدق وجرير ، وقد ترجمناه فى الشاهد الثانى والسبعين من أوائل شواهد شرح الكافية

***

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع [من الرجز]

٩ — فَبَاتَ مُنْتَصْبًا وَمَا تَكَرْدَسَا إذَا أَحَسَّ نَبْأَةً تَوَجَّسَا

على أن أصله مُنْتَصِبًا بكسر الصاد فسكنت ، وكذا قولهم « أراك مُنْتَفْخًا » أصله مُنْتَفِخًا بكسر الفاء ، وهو اسم فاعل من انتصب بمعنى قام ووقف ، وأورده الشارح المحقق فى باب الابتداء أيضاً ، وكذا أورده أبو على فى كتاب نقض الهاذور ، وابن جنى فى كتاب الخصائص ، قال : ومما أجرى

---

(١) الصواب « من المراجعة »

فيه بعض الحروف مجرى جميعه قوله : ـ

* فَبَاتَ مُنْتَصْبًا وَمَا تَكَرْدَسا *

فأجرى منتصبًا مجرى فَخْذٍ فأسكن ثانيه ، وعليه حكاية الكتاب أراكَ مُنْتَفْخًا انتهى

وتكردس : بمعنى انقبض واجتمع بعضه إلى بعض ، يريد ما سقط أعلاه إلى أسفله لأنه متوجّس خائف لا ينام

والبيت من رجز للعجاج (١) فى وصف ثور وحشى ، ورواه الصاغانى فى العباب : فبات منتصًّا ، بتشديد الصاد ، على أنه من المنصة : أى مرتفعاً ، قال فى مادته : وانتصت العروس على المنصة لتُرَى من بين النساء : أى ارتفعت ، عن الليث (٢) ، وأنشد هذا البيت ، وأورده فى باب كردس أيضا ، قال : التكردس : الانقباض واجتماع بعضه إلى بعض ، قال العجاج يصف ثوراً : —

* فَبَاتَ مُنْتَصًّا وما تكردسا *

والعجاج راجز إسلامى فى الدولة الأموية ، وقد ترجمناه فى الشاهد الواحد والعشرين من أوائل [شرح] أبيات شرح الكافية

***

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العاشر ، وهو من شواهد سيبويه [من الطويل]

١٠ — * وَذِى وَلَدٍ لَمْ يَلْدَهُ أَبَوَانِ *

على أن أصله « لم يلِدْه » بكسر اللام ، فسكنت وفتحت الدال ، قال (٣) سيبويه : ومما أشبه الأول فيما ليس على ثلاثة أحرف قولهم : أراكَ مُنْتَفْخًا ،

---

(١) هو فى الديوان ص ٣٢ ـ ورواه * فبات منتصا . . . . * كما ذكر المؤلف عن الصاغانى (٢) فى نسخة عن اللبس (٣) أنظر كتاب سيبويه (١ : ٣٤٠ و٢ : ٢٥٨)

تُسَكن الفاء ، تُرِيد منتفخاً ، فما بعد النون بمنزلة كَبِدٍ ، ومن ذلك قولهم انطَلْقَ فيفتحون (١) القاف لئلا يلتقي ساكنان ، كما فعلوا ذلك بأَيْنَ وأشباهها ، حدثنا بذلك الخليل عن العرب ، وأنشد [نا] بيتا وهو لرجل من أزد السراة

عجبت لمولود وليس له أبٌ ... وذى وَلَدٍ لم يَلْدَهُ أبوان

وسمعناه من العرب كما أنشده الخليل ؛ ففتحوا الدال كيلا يلتقي ساكنان ، وحيث أسكنوا موضع العين حركوا الدال ، انتهى

قال الأعلم (٢) : أراد يَلِدْهُ فسكن اللام المكسورة تخفيفا كقولهم فى عَلِمِ عَلْمِ فسكنت لامه قبل ساكن الجزم ، وتحركت الدال لالتقاء الساكنين بحركة أقرب المتحركات إليها ، وهى الفتحة ، إذ الياء مفتوحة ، وحمل الدال عليها غير معتد باللام (٣) الساكنة ، لأنها حاجز غير حصين

وقوله « عجبت لمولود ــ الخ » أراد بالمولود عيسى بن مريم عليهما السلام ، وأراد بذى ولد آدم عليه السلام ، وبعده :

وَذى شامَةٍ سَوْدَاء فِي حُرِّ وَجْهِهِ ... مُجَلَّلَةٍ لا تَنْقَضِي لِأَوَانِ

وَيَكْمُلُ فِي تِسْعٍ وَخَمْسٍ شَبابُهُ ... وَيَهْرَمُ فى سَبْعٍ مضت وَثَمانِ

وأراد من هذين البيتين القمر ، وقد شرحنا هذه الأبيات بأكثر مما هنا فى باب الترخيم من شرح شواهد شرح الكافية الماضى

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر [من الكامل]

---

(١) الذى فى سيبويه (ج ٢ ص ٢٥٨) : « بفتح القاف »

(٢) الموضع الذى ذكر الأعلم فيه هذا الكلام ليس هو الموضع الذى نبهنا عليه فى الكلمة السابقة ، وإنما ذكره فى (ج ١ ص ٣٤١) . وقد نقل المؤلف عبارة الأعلم بالمعنى على خلاف عادته فى النقل

(٣) كان فى أصول الكتاب « غير مقيد » والصحيح عن عبارة الأعلم

١١ — يَنْبَاعُ مِنْ ذِفْرَى غَضُوبٍ جَسْرَةٍ
زَيَّافَةٍ مِثْلِ الفَنِيقِ الْمُكْدَمَ

على أن أصله يَنْبَع ، وتولدت الألف من إشباع فتحة الباء ، وفاعل ينباع ضمير الرُّب ـ بضم الراء ـ وهو شبيه الدبس ، وهو فى بيت قبله (١) شبه العرق السائل من رأس هذه الناقة وعنقها برُبٍّ يترشح ، وعرق الابل أسود ، والذفرى بكسر الذال المعجمة والقصر : الموضع الذى يعرق من الإبل خلف الأذن ، والغضوب : الناقة الصعبة الشديدة ، شبهت بالغضوب من الإنسان ، والجسرة بفتح الجيم : الناقة الماضية فى سيرها ، وقيل : الضخمة القوية ، والزيافة : المتبخترة فى مشيها ، مبالغة زائفة ، من زاف زيفاً ـ بالزاى المعجمة ـ إذا تبختر فى مشيه ، والفنيق ، بفتح الفاء وكسر النون : الفحل المكرم الذى لا يؤذى ولا يركب لكرامته ، والمكدم : اسم مفعول قياسه أن يكون من أكدمه ، لكنهم لم ينقلوا إلا كَدَمه ثلاثيا من الباب الأول والثانى ، قالوا : الكدم العض بأدنى الفم كما يكدم الحمار ، وروى الْمُقْرَم بدله ، على وزنه ، وهو البعير الذى لا يحمل عليه ولا يذلل وإنما هو للفِحْلَة (٢) بكسر الفاء

(١) البيت المشار إليه هو قوله : —

وَكَأَنَّ رُبًّا أَوْ كُحَيْلاً مُعْقَدًا حَشَّ الْوَقُودُ بِهِ جَوَانِبَ قُمْقُمِ

والرب : ذكره المؤلف . والكحيل : القطران ، شبه عرق الناقة بالرب أو القطران ، والمعقد : الذى أوقد تحته حتى انعقد وغلظ ، والوقود ـ بفتح الواو ـ الحطب ، وارتفاعه لأنه فاعل حش ، وجوانب مفعوله ، ويجوز أن يكون حش لازما بمعنى احتش فالوقود فاعله وانتصاب « جوانب قمقم » على الظرفية ، والقمقم : كما فى اللسان ضرب من الآنية

(٢) يقال : بعير ذو فحلة بكسر فسكون ، إذا كان صالحا للافتحال : أى اتخاذه فحلا ، والفحلة التلقيح ، ويقال : إنه لبين الفحولة ـ بالضم ـ والفحالة والفحلة ـ بكسرها ـ بالمعنى السابق

وهذا البيت من معلقة عنترة ، وقد شرحناه بأوفى من هذا فى الشاهد الثانى عشر من أوائل شرح الكافية

***

وأنشد الجاربردى (1) بعده ، وهو الشاهد الثانى عشر [من الوافر]

١٢ — وَأَنْتَ مِنَ الغَوَائِلِ حَيْثُ تُرْمَى
وَمِنْ ذَمِّ الرِّجَالِ بِمُنْتَزَاحِ

على أن الألف تولَّدَتْ من إشباع فتحة ماقبلها

قال ابن جنى فى سر الصناعة : هكذا أنشدناه أبو على لابن هَرْمَةَ يرثى ابنه وقال : أراد بِمُنْتَزَحِ ، فأشبع فتحة الزاى ، انتهى

وقال الصاغانى فى العباب : وانتزح : ابتعد ، وأنت بمنتزح من كذا : أى ببعد منه ، قال إبراهيم بن على بن محمد بن سلمة بن عامر بن هرمة يمدح بعض القرشيين وكان قاضيا لجعفر بن سليمان بن على :

فأنت من الغوائل حيث تُنْمَى (2) ومن ذم الرجال بمنـــتزاح

إلا أنه أشبع فتحة الزاى فتولدت الألف ، هكذا أنشده بعض أهل اللغة ، وفى شعره « بِمُسْتَرَاح » فلاضرورة ، انتهى

والغوائل : جمع غائلة ، وهى الفساد والشر ، وقال الكسائى : الغوائل : الدواهى ، وتُرْمى بالبناء للمفعول مسند إلى ضمير الغوائل ، وكذا تنمى يقال : نمى الشىء ينمى ، من باب رمى ، نماء ، بالفتح والمد ، أى كثر ، وفى لغة ينمو نموا ، من باب قعد ، و يتعدى بالهمزة والتضعيف

وابن هرمة بفتح الهاء وسكون الراء المهملة بعدها ميم : شاعر من مخضرمى الدولتين ، وهو آخر من يستشهد بكلامه

(1) أنظر صفحة ٤١ من شرح الجاربردى على الشافيـة طبع الآستانة ، وفيها . . . . وعن ذم الرجال . . . . (2) فى نسخة «حين تنمى»

وقد ترجمناه فى الشاهد الثامن والستين من أوائل شواهد شرح الكافية

* * *

وأنشد الجاربردى [1] أيضا بعده ، وهو الشاهد الثالث عشر [من البسيط]

وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ
تَبْكِى عَلَيْكَ نُجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَا

على أن تبكى للمغالبة ، ونجومَ الليل مفعوله ، وهى المغلوبة بالبكاء ؛ فان الشمس غلبت النجوم بكثرة البكاء ، ثم حكى قولين آخرين : أحدهما نصب النجوم بكاسفة ، ثانيهما نصبها على المفعول معه ، بتقدير الواو التى بمعنى مع ، والوجه الأول نقله عن الجوهرى ، ولم يتعرض له ابن برى فى أماليه على صحاحه ولا الصفدى فى حاشيته ، وقال الصاغانى فى العباب : وكَسَفَت الشمس تكسِف كسوفا وَكَسَفَهَا الله ، يتعدى ولا يتعدى ، قال جرير يرثى عمر بن عبد العزيز :

فالشمس كاسفةٌ ، ليست بطالعة تبكى عليك نجومَ الليل والقمرا

هكذا الرواية : أى أن الشمس كاسفة تبكى عليك الدهر ، والنحاة يروونه مغيرا ، وهو * الشمس طالعة ليست بكاسفة * أى ليست تكسف ضوء النجوم مع طلوعها ؛ لقلة ضوئها و بكائها عليك ، انتهى

فكاسفة على روايته بمعنى منكسفة ، من الفعل اللازم ، وجملة « تبكى » خبر بعد خبر ، أو صفة لكاسفة ، وقوله «الدهر» أى : أبداً أشار به إلى أن نصب النجوم على الظرف كما يأتى بيانه ، وأشار إلى أن قوله ليست بطالعة بمعنى كاسفة ؛ إذ المراد من طلوعها إضاءتها ، فاذا ذهب نورها فكأنها غير طالعة

---

(١) أنظر صفحة ٤٢ من شرح الجاربردى على الشافية طبع الآستانة وفيها * فالشمس طالعة ليست بكاسفة * وكذا فى العقد الفريد (٢ : ٣٣٦ طبع بولاق) وفى الديوان (٣٠٤) * فالشمس كاسفة ليست بطالعة * وكذا فى القاموس مادة (ك س ف) وفى الصحاح مادة (ب ك ى) * الشمس طالعة ليست بكاسفة * وكذا فيه مادة (ك س ف)

وقد تبعه صاحب القاموس فرواه كروايته ، وقال : « أى كاسفة لموتك تبكي أبداً ، ووهم الجوهرى فغيَّر الرواية بقوله * فالشمس طالعة ليست بكاسفة * وتـكلف لمعناه » انتهى

وقوله «تـكلف لمعناه» يعنى أنه جعله من باب المغالبة ، وتغليط الجوهرى فى الرواية المذكورة غير جيد ، فإنهـا رواية البصْريين ، وما صححه تبعاً لصاحب العباب رواية الـكوفيين .

قال ابن خلف فى شرح شواهدسيبويه : اختلف الرواة فى هذا البيت ، فرواه البصريون * الشس طالعة ليست بكاسفة * ورواه الكوفيون * الشمس كاسفة ليست بطالعة * ورواه بعض الرواة بنصب النجوم ، وبعض آخر برفعها ، وقد اختلف أصحاب المعانى وأهل العلم من الرواة وذوو المعرفة بالاعراب من النحاة فى تفسير وجوه هذه الروايات وقياسها فى العربية ، ومن روى * الشمس طالعة ليست بكاسفة * فإنه استعظم أن تطلع ولا تنكسف مع المصاب به ، ومثل هذا قول الآخر [هو لليلى بنت طريف الخارجية ترثى أخاها الوليد] [من الطويل]

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَالَكَ مُورِقًا   كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفِ

ومعناه عند بعضهم تغلب ببكائها عليك نجوم الليل ، وفى هذا التأويل وجهان : أحدهما أن يراد بالنجوم والقمر حقيقتهما ادعاء ، ثانيهما أن يراد بهما سادات الناس والأماثل ، وقال آخرون : « نجوم » مفعول تبكى من غير اعتبار المغالبة ، والمعنى أن الشمس تبكى عليك مدة نجوم الليل والقمر ، فنصب على الظرف ، وحكى عن العرب لا أكلمك سَعْدَ العشيرة : أى زمانه ، وقال جماعة : إن نجوم الليل منصوبة بكاسفة ، والقمر معطوف عليها ، وهذا أشهر الأجوبة وأقربها مأخذا ، والمعنى أن الشمس لم تَقْوَ على كسف النجوم والقمر لاظلامها وكسوفها ، انتهى كلام ابن خلف

وممن رواه كذلك ابن عبد ربه فى العقد الفريد[1] ، وقال : يقول إن الشمس طالعة وليست بكاسفة نجومَ الليل لشدة الغم والكرب الذى فيه الناس

وكذا رواه الأخفش المجاشعى فى كتاب المعاياة ، وقال : أراد الشمس طالعة ولا ضوء لها ، فتُرَى مع طلوعها النجومُ بادية لم يكسفها ضوء الشمس ؛ فليست بكاسفة نُجُومَ الليل والقمر

وكذا رواه اللَّبَلِىُّ فى شرح فصيح ثعلب ، وقال : يعنى أن الشمس طالعة ليست مغطية نجوم الليل والقمر

وهؤلاء الثلاثة جعلوا نجوم الليل منصوبة بكاسفة

وكذا رواه السيد المرتضى[2] فى أماليه ونقل فى نصب النجوم ثلاثةأقوال : أولها نصبهما بكاسفة ، وقال : أراد أن الشمس طالعة وليست مع طلوعها كاسفةً نجوم الليل والقمر ؛ لأن عظم الرزء قد سلبها ضوءها ، فلم ينافِ طلوعُها ظهورَ الكواكب ، ثانيها : أن نصبها على الظرف ، قال : كأنه أخبر بأن الشمس تبكيه ماطلعت النجوم [وظهر القمر] [3] ثالثها : على المغالبة ، وهو أن يكون القمر والنجوم باكَيْنَ الشمس على هذا المرثى المفقود ، فبَكَتْهُنّ أى غلبتهن بالبكاء

وكذارواه المبرد فى[4] الكامل « الشمس طالعة » وقال : وأما قوله نجوم

---

(١) ذكره فى (ج ٢ ص ٣٣٦ طبع بولاق) مع البيتين السابقين عليه وسيذكرهما المؤلف ، وليس فى الموضع الذى أشرنا إليه من العقد الكلام الذى نقله عنه المؤلف فى شرح البيت

(٢) انظر أمالى المرتضى (ج ١ ص ٣٩)

(٣) الزيادة التى بين قوسين عن أمالى المرتضى فى الموضع المذكور

(٤) أنظر كامل المبرد (ج ١ ص ٤٠٢ طبع المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٨) تر أن جميع الزيادات الموجودة بين قوسين مثبتة فيها

الليل والقمرا ففيه أقاويل كلها جيد ؛ فمنها أن تنصب(١) نجوم الليل [والقمرا بقوله] بكاسفة ، يقول : الشمس طالعة ليست بكاسفة نجوم الليل والقمر ، وإنما تكسف النجوم [والقمر] بإفراط ضيائها ، فاذا كانت من الحزن عليه قد ذهب ضياؤها ظهرت الكواكب ، ويجوز أن يكون نجوم الليل والقمر أراد بهما الظرف ، يقول تبكى [الشمس] عليك مدة نجوم الليل والقمر كقولك تبكى عليك الدهر والشهر ، وتبكى عليك الليل والنهار يافتى ، ويكون(١) تبكى عليك [الشمس] النجوم كقولك: أبكيتُ زيدا على فلان، وقد قال فى هذا المعنى [أحد المحدثين شيئا مليحا وهو] أحمد أخو أشجع السلمى ، يقوله لنصر بن شبث العقيلى ، وكان أوقع بقوم من بنى تغلب بموضع يعرف بالسواجين [من الكامل] :

لله سَيفٌ فى يَدَىْ نَصْرِ ... فى حَدِّهِ مَاءُ الرَّدَى يَجْرِى

أَوْقَعَ نَصْرٌ بالسواجين مَا ... لم يُوقِعِ الجُحَّافُ بالبشر

أَبْكِى بنى بَكْرٍ عَلَى تَغْلبٍ ... وتغلباً أبكى عَلَى بَكْرِ

ويكون تَبْكِى عليك نجومُ الليل والقمرَ على أن تكون الواو فى معنى مع ، وإذا كانت كذلك فكأن قبل الاسم [الذى يليه أو بعده] فعل ، انتصب لأنه فى المعنى مفعول وصل إليه الفعل فنصبه ، ونظير ذلك استوى الماء والخشبة ؛ لأنك لم ترد استوى الماء واستوت الخشبة ولو أردت ذلك لم يكن إلا الرفع ، ولكن التقدير ساوى الماء الخشبة ، انتهى كلامه ، ولم يذكر معنى المغالبة فيه

قال ابن السيد فيما كتبه عليه : الوجه الأول [هو] أصح فى المعنى ، وهو أن ينصب نجوم الليل والقمر بكاسفة ، لأن فى هذا إخبارا بأن الشمس قد ذهب نورها

---

(١) فى الأصل « أن نصب » والتصحيح عن الكامل فى الموضع المذكور

(٢) هذا وجه آخر غير نصب نجوم الليل على الظرف ، ومفاده أن انتصابها على المفعولية

لفرط الحزن فلم تمنع الدرارىّ من النجوم أن تظهر ، وهذا هو الذى يذكره الشعراء عند تهويل الرزية بالمفقود ، انتهى

وطالعته فى نسختين صحيحتين جدا من الكامل مضبوطة بالرفع على الخبرية ، وجملة « ليست بكاسفة » صفة لطالعة ، وجملة « تبكى » خبر ثان

وزعم الفيومى فى المصباح [1] أن طالعة وتبكى حالان ؛ فانه قال : فى البيت تقديم وتأخير ، والتقدير الشمس فى حال طلوعها وبكائها عليك لبست تكسف النجوم والقمر لعدم ضوئها ؛ هذا كلامه

وقال ابن خلف : يجوز أن تكون جملة « تبكى » حالا إما من الشمس أو من التاء فى ليست [2] كأنه قال : ليست فى حال بكاء ، وقد تكون سادة مسدّ خبر ليس ، انتهى

والوجه الأول مأخوذ من كلام ابن السيد فى شرح أبيات المعانى ، وهو إنما يتمشى على مذهب سيبويه القائل بجواز مجىء الحال من المبتدأ ، والوجه الثانى فاسد ؛ لأن بكاءها بيان لكسفها النجوم ، والوجه الثالث خطأ معنى و إعرابا [3]

وقول المبرد « يجوز أن يكون أراد بهما الظرف » يريد أن الشاعر أقامهما مقام مصدر محذوف هو المراد به معنى الظرف ، فكأنه قال : دوام نجوم الليل والقمر : أى فى مدة دوامهما ، فحذف المضاف وأعرب المضاف إليه باعرابه ، ويكون

(١) أنظر مادة (ك س ف) من المصباح

(٢) العبارة غير صحيحة فنيا لأن التاء حرف دال على التأنيث فلا يجىء منه الحال ، وغرضه أن طالعة حال من الضمير المستتر فى ليس المدلول على تأنيثه بالتاء

(٣) أما فساده معنى فلأن حاصل تقدير الكلام : ليست الشمس موجودة فى حال بكاء عليك ، وهذا غير المراد ، وأما فساده من جهة الاعراب فلأن محل سد الحال مسد الخبر إذا كان المبتدأ مصدرا صريحا أو مؤولا أو كان اسم تفضيل مضافا إلى المصدر وليس هذا واحدا منها

مراده من النجوم الدهر ، ومن القمر الشهر

ويرد على هذا الوجه وعلى الأوجه الثلاثة الآتية وعلى وجه المغالبة أن كاسفة يكون من الفعل اللازم فلا يصح المعنى به لأنه حينئذ يكون نافيا للكسوف عن الشمس في ذاتها ، وإذا لم تنكسف الشمس في ذاتها فلا حزن لها على المذكور ، وهو ضد ما أراده الشارح ، وهذا لا يرد على الوجه الأول المتعدى ؛ فانه لم ينف عن الشمس الانكساف في ذاتها ، إنما نفى عنها أن تكسف غَيْرَهَا لذهاب نورها وانكسافها في ذاتها

ويجاب بمنع جعله من اللازم ؛ فيكون من المتعدى ، ويقدر له مفعول محذوف ، وتقديره ليست بكاسفة شيئاً ، فحذف للتعميم ، والمعنى يدل عليه ، كما تقول : زيد [غير] ضارب

وقول ابن السيد فيما كتبه على الكامل « إن قدر كاسفة بمعنى منكسفة صح الوجه الأول فقط » غير صحيح ؛ فتأمل ، ويريد بالوجه الأول النصب على الظرف ، وبما ذكرنا ظهر وجه رجحان نصب النجوم بكاسفة على غيره ، وهو منشأ من صَوَّبَ رواية والشمس كاسفة

وقول المبرد « ويكون تبكى عليك النجوم كقولك أبكيت زيدا على فلان » يريد أن تبْكى في البيت بضم [1] التاء مضارع أبكاه على فلان بمعنى جعله باكيا عليه

ويرد على هذا أيضا أن الإبكاء على الشيء كالبكاء عليه سببهما الحزن ، ونفى الكسوف مناقض لذلك ،

ويجاب بما ذكرنا

---

(١) ذلك لأن بكى المتعدى معناه فيما لو قلت بكيت زيداً أنك بكيت عليه فأما إن أردت معنى هيجت بكاءه على آخر فأنك تقول أبكيته ، والذى فى الكامل « بكيت زيداً على فلان » فالتاء مفتوحه لأنه مضارع الثلاثى

وقول المبرد « ويكون تبكى عليك نجوم الليل والقمرا على أن تكون الواو فى معنى مع » يريد رفع النجوم بتبكى والواو بعدها بمعنى مع ، ولم يذكر أبو حيان فى الارتشاف غير هذا الوجه فى البيت ، قال فيه : قال الأستاذ أبو على : إذا كان العطف نصا على معنى مع وكان حقيقة فى المعنى ضعف النصب ، كقولك: قام زيد وعمرو ، فهذا لايقال بالنصب إلا إن سمع ، ومنه : —

* تبكى عليك نجوم الليل والقمرا *

أى مع القمر ، انتهى

وقال ابن الملا فى شرح المغنى : وأما تجويز رفع النجوم على أنها فاعل تبكى ونصب القمر على أنه مفعول معه فانه وإن صح معناه لكنه يؤدى إلى عدم ارتباط المصراع الثانى بالأول ، وألا يكون للمصراع الأول معنى يناسب المقام إلا على رواية

* فالشمس كاسفة ليست بطالعة *

هذا كلامه ، وهو مختل من وجوه : الأول : كيف جاز له أن يقول « وإن صح معناه » مع قوله « لايكون للمصراع الأول معنى يناسب المقام » وهل هو إلا تناقض ؟ الثانى قوله « يؤدى إلى عدم ارتباط المصراع الثانى بالأول » لامانع منه ، فان جملته مستأنفة ؛ وكاسفة بمعنى منكسفة ، فيكون استعظاما لطلوع الشمس وعدم انكسافها مع عظم المصيبة ؛ فيكون أنكر طلوعها كذلك مع أن النجوم مع القمر تبكى عليه ؛ الثالث أن ماأورده على هذا الوجه وارد على وجه المغالبة ونصب النجوم على الظرف أيضا ، وقد ذكرها هو ولم يتنبه له ، الرابع : لاينحصر معنى المصراع الأول على رواية « فالشمس كاسفة » لما ذكرنا آنفا ، ولما قد منامن تقدير المفعول

ولم يذكر المبرد نصب النجوم « بتبكى » بفتح التاء لا على وجه المغالبة ولا على

غيرها ، وهما قولان آخران ، وقد نقلناهما ، ولم يذكر أيضا نصب النجوم على حذف واو المفعول معه ، وهو قول نقله ابن السيد فى شرح أبيات المعانى ، قال : «الرابع من الوجوه التى ذكرها النحاة فى نصب النجوم ، أن يكون أراد الواو التى فى معنى مع ، فكأنه قال : تبكى عليك ونجومَ الليل والقمر : أى مع نجوم الليل والقمر ، فيكون مفعولا معه ، وقد حذف الواو ، وهذا أبعدها» اهـ ، ووجه الأبعدية أن هذه الواو لم يثبت حذفها

ولا بأس بشرح أصل كاسفة بعد الفراغ من الإعراب ؛ قال الفيومى فى المصباح : كسفت الشمس من باب ضرب كسُوفا ، وكذلك القمر ، قاله ابن فارس والأزهرى ، وقال ابن القوطية أيضا : كسف القمر والشمس والوجه : تغير ، وكسفها الله كسفا ، من باب ضرب أيضا ، يتعدى ولا يتعدى ؛ والمصدر فارق ، ونقل «انكسف الشمس» فبعضهم يجعله مطاوعا ، مثل كسرته فانكسر ، وعليه حديث رواه أبو عبيد وغيره «انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم» وبعضهم يجعله غَلَطاً فيقول : كسفتها فكسفت هى لا غير ، وقيل : الكسوف ذهاب البعض والخسوف ذهاب الكل ، وقال أبو زيد : كَسَفت الشمس كُسُوفا اسودَّت بالنهار ، وكسفت الشمسُ النجومَ غلب ضوءها على النجوم فلم يبد منها شىء

والبيت من أبيات ثلاثة لجرير قالها لمَّا نُعِى إليه عمر بن عبد العزيز بن مروان رحمه الله تعالى ؛ وهى :

نَعَى النُّعَاةُ أمير المؤمنين لنا   ياخَيْرَ مَن حَجَّ بيت الله وَاعْتَمَرا (١)
حُمِّلْتَ أمرا عظيما فاضطلعت به   وقمتَ فيه بأمر الله يا عُمَرا
فالشمس طالعة ... البيت

---

(١) فى الديوان : تنعى النعاة ... * وفيه : فاصطبرت له ، وفى الكامل : حملت أمرا جسيما فاصطبرت له * وفيه : بحق الله ... *

فى المصباح : «نَعَيْتُ الميت نَعْياً ، من باب نفع ، أخبرت بموته ، فهو مَنْعِى ، واسم الفعل الْمَنْعَي وَالْمَنْعَاة ، بفتح الميم فيهما مع القصر ، والفاعل نَعِيٌّ على فَعِيل ، يقال : جاء نعيه أى ناعيه ، وهو الذى يخبر بموته ، ويكون النعىُّ خبرا أيضا » انتهى ، والنعاة : جمع ناع كقضاة جمع قاض ، وأراد بأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، ولى الخلافة بعهد من ابن عمه سليمان بن عبد الملك فى صفر سنة تسع وتسعين ، فقدمت إليه مراكب الخلافة فلم يركبها ، وركب فرس نفسه ، ومنع من سَبِّ على كرم الله وجهه آخر الخطبة ، وجعل مكانه (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) الآية [(١)] ، ومناقبه كثيرة ألف فيها جلداً حافلا الإمام ابن الجوزى ، ومات بدَيْرِ سِمْعَان سنة إحدى ومائة ، وقوله « يا خير من حج الخ » أى : فقلت يا خير الخ ، وقال ابن الملا : منصوب بتقدير قائلين ، وقوله « حُمِّلْتَ أمراً » هو بالبناء للمفعول وتشديد الميم ، والخطاب ، وأراد بالأمر العظيم الخلافة ، واضطلع بهذا الأمر : إذا قدر عليه كأنه قويت ضلوعه بحمله ، والألف فى «يا عمرا» ألف الندبة ، وبه استشهد ابن هشام فى المغنى وفى شرح الألفية [(٢)] ، قال المبرد فى الكامل : قوله «يا عمرا ندبة ، أراد يا عمراه ، وإنما الألف للندبة وحدها ، والهاء تزاد فى الوقف لخفاء الألف ، فاذا وصلت لم تزدها ، تقول : ياعُمَرَا ذا الفضل ، فاذا وقفت قلت : يا عمراه ، لحذف الهاء فى القافية لاستغنائه عنها » . اهـ

وجوز الأخفش المجاشعى فى كتاب المعاياة أن تكون الألف هى المبدلة من ياء المتكلم ، وأن يكون عمر منادى منكرا منصوبا وألفه بدل من نون التنوين ،

---

(١) ويقال : بل جعل مكان سب على قوله تعالى : (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ـــ الآية)

(٢) أنظر مغنى اللبيب (حرف الألف) وأنظر أوضح المسالك (٢ : ١٢٨)

وهذه عبارته : وإنما نصب أبو على يا عمراه أضافه إلى نفسه أو لم يضفه ، وجعله نكرة ، كما قال الآخر [وهو الأحوص] [من الوافر]

سَلاَمُ الله يامطراً عَلَيْهَا وليس عليك يامطر السلام

جعل مطرا نكرة فنصب ، وقال بعضهم : هو معرفة . ولكنه لما نونه قام التنوين مقام الاضافة فنصب كما ينصب المضاف ، انتهى كلامه . ونقل هذه الوجوه ابن السيِّد فيما كتبه على الكامل عن الفارسى ، قال : أجاز الفارسى فى « ياعمرا » أن يكون أضافهُ إلى نفسه كما قال [هو لأبى النجم] [من الرجز]

* يَاابْنَةَ عَمَّا لاَ تَلُومِى واهْجَعِى *

وأجاز أن يكون على معنى الندبة ، وأجاز أن يكون جعله نكرة ، كما قال

* سَلاَمُ الله يامطراً عليها *

قال : وقيل فى قوله « يامطرا » إنها معرفة ، ولكنه لما نَوَّنَهُ قام التنوين مقام الإضافة فنصبه كما ينصب المضاف ، وهو قول عيسى بن عمر ، انتهى

وقوله « فالشمس طالعة .. الخ » أورد المصراع الثانى صاحب الكشاف [١] فى سورة الدخان عند قصة مهلك قوم فرعون وتوريث نعمهم ، وهو قوله تعالى (كذلك وأورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض) قال : إذا مات رجل خطير قالت العرب فى تعظيم مهلكه : بكَتْ عليه السماء والأرض ، و بكته الريح . وأظلمت له الشمس ، وفى الحديث « ما من مؤمن مات فى غربة غابت فيها بَوَاكيه إلا بكته [٢] السماء والأرض » وقال جرير :

* تَبْكِى عَلَيْكَ نُجُومَ اللَّيلِ وَالقَمَرَا *

---

(١) أنظر تفسير الكشاف للزمخشرى (ج ٢ ص ٣١٤ بولاق سنة ١٢٨١)

(٢) الذى فى الكشاف «إلا بكت عليه السماء والأرض» وفيه بعد ذكر قول جرير ذكر بيت ليلى بنت طريف الخارجية الذى تقدم ذكره فى هذا الكتاب

وذلك على سبيل التمثيل والتخييل ، مبالغة فى وجوب الجزع والبكاء عليه ، وكذلك مايروى عن ابن عباس رضى الله عنهما من بكاء مُصَلَّى المؤمن وآثاره فى الأرض وَمَصَاعد عمله ومهابط رزقه فى السماء تمثيل ، وَنَفْى ذلك عنهم فى قوله تعالى (فما بكت عليهم السماء والأرض) فيه تهكم بهم و بحالهم المنافية لحال من يَعْظُم فقده فيقال فيه بكت عليه السماء والأرض ، وعن الحسن رحمه الله فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون ، بل كانوا بهلاكهم مسرورين ، يعنى فما بكى عليهم أهل السماء وأهل الأرض ، انتهى .

وهذا ملخص من [أوائل] أمالى الشريف المرتضى ، وفيها زيادة ، ونحن نلخص مافيها أيضاً ، قال [١] : فى الآية وجوه أربعة من التأويل ؛ أولها : أن المراد أهل السماء والأرض ، فحذف كقوله تعالى (واسأل القرية) ؛ ثانيها : أنه تعالى أراد المبالغة فى وصف القوم بصغر القدر وسقوط المنزلة ، لأن العرب إذا أخبرت عن عظم المصاب بالهالك قالت : كسفت الشمس لفقده ، وأظلم القمر ، و بكاه الليل والنهار والسماء والأرض ، يريدون بذلك المبالغة فى عظم الأمر وشمول ضرره ، قال جرير : الشمس طالعة — البيت ، وقال يزيد بن مُفَرّغ [من الكامل]

الرِّيحُ تبكى شَجْوَهَا وَالْبَرْقُ يَلْمَعُ فى الْغَمَامَهْ

وهذا صنيعهم فى وصف كل أمر جَلّ خَطْبُهُ وعظم موقعه ، فيصفون النهار بالظلام ، وأن الكواكب طلعت نهارا لفقد نور الشمس وضوئها ، قال النابغة [من البسيط]

تَبْدُو كواكبه والشَّمْسُ طالعة لا النور نور ولا الإظلام إظلام

ثالثها : أن يكون معنى الآية الإخبار عن أنه لاأحد أخذ بثأرهم ، ولا انتصر لهم ؛ لأن العرب كانت لاتبكى على القتيل إلا بعد الأخذ بثأره ، فكنى الله تعالى بهذا اللفظ عن فقد الانتصار والأخذ بالثأر ، على مذهب القوم الذين خوطبوا

---

(١) أنظر الأمالى (١ : ٣٨)

بالقرآن ؛ رابعها : أن يكون ذلك كناية عن أنه لم يكن لهم فى الأرض عمل صالح يُرْفَع إلى السماء ، ويطابقه ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية قيل له : أو تبكيان على أحد ؟ قال : نعم ، مُصلاّه في الأرض وَمَصْعَد عمله فى السماء ، وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « مامن مؤمن إلا وله باب يَصْعَدمنه عمله ، وباب ينزل منه رزقه ، فاذا مات بكيا عليه » ومعنى البكاء هنا الإخبار عن الاختلال بعده ، كما يقال : بكى منزل فلان بعده ، قال مُزَاحم [من الطويل]

بَـكَتْ دَارهُمْ من أجلهم فتهللت دموعى ، فأىّ الجازِعَيْنِ ألوم ؟

ويمكن فى الآية وجه خامس ، وهو أن يكون البكاء كناية عن المطر والسقيا ؛ لأن العرب تشبه المطر بالبكاء ، ويكون المعنى أن السماء لم تسق قبورهم ، ولم تَجُدْ على قبورهم ، على مذهب العرب ؛ لأنهم يستسقون السحاب لقبور من فَقَدُوه من أعزائهم ، ويستنبتون لمواقع حُفَرهم الزهر والرياض ، قال النابغة (١) [من الطويل]

فَلاَ زالَ قَبْرٌ بين تُبْنَي وَجاسِمٍ عَليه من الْوَسْمِيِّ طَلٌّ وَوَابِلُ
فَيُنْبِتَ حَوْذَانًا وَعَوْفًا مُنَوِّرا سأتبعه مِنْ خَيْرِ مَاقالَ قائل

وكانوا يجرون هذا الدعاء مجرى الاسترحام ومسألة الله لهم الرضوان ، والفعل

---

(١) البيتان للنابغة الذبيانى من قصيدة يرثى فيها النعمان بن الحرث بن أبى شمر الغسانى ، وأولها فى رواية الأصمعى

سَقَى الْغَيْثُ قَبْرًا بَيْنَ بُصْرَى وَجَاسِمٍ
بِغَيْثٍ مِنَ الْوَسْمِيِّ قَطْرٌ وَوَابِلُ

وتبنى ، وبصرى ، وجاسم : مواضع بالشام . والوسمى : أول المطر ، والطل : الخفيف منه ، والوابل : الكثير ، والحوذان ، والعوف : نبتان ، وأولهما أطيب رائحة

الذى أضيف إلى السماء وإن كان لاتجوز إضافته إلى الأرض فقد يصح بتقدير فعل ، فيكون المعنى أن السماء لم تسق قبورهم وأن الأرض لم تعشب عليها ، وكل هذا كناية عن حرمانهم رحمة الله ورضوانه ، انتهى .

وجرير شاعر إسلامى ، ترجمناه فى الشاهد الرابع من أوائل شرح الكافية

***

وأنشد بعده [من الطويل]

٦ — * وَحُبَّ بِهَا مَقْتُولَةً حِينَ تُقْتَلُ *

على أن أصل حُبَّ حَبِبَ بكسر العين ، ثم نقل إلى فَعُل بضم العين للمدح والتعجب ، ثم حذفت الضمة وأدغم ، فصار « حَبَّ » بفتح الحاء ، ويجوز نقل الضمة إليها كما تقدم

قال الصاغانى فى العباب : تقول : ما كنت حبيباً ولقد حَبِبْتَ بالكسر : أى صرت حبيبا ، قال الأصمعى : قولهم « حُبَّ بفلان إلىّ » معناه ماأحبه إلىّ ، وقال الفراء : معناه حَبُبَ بضم الباء ، ثم أسكنت وأدغمت فى الثانية ، انتهى وقال ابن مالك فى التسهيل : وقد يردُ حُبَّ بضم الحاء بنقل ضم العين إلى الفاء . قال : وكذا كل فعل حَلْقِي الفاء مراد به مدح أو تعجب : أى نحو حَسُن الرجل أدبا ، فتقول : حُسْنَ الرجل أدباً

ولم أعرف وجه تقييد الشارح المحقق حب المنقول إلى المدح بكونه من حَبِبَ بكسر العين ، مع أن أصل المنقول إلى المدح والذم يجوز أن يكون عينه مضموما أو مفتوحا أو مكسورا ، سواء كان من فعل لازم أو متعد ، وقد جاء حَبَّ متعديا من بابين ، فإنه يقال: حَبَبْتُهُ أَحِبُّهُ ، من باب ضرب ، والقياس أَحُبُّه بالضم ، لكنه غير مستعمل ، ويقال : حَبِبْتُهُ أَحَبُّه من باب تعب ، كما فى المصباح ، فيجوز نقل أحدهما إلى فَعُلَ بضم العين للمدح ، والباء فى « بها » زائدة ، والضمير فاعل حب ، وقد تقدم شرحه فى الشاهد السادس

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع عشر ،

١٤ — بُعْدَ مَا مُتَأَمَّلِي

وهو قطعة من بيت وهو [من الطويل]

قَعَدْتُ لَهُ وَصُحْبَتِي بَيْنَ ضَارِجٍ   وَبَيْنَ الْعُذَيْبِ بُعْدَمَا مُتَأَمَّلِي

على أنه يجوز على أحد التأويلين أن يكون أصله بَعُدَ بضم العين أصالة . ألحق بفعل المدح والتعجب ثم حذفت الضمة تخفيفا ، والتأويل الثانى فيه أن يكون سكون العين أصليا ، وتكون بَعْد ظرفا ، لافعل مدح وتعجب

قال الرياشى : بعد هنا روى بفتح الباء ، وبعد تحتمل معنيين : أحدهما أن المعنى بَعُدَ ، ثم حذفت الضمة ، ويجوز أن يكون المعنى بَعْدَ ماتأملت ، انتهى ؛ فما على هذا الوجه زائدة لاغير ، «ومتأمّلى» مضاف إليه بعد ، وعلى الوجه الأول يجوز أن تكون زائدة ، و« متأملى » فاعل بعد وهو مضاف إلى الياء ، والرفع فيه مقدر ، والمخصوص بالمدح محذوف ، ويجوز أن تكون اسما نكرة منصوبة المحل على التمييز للضمير المستتر فى بَعْدَ ، ومتأملى هو المخصوص بالمدح والتعجب ، فتكون « ما » فيه كما فى قوله تعالى (فَنِعِمَّاهِىَ) وعلى تقدير الفعلية قد روى بضم الباء وفتحها ، قال العسكرى فى كتاب التصحيف : رواه أبو إسحق الزيادى عن الأصمعى « بُعْدَ » مضمومة الباء ، ومعناه يابعد ماتأملت ، على التعجب ، أى تثبت فى النظر أين تسقى ، ورواه أبو حاتم بفتح الباء ، وقال : خَفَّفَ بَعُدَ فأسكن العين وبقيت الباء مفتوحة ، مثل كَرُمَ وكَرْمَ ، انتهى . وهذا يرد على ابن مالك ؛ فإنه نقل فيه ضمة العين إلى الفاء مع أنها ليست بحرف حلق ، وأما الشارح المحقق فانه لم يقيد فى شرح الكافية جواز نقل الضم بكون الفاء حرفا حلقيا ، بل أطلق ، ومثل بهذا البيت بعينه ، والبيت من معلقة امرىء القيس ، وقبله :

أَصَاحِ تَرَى بَرْقًا أُرِيكَ وَمِيضَهُ   كَلَمْعِ الْيَدَيْنِ فِى حَبِىٍّ مُكَلَّلِ

يُضِىءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيحُ رَاهِبٍ أَهَانَ السَّلِيطَ بِالذُّبَالِ الْمُفَتَّلِ

والهمزة للنداء ، وصاح مرخم صاحب ، وحذفت همزة الاستفهام بعده للضرورة ؛ والوميض : اللمعان ، واللمع : التحرك والتحريك جميعا ، والحبي بالحاء المهملة وكسر الموحدة : السحاب المتراكم ، سمى به لأنه حبا بعضه إلى بعض : أى تراكم وجعله مكللا لأنه صار كالإكليل لأسفله ، ومنه قولهم : كللت الرجل ، إذا توجته ، ويروى «مكلِّل» بكسر اللام اسم فاعل من كلَّل تكليلا ، إذا تبسم ، يقول لصاحبه : ياصاحبى هل ترى برقا أريك لمعانه فى سحاب متراكم صار أعلاه كالإكليل لأسفله أو فى سحاب متبسم بالبرق يشبه برقُه تحريك اليدين ، يريد يتحرك كتحرك اليدين ، وتقديره أريك وميضه فى حَبِىٍّ مكلل كلَمْع اليدين شبه لمعان البرق وتحركه بتحرك اليدين ، وقوله «يضىء سناه» السنا بالقصر : الضوء والسليط : الزيت ، وقيل : الشَّيْرَج ، والذبال : جمع ذبالة ، وهى الفتيلة ، ومعنى «أهان السليط» أنه لم يعزّه وأكثر الإيقاد به ، يقول : هذا البرق يتلألأ ضوءه فهو يشبه فى تحركه لمع اليدين أو مصابيح الرهبان التى أميلت فتائلها بصب الزيت عليها فى الإضاءة ، يريد أن تحركه يحكى تحرك اليدين ، وضوءه يحكى ضوء مصابيح الرهبان ، فمصابيح بالجر معطوف على لمع ، وقوله « قعدت له ـ الخ » ضارج والعُذَيب : مكانان ، يقول : قعدت لذلك البرق أنظر من أين يجيء بالمطر ، ثم تعجب من بُعد تأمله . وقال الزوزنى : قعدت للنظر إلى السحاب وأصحابى بين هذين الموضعين [وكنت معهم][1] فبعد متأملى وهو المنظور إليه : أى بعد السحاب الذى كنت أنظر إليه وأرقب مطره وأشيم برقه ، يريد أنه نظر إلى هذا السحاب من مكان بعيد فتعجب من بعد نظره . انتهى

وترجمة امرئ القيس تقدمت فى الشاهد التاسع والأربعين من شواهد شرح الكافية ، وتقدم شرح هذا البيت أيضا فى الشاهد السبعين بعد السبعمائة منه

(١) هذه العبارة ليست فى شرح الزوزنى

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس عشر ، وهو من شواهد سيبويه[1] [من الطويل]

١٥ — وَقَفْتُ عَلَى رَبْعٍ لِمَيَّةَ نَاقَتِي فَمَازِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَأُخَاطِبُهْ

وَأُسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أُبِثُّهُ تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُهْ

على أن « أُسقيه » بمعنى أدعو له بالسُّقْيا ، مضارع أسقاه

قال سيبويه[1] ، وقالوا : أسقيته فى معنى سَقَّيْتُه فدخلت على فَعَّلْت ، ثم أنشد البيتين ، قال أبو الحسن الأخفش فى شرح[2] نوادر أبى زيد : قالوا فى أسقاه الله : إنه فى معنى سقاه الله ، وأنشدوا قول لبيد [من الوافر]

سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ وَأَسْقَى نُمَيْرًا وَالْقَبَائِلَ مِنْ هِلَالِ

قال الأصمعى : هما يفترقان ، [وهذا الذى أذهب إليه][3] فمعنى سقيته أعطيته ماء لسَقيه ، ومعنى أسقيته جعلت جعلت له ماء يشرب به أوعرضته لذلك ، أو دعوت له ، كل هذا يحتمله هذا اللفظ ، وأنشد قول ذى الرمة :

* وقفت على ربع لمية ناقتى * البيتين

قوله « وأسقيه » أدعو له بالسقيا ، وهذا أشبه بكلام العرب ، وقال ابن الأعرابى : معناه أسقيه من دمعى ، وهذا غير بعيد من ذلك المعنى : أى أجعل له سُقيا من دمعى على سبيل الإغراق والإفراط ، كما قال [من الطويل] :

وَصَلْتُ دَمًا بِالدَّمْعِ حَتَّى كَأَنَّمَا يُذَابُ بِعَيْنِي لُؤْلُؤٌ وَعَقِيقُ

انتهى

---

(١) انظر كتاب سيبويه (ج ٢ ص ٢٣٥)

(٢) انظر نوادر أبى زيد (ص ٢١٣) ، وفيها فى بيت لبيد « بنى نجد » والذى فى الأصل كرواية الأعلم فى شرح شواهد سيبويه (ج ٢ ص ٢٣٥)

(٣) الزيادة عن شرح الأخفش لنوادر أبى زيد (ص ٢١٣)

وقال الأعلم : قوله «وأسقيه» معناه أدعو له بالسقيا ، يقال: سَقَيته ، إذا ناولته الشراب ، وأسقيته [إذا جعلت له سقيا يشرب منه ، وأَسْقَيْته وسَقَّيْته] [١] إذا قلت له سَقْيًالك ، وبعضهم يجيز سقيته وأسقيته بمعنى إذا ناولته ماء يشربه ، واحتج بقول الشاعر :

* سَقَى قومى بنى مجد ـ البيت *

والأصمعى ينكره ويتهم قائله [٢] ، انتهى .

وقوله « وقفت على ربع ـ الخ » هذا مطلع قصيدة طويلة لذى الرمة ، ووقفت الدابة وَقْفاً ووُقوفا : أى منعتها عن السير ، ووَقَفَتْ هى أيضا ، يتعدى ولا يتعدى ، ووقفت الدار وَقْفا : حبستها فى سبيل الله ، وأوقفت الدار والدابة بالألف لغة تميم ، وأنكرها الأصمعى ، وقال : الكلام وقفت بغير ألف . وحكى بعضهم مايمسك باليد يقال فيه أوقفته بالألف ، ومالا يمسك باليد يقال وقفته بغير ألف والفصيح وقفت بغير ألف فى جميع الباب ، إلا فى قولك : ما أوقفك هاهنا ، وأنت تريد أى شأن حملك على الوقوف ، فان سألت عن شخص قلت : من وَقَفَك ، بغير ألف ـ كذا فى المصباح ، وَالرَّبْع : الدار حيث كانت ، وأما المَرْبع فالمنزل فى الربيع خاصة ، ومَيَّة : اسم محبوبة ذى الرمة ، وقوله « وأسقيه » معطوف على أخاطبه ، « وأبثه » بفتح الهمزة وضمها ، يقال : بَثَثْتُه مافى نفسى وأبْثَثْتُه ، إذا أخبرته بما تنطوى عليه وتسره ، و «الملاعب» جمع مَلْعَب ، وهو الموضع الذى يلعب فيه الصبيان

وترجمة ذى الرمة تقدمت فى الشاهد الثامن من أول شرح الكافية

***

(١) الزيادة عن شرح شواهد سيبويه للأعلم (ج ٢ ص ٢٣٥)

(٢) فى الأعلم زيادة « لأنه لو كان عربيا مطبوعا لم يجمع بين لغتين لم يعتد إلا إحداهما »

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس عشر ، وهو من شواهد سيبويه [من البسيط]

١٦ — مَازِلْتُ أُفَتِّحُ أَبْوَابًا وَأُغْلِقُهَا   حَتَّى أَتَيْتُ أَبَا عَمْرِو بْنَ عَمَّارِ

على أن أفتح وأغلق فيه بمعنى أفتّح وأغلّق بالتشديد ، قال سيبويه فى باب افتراق فَعَلْت وأفعلت فى الفعل للمعنى ما نصه : « وقالوا أغلقت الباب وَغَلَّقْت الأبواب حين كثروا العمل [1] ، وإن قلت أغلقت الأبواب كان عربيا جيدا ، [و] [2] قال الفرزدق :

* مَازِلْتُ أُغْلِقُ أَبْوَابًا وَأَفْتَحُهَا * البيت

وقال أيضا فى الباب الذى يليه وهو باب دخول فَعَّلت على فَعَلْت ، الأول بالتشديد والثانى بالتخفيف « نحو كسرته وقطعته فاذا أردت كثرة العمل قلت كسّرته وقطّعته » إلى أن قال : « واعلم أن التخفيف فى هذا جائز كله [3] عربى ، إلا أن فعّلت إدخالها هنا لتبيين الكثير ، وقد يدخل فى هذا التخفيف ، قال الفرزدق

* مازلت أُفَتِّحُ أَبْوَابًا وَأُغْلِقُهَا * البيت

وَفَتَّحْت فى هذا أحسن ، وقد قال جل ذكره (جناتِ عدن مفتحةً لهم الأبواب) انتهى .

فظهر أن فى كليهما مبالغة ، لا فى أغلقها فقط ، ولهذا نبه عليهما الشارح المحقق

وقال الأعلم : « الشاهد فى جواز دخول أفعلت على فعّلت فيما يراد به التكثير ، يقال : فَتَحْتُ الأبواب وأغلقتها ، والأكثر فتّحتها وَغَلَّقتها ، لأن الأبواب جماعة فيكثر الفعل الواقع عليها » انتهى

واقتصر ابن السراج فى الأصول على التنبيه على أغلقها فقط ، قال : « يجىء

---

(١) فى سيبويه (ج ٢ ص ٢٣٧) زيادة قوله : « وسترى نظير ذلك فى باب فعلت (بالتشديد) إن شاء الله »

(٢) الزيادة عن كتاب سيبويه فى الموضع السابق

(٣) فى الأصول : « أن التخفيف فى هذا كله جائز عربى » والتصحيح عن سيبويه فى الموضع السابق

أفعلت في معنى فعّلت ، كما جاءت فعّلت في معناها : أقللت وأكثرت في قللت وكثرت ، وقالوا : أغلقت الأبواب وَغلّقت ، قال الفرزدق :

مَازِلْتُ أغلق أبْوَابًا وأفتحها ... البيت ، انتهى

وأورد سيبويه هذا البيت أيضا في باب ما يذهب التنوين فيه من الأسماء[1] قال : «وتقول هذا أبو عمرو بن العلاء ، لأن الكنية كالاسم الغالب ، ألاترى أنك تقول : هذا زيد بن أبي عمرو ، فتذهب التنوين كما تذهبه في قولك : هذا زيد ابن عمرو ، لأنه اسم غالب[2] ، وقال الفرزدق في أبي عمرو بن العلاء :

* مَازِلْتُ أُغْلِقُ أبْوَابًا وأفتحها* البيت

قال الأعلم « الشاهد فيه حذف التنوين من أبي عمرو ؛ لأن الكنية في الشهرة والاستعمال بمنزلة الاسم العلم [فيحذف التنوين منها إذا نعتت بابن مضاف إلى علم كما يحذف التنوين من الاسم][3] وأراد أبا عمرو بن العلاء بن عمار » انتهى .

وزعم ابن السيرافي في شرح أبيات سيبويه أن عمارا جَدٌّ من أجداده ، ورد عليه الأسود أبو محمد الأعرابي في فرحَة الأديب بأن عمارا جده الأدنى ، وليس بجد من أجداده ، وهو أبو عمرو زَبّانُ بن العلاء بن عمار المازني ، من بني مازن ابن مالك بن عمرو بن تميم ، وأنشد بعد ذلك البيت بيتين آخرين ، وهما :

حتى أتيت فَتًى مَحْضًا ضَرِيبتُهُ   مُرَّ الْمَرِيرة حُرًّا وَابْنَ أحرارِ
يَنْمِيهِ مِنْ مَازِنٍ فِي فَرْعِ نَبْعَتِها   أصْلُ كريم وفرع غَيْرُ خَوّارِ

---

(١) انظر كتاب سيبويه (ج ٢ ص ١٤٧) ومابعدها

(٢) في كتاب سيبويه هنا زيادة قوله : « وتصديق ذلك قول العرب هذا رجل من بني أبي بكر بن كنانة »

(٣) الزيادة عن شرح الأعلم لشواهد سيبويه (ج ٢ ص ١٤٨)

والضريبة : الطبيعة ، يعنى أنه أصل كريم لايخالط طبعه لؤم ، والمحض : الخالص الذي لايخالطه شيء آخر ، والمريرة : العزيمة ، يعنى أنه شديد الأنفة تعاف نفسه أن يفعل أفعالا غيرعالية ، و ينميه : ينسبه و يرفعه، وفاعله أصل ، والفرع : شريف قومه،والفرع الغصن والأعلى من كل شيء ، والفرع الشجرة ، والنبعة: شجرة، والفرع الثانى مقابل الأصل، وهومأخودمن فرع الشجرة ، والخوار : الضعيف

وقال بعض من كتب على أبيات سيبويه . أراد بقوله « أفتح أبوابا وأغلقها» أنى كشفت عن أحوال الناس وفتشتهم فلم أرفيهم مثل أبى عمرو

وقال ابن السيد فى شرح أدب الـكاتب : « الفتح والاغلاق هنا مَثلان لما استغلق عليه من الأمور وما انفتح ، وأحسب الفرزدق يعنى أبا عمرو بن العلاء »

وأقول : كأنهما لم يقفا على مافى طبقات النحاة لأبى بكر محمد التاريخى فانه روى بسند إلى الأصمعى أنه قال : حدثنى أبو عمرو بن العلاء قال : دخـل علىّ الفرزدق فغلقت أبوابا ثم أبوابا ، ثم فتحت أبوابا ثم أبوابا ، فأنشأ الفرزدق :

* مَازلْتُ أفتح أبوابا وأغلقها * البيت

وقال التاريخى أيضا : حدثنا أحمد بن عبيد ، قال: حدثنا الأصمعى ، قال : دخل الفرزدق على أبى عمرو بن العلاء وصعـد إلى غرف فقال « مازلت أفتح أبوابا » البيت

وقال أبو عبيد البكرى فى شرح أمالى القالى : إن أبا عمرو بن العلاء كان هاربا من الحجاج مستترا ، فجاء الفرزدق يزوره فى تلك الحالة ، فكان كلما يفتح له باب يغلق بعد دخوله ، إلى أن وصل إليه ، فأنشده هذه الأبيات

وترجمة الفرزدق تقدمت فى شرح الشاهـد الثلاثين من أوائل شواهـد شرح الـكافية

وأبو عمرو بن العلاء هو أحد القراء السبعة ، كان رحمه الله من أعلم الناس بالقرآن ولغاته وتفسيره وعربيته ، وكان إماما فى الشعر والنحو واللغة وأيام العرب

أصله من كازرون ، وولد بمكة شرفها الله تعالى سنة ثمان ، وقيل تسع وستين ، ونشأ بالبصرة ، ومات بالكوفة سنة أربع ، وقيل خمس وخمسين ومائة ، واختلف فى اسمه : فقيل زَبَّان بفتح الزاى المعجمة وتشديد الباء الموحدة ، وهو الصحيح ، وقيل : العريان ، وقيل : محبوب ، وقيل : يحيى ، وقيل : عيينة ، وقيل اسمه كنيته ، ويرده كلام سيبويه ، واشتهر بأبيه العلاء ، لأن أباه كان على طراز الحجاج[1] ، وكان مشهورا معروفا ، وجده عمار كان من أصحاب أمير المؤمنين على ابن أبى طالب ، وقرأ أبو عمرو على مجاهد وعكرمة وعطاء وأبى العالية ويحيى بن يعمر وسعيد بن جبير ، ويروى أنه قرأ على ابن كثير رحمه الله مع أنه فى درجته

تتمة : قد وقع البيت فى أبيات جيمية للراعى النُّمَيْرِىّ وهى [من البسيط]:

وَمُرْسِلٍ وَرَسُولٍ غَيْرِ مُتَّهَمٍ وَحَاجَةٍ غَيْرِ مُزْجَاةٍ مِنَ الْحَاجِ
طَاوَعْتُهُ بَعْدَ مَاطَالَ النَّجِىُّ بِنَا وَظَنَّ أَنِّى عَلَيْهِ غَيْرُ مُنْعَاجِ
مَازَالَ يَفْتَحُ أَبْوَابًا وَيُغْلِقُهَا دُونِى وَأَفْتَحُ بَابًا بَعْدَ إِرْتَاجِ
حَتَّى أَضَاءَ سِرَاجٌ دُونَهُ بَقَرٌ حُمْرُ الْأَنَامِلِ عِينٌ طَرْفُهَا سَاجِ

وبعده أبيات أخر أوردها الآمدى فى ترجمته من المؤتلف والمختلف ، والمبرد فى أوائل الكامل وشرحها ، وأراد بالمرسل نفسه ، يقول : هى حاجة مكتومة إنما يرسل إلى امرأة فهو يكتمها ، والمزجاة : اليسيرة ، والنجى : المناجاة ، جاء به على فعيل كالصهيل ومنعاج : منعطف ، وأراد بالبقر النساء ، والعرب تكنى عن المرأة بالبقرة والنعجة وساج : ساكن ، ولا أدرى أيهما أخذه من صاحبه ، والله أعلم

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد السابع عشر [من الكامل] :

١٧ — * إِنَّ الْبُغَاثَ بِأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ *

على أن يستنسر معناه يصير كالنسر فى القوة ، قال القالى فى أماليه : قال الأصمعى : من أمثال العرب إن البغاث الخ ، يضرب مثلا للرجل يكون ضعيفا

(١) أى : كان قيما على نسج ثياب الحجاج

ثم يقوى ، قال القالى : سمعت هذا المثل من أبى المَيَّاس ، وفسره لى فقال : يعود الضعيف بأرضنا قويا ، ثم سألت عن أصل هذا المثل أبا بكر بنَ دُرَيْد فقال : البغاث ضعاف الطير ، والنسر أقوى منها ؛ فيقول : إن الضعيف يصير كالنسر فى قوته ، انتهى

وفى الصحاح : قال ابن السكيت : البغاث طائر أبغث إلى الغبرة دُوَيْنَ الرَّخمة بطىء الطيران ، وفى المثل « إن البغاث بأرضنا يستنسر » أى من جاورنا عزبنا ، وقال يونس : فمن جعل البَغَاث واحدا فجمعه بِغْثَان ، مثل غَزَال وغِزلان ومن قال الذكر والأنثى بغاثة فالجمع بَغَاثُ ، مثل نعامة ونعام ، وقال الفراء : بغاث الطير شرارها ومالا يصيد منها ، وبُغَاث وبَغَاث وبِغَاث ثلاث لغات

وكتب ابن برى على ما نقله عن ابن السكيت : هذا غلط من وجهين : أحدهما أن البغاث اسم جنس واحده بغاثة مثل حمام وحمامة ، وأبغث صفة ، بدليل قولهم أبغث بين البُغْثة ، كما تقول أحمر بين الحمرة ، وجمعه بُغْث ، مثل أحمر وحمر ، وقد يجمع على أباغث لما استعمل استعمال الأسماء ، كما قالوا أبطح وأباطح ، والثانى أن البغاث مالا يصيد من الطير ، وأما الأبغث من الطير فهو ما كان لونه أغبر ، وقد يكون صائدا وغير صائد ، انتهى

وهو مصراع من الشعر ، ولم أقف على تتمته بعد التتبع وبذل الجهد ، والله أعلم

***

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن عشر [من الرجز] :

١٨ — إنِّى أرَى النُّعَاسَ يَغرَنْدِينِى   أطْرُدُهُ عَنِّى وَيَسْرَنْدِينِى

على أن هذين الفعلين قد جاءا متعديين فى الظاهر ، والأصل يغرندى علىّ ، ويسرندى علىّ ، أى يغلب ويتسلط ، وحمل ابن هشام فى المغنى تعديهما على الشذوذ ، وقال : ولا ثالث لهما ، وقال ابن جنى فى شرح تصريف المازنى : افْعَلْيَتْ على ضربين : متعد وغير متعد ، فالمتعدى نحو قول الراجز :

قَدْ جَعَلَ النُّعَاسُ يَغْرَنْدِينِي   أَدْفَعُهُ عَنِّي وَيَسْرَنْدِينِي

وغير المتعدى نحو قولهم : أُحْرَنْبَى الديك ، انتهى . وتبعه السخاوى فى سفر السعادة فقال : السَّرَنْدَى هو الجرىء الشديد ، ومنه قولهم : اسرنداه ، إذا ركبه ، وأنشد الرجز ، وكذا فى الصحاح ، قال : اسرنداه اعتلاه ، والاسرنداء : الاغرنداء ، والمسرندى : الذى يعلوك و يغلبك ، وأنشد الرجز ، ولم يتعرض له ابن برى فى أماليه عليه بشىء ، ولا الصفدى فى حاشيته عليه ، وقلما خلا عن هذا الرجز كتاب من علم الصرف ، ومع ذلك لم يعرف قائله ، والله أعلم .

المضارع

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع عشر :

١٩ — بُنَتْ على الْكَرَمِ

هو قطعة من بيت وهو [من المنسرح] :

نَسْتَوْقِدُ النَّبْلَ بِالْحَضِيضِ وَنَصْـ   ـطَادُ نُفُوساً بُنَتْ عَلَى الْكَرَمِ

على أن أصله بُنِيَتْ ، وطىء تفتح قياسا ماقبل الياء إذا تحركت الياء بفتحة غير إعرابية ، فتنقلب الياء ألفا ، وكانت طرفا ، لتحركها وانفتاح ماقبلها ، فصار بُنَاتْ لحذفت الألف لالتقاء الساكنين

قال ابن جنى فى إعراب الحماسة : هذه لغة طائية ، وهو كثير ، إلا أنه ينبغى أن تعلم أن الكسرة المبدلة فى نحو هذا فتحة مُبَقَّاة الحكم غير مَنْسِيـة ولا مطروحة الاعتداد بها ، ألا ترى أن من قال فى بَقِيَ بَقَا وفى رَضِيَ رَضَا لايقول فى مضارعه إلا يَبْقَى ألبتة ، ولو كان الفعل مبنيا على فَعَلَ أومُنْصَرَفا به عن إرادة فَعِلَ معنى كما انصرف به عنه لفظا لوجب أن تقول فى رَضَا : يَرْضُو ، كما تقول فى غزَا : يغزو ، وفى فَنَا يَفْنُو ؛ لأنه عندى من الواوى ، وذلك أنه من معنى الْفِناء للدار وغيرها ، إلى آخر ماذكره

وهذا البيت قبله بيت وهو [من المنسرح] :

نَحْنُ حَبَسْنَا بَنِي جَدِيلَةَ فِي نَارٍ مِنَ الْحَرْبِ جَحْمَةِ الضَّرَمِ

نستوقد النبل الخ

وأوردهما أبو تمام فى أوائل الحماسة (١) ، ونسبهما إلى بعض بنى بَوْلاَن من طى ، وبَوْلان — بفتح الموحدة وسكون الواو — علم مرتجل من البَوْل . قال أبو العلاء المعرى : يجوز أن يكون اشتقاقه من البال ، وهو الخلد والحال ، وجَدِيلة — بفتح الجيم — حى من طى ، وهو المراد هنا ، وجديله حى من الأزد أيضا ، وحى من قيس عيلان أيضا ، وجحمة — بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة — مصدر جَحَمَت النار ، فهى جاحمة : أى اضطرمت والتهبت ، ومنه الجحيم ، والضَّرَم — بفتحتين — التهاب النار ، وقد ضَرِمَت واضطرمت وتضرمت . يقول : حبسنا هؤلاء القوم على نار من الحرب شديدة الاضطرام والالتهاب

وقوله « نستوقد النبل : الخ » نستوقد بالنون ، والنَّبل — بفتح النون — السهام مفعولُهُ ، يقول : تنفذ سهامنا فى الرَّمِيَّة حتى تصل إلى حضيض الجبل فتخرج النار ؛ لشدة رمينا وقوة سواعدنا ، ونصيد بها نفوساً مبنية على الكرم ، يعنى أنا نقتل الرؤساء ، وهذا من فصيح الكلام ، كأنه جعل خروج النار من الحجر عند ضربهم النبل له استيقاداً منهم لها ، والحضيض : قرار الجبل وأسفله ، وروى « تستوقد النبل » (٢) بالمثناة الفوقية ، والنبل فاعله ، وروى أبو محمد

(١) انظر شرح الحماسة للتبريزى (ج ١ ص ٨٦) فقد أخذ المؤلف أكثر ما كتبه على هذا الشاهد منه وإن لم يجر ذكره

(٢) أشار التبريزى فى الموضع المذكور إلى هذه الرواية ولكنه جعل فاعل تستوقد ضميرا مستترا عائدا إلى الحرب فى البيت السابق وجعل النبل منصوبا على أنه مفعول به

الأعرابى فيما نقض به على أبى عبدالله النمرى أول شارح للحماسة هذين البيتين لرجل من بنى القَيْن على وجه لاشاهد فيه ، وهو كذا

نستوقد النبل بالحضيض ونقـ تاد نفوسا صِيغَتْ على كرم

قال : وهذا البيتان لرجل من بَلْقين ، وسبب ذلك أن القـين بن جَسْر وطيئا كانوا حُلَفاء ، ثم لم تزل كلب بأوس بن حارثة حتى قاتل القين يوم مَلِـكَان[1] فحبستهم بنو القين ثلاثة أيام ولياليها ؛ لايقدرون على الماء ، فنزلوا على حكم الحارث بن زهدم أخى بنى كنانة بن[2] القين ، فقال شاعر القين يومئذ هذين البيتين ، انتهى .

***

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العشرون [من الرمل]

٢٠— لَيْتَ شِعْرِى عَنْ خَلِيلِى مَا الَّذِى غَالَهُ فِى الْحُبِّ حَتَّى وَدَعَهْ

على أن ماضى يدع ، وهو ودع ، لم يستعمل إلا ضرورة ، وبالغ سيبويه فقال:[3] « أماتوا ماضى يدع » أى لم يستعملوه ، لا فى نثر ولا فى نظم ، وقالوا أيضا : لم يستعمل مصدره ولا اسم فاعله ولا اسم مفعوله ، مع أن الجميع قد ورد ، فالأقرب الحكم بالشذوذ ، لا بالإماتة ولا بالضرورة ، كما قال ابن جنى فى المحتسب ، قال : قرأ (مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ) خفيفةً النبىُّ صلى الله عليه وسلم ، وعُرْوة بن الزبير ، وهذه قليلة الاستعمال .

---

(١) ملـكان : ضبطه ياقوت بفتحات ، وضبطه فى القاموس مثله أو بكسر الميم وسكون اللام ، وقالا : هو جبل بالطائف ، وذكر ياقوت أنه يقال : ملـكان ، بفتح الميم وكسر اللام ، وأنه واد لهذيل على ليلة من مكة وأسفله بكنانة

(٢) فى بعض النسخ « أخى بنى بنانة بن القين » وهو تحريف ، والترجيح عن نسخة أخرى وعن شرح الحماسة للتبريزى عند شرحه لهذين البيتين (ج ١ ص ٨٦)

(٣) عبارة سيبويه (ج ٢ ص ٢٥٦) : « كما أن يدع ويذر على ودعت ووذرت وإن لم يستعمل »

وقال الصاغانى فى العباب : وقد اختار النبى صلى الله عليه وسلم أصل هذه اللغة فيما روى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قرأ (ما وَدَعَكَ) مخففة ، وكذلك قرأ عروة ومقاتل وأبو حَيْوَةَ و إبراهيم وابن أبى عبلة و يزيد النحوى ، انتهى

وقال ابن الأثير فى النهاية عند حديث «لينتهين أقوام عن وَدْعِهِمُ الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم » أى : عن تركهم إياها والتخلف عنها ، يقال : وَدَعَ الشىء يَدَعُهُ وَدْعًا ، إذا تركه ، والنحاة يقولون « إن العرب أماتوا ماضى يدع ومصدره ، واستغنوا عنه بترك » والنبى عليه السلام أفصح ، وإنما يحمل قولهم على قلة استعماله ، فهو شاذ فى الاستعمال فصيح فى القياس ، وقد جاء فى غير حديث ؛ حتى قرىء [به[1]] قوله تعالى (مَا وَدَعَكَ ربك وما قلى) بالتخفيف ، انتهى

وكذا فى التقريب لنور الدين محمود ابن صاحب المصباح أحمد بن محمد الفيومي ، قال : ودعت الشىء وَدْعاً تركته ، وقرىء (مَاوَدَعَك ربك) مخففا ومنه « مَنْ وَدَعَهِ الناس لشره » و«عَنْ وَدْعِهم الجمعات » وقوله « غير مُوَدَّع ربنا ولا مكفور[2] » أى غير متروك ولا مفقود ، يريد الطعام ، أو المراد الله تعالى أى غير متروك الطاعة أو غير متروك الطلب إليه والسؤال منه ، كما قال « غير مستغنى عنه » ، وبكسر الدال أى غير تارك طاعتك ربنا ، وقيل : هو من الوداع ، انتهى

وقال أبوه فى المصباح : ودعته أدعه وَدْعاً ، تركته ، وأصل المضارع الكسر ، ومن ثَمَّ حذفت الواو ، ثم فتح لمكان حرف الحلق ، قال بعض المتقدمين : وزعمت النحاة أن العرب أماتت ماضى يدع ومصدره واسم الفاعل ، وقد قرأ مجاهد وعروة ومقاتل وابن أبى عبلة ويزيد النحوى (ما ودعك ربك) بالتخفيف ،

---

(١) الزيادة عن النهاية لابن الأثير (٢) وقع الحديث هكذا فى اللسان وفى النهاية ، ولكن لا يتم الاستشهاد به على هذه الرواية

وفى الحديث «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات» أى عن تركهم ، فقد رويت هذه الكلمة عن أفصح العرب ونقلت من طريق القراء فكيف يكون إماتة ، وقد جاء الماضى فى بعض الأشعار ، وما هذه سبيله فيجوز القول بقلة الاستعمال ، ولا يجوز القول بالاماتة ، انتهى

وقد ورد الماضى (١) فى أبيات أخر : قال سويد بن أبى كاهل اليشكرى يصف نفسه [من الرمل]

وَرِثَ الْبِغْضَةَ عن آبائِهِ حافظ العقل لما كان استمع
فَسَعَى مَسْعَاتَهُمْ فِى قَوْمِه ثُمَّ لَمْ يَظْفَرْ وَلاَ عَجْزاً وَدَعْ

ويروى * ولا شيئا ودع *

وقال آخر [من المنسرح]

وكانَ ماقدموا لأنفسهم أَكْثَرَ نَفْعاً مِنَ الَّذِى وَدَعُوا

---

(١) قال التبريزى فى شرح الحماسة (جـ٢ ص ٨٥) : « وقوله :

أَرَى ضَيْعَةَ الْأَمْوَالِ أَنْ لاَ يَضُمُّهُ إِمَامٌ ، وَلاَ فِى أَهْلِهِ الْمَالُ يُودَعُ

يجوز أن يكون يودع فى معنى يترك ، وتلك لغة قليلة ، وقد حكوا ودع فى معنى ترك ، فإذا بنى الفعل على مالم يسم فاعله وجب أن يقال ودع يودع ، وقد روى أن بعضهم قرأ (ماودعك ربك وماقلى) ، وروى ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنشدوا بيتا ينسب إلى أبى الأسود الدؤلى :

لَيْتَ شِعْرِى عَنْ خَلِيلِى مَا الَّذِى غَالَهُ فِى الْوُدِّ حَتَّى وَدَعَهْ

ويجوز أن يكون يودع فى البيت المتقدم محمولا على الوديعة كما قال :

وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إلاَّ وَدِيعَةٌ وَلاَبُدَّ مِنْ أَنْ تُسْتَرَدَّ الْوَدَائِعُ

اهـ كلامه ، والبيت الأول الذى أنشده لغالب بن الحر بن ثعلبة الطائى والبيت الأخير فى كلامه للبيد بن ربيعة العامرى

وأما اسم الفاعل فقد جاء في شعر رواه أبو عَلِيّ [1] في البصريات ، وهو [من الطويل]

فَأيُّهُمَا مَا أتْبَعَنَّ فإنّنِي حَزِينٌ عَلَى تَرْكِ الّذِى أنَا وَادِعُ

وأما اسم المفعول فقد جاء في شعر خُفَاف بن نُدْبَة الصحابي ، وهو [من الطويل]

إذَا مَااستَحَمَّتْ أرْضُهُ مِنْ سَمَائِهِ جَرَى وَهْوَ مَوْدُوعٌ ووَاعِدُ مَصْدَقِ

أي : متروك لايضرب ولا يزجر

وهذا البيت من أبيات لأنس بن زنيم قالها لعبيد الله بن زياد بن سُمَيَّة وهي:

سَلْ أمِيرِى مَاالّذِى غَيَّرَهُ عَنْ وِصَالِى الْيَوْمَ حَتَّى وَدَعَهْ

لاَ تُهِنّى بَعْدَ إكْرَامِكَ لِى فَشَدِيدٌ عَادَةٌ مُنْتَزَعَهْ

لاَ يَكُنْ وَعْدُكَ بَرْقاً خُلّباً إنَّ خَيْرَ الْبَرْقِ مَاالْغَيْثُ مَعَهْ

كَمْ بِجُودٍ مُقْرِفٍ نَالَ الْعُلَى وَشَرِيفٍ بُخْلُهُ قَدْ وَضَعَهْ

وتقدم شرح هذه الأبيات مع ترجمة قائلها في الشاهد التاسع والثمانين بعد الأربعمائة من شرح شواهد شرح الكافية

***

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادي والعشرون [من الكامل] :

٢١ — لَوْشِئْتِ قَدْ نَقَعَ الفُؤادُ بِشَرْبَةٍ تَدَعُ الصَّوَادِيَ لاَ يَجُدْنَ غَلِيلاَ

على أن ضم الجيم من يَجُد لغة بني عامر ، كما هو في هذا البيت ، ومراده هذه اللفظة بخصوصها ، ووجه ضعفها الشذوذ بخروجها عن القياس والاستعمال ، وكسر الجيم هو القوي فيها ، وقد سمع ، قال السيرافي : إنهم يقولون ذلك في يجد

(١) في أصول هذا الكتاب كلها « أبويعلى » وهو تحريف من النساخ ، لأن صاحب البصريات هو أبو على الفارسي الحسن بن أحمد بن عبدالغفار المتوفى ببغداد في عام ٢٧٧ هـ ، ويؤيد هذا قول صاحب اللسان : وقد جاء في بيت أنشده الفارسي في البصريات » اهـ ، ثم ذكر هذا البيت نفسه

من الْمَوْجِدَة والْوِجْدَان ، وبنو عامر فى غير يجد كغيرهم ، وكذا قال صاحب الصحاح ، وأطلق صاحب العباب وتبعه صاحب القاموس فحكيا الضم فى هذه الكلمة ، ولم يذكرا بنى عامر ، قال السيرافى : وروى « يجدن » بالكسر فى البيت ، وصرح الفارابى وغيره بقصر لغة بنى عامر بن صعصعة على هذه اللفظة ، وكذا جرى عليه أبو الحسن بن عصفور ، فقال : وشذ من فَعَل الذى فاؤه واو لفظة واحدة ، فجاءت بالضم ، وهى وجَدَ يَجُد ، قال : وأصله يَوْجِد ، فحذفت الواو لكون الضمة هنا شاذة ، والأصل الكسر ، انتهى

وزعم ابن مالك فى التسهيل أن لغة بنى عامر فيما فاؤه واو من المثال ضم العين: أى فيقولون : وَعَدَ يَعُد ووَلَدَ يَلُدُ ، ونحو ذلك ، بضم العين

ورده أبو حيان فى الارتشاف ، قال : ويجد من الموجدة والوجدان بضم الجيم شاذ ، وقيل : لغة عامرية فى هذا الحرف خاصة ، وجَعْلُ ابن مالك ذلك قانونا كليا لغة بنى عامر فى كل ما فاؤه واو من فعل ليس بصحيح ، انتهى

وكذا اعترض عليه شراحه كابن عقيل والمرادى ، ويشهد لهم قول ابن جنى فى سر الصناعة : ضم الجيم من يجد لغة شاذة [غير معتد بها (١)] لضعفها وعدم نظيرها ومخالفتها ما عليه الكافة فيما هو بخلاف وضعها ، وقال أيضا فى شرح تصريف المازنى : فأما قول الشاعر * لايَجُدْنَ غَلِيلاَ * فشاذ ، والضمة عارضة ؛ ولذلك حذفت الفاء كما حذفت فى يَقَع وَيَزَع ، وإن كانت الفتحة هناك لأن الكسرة هى الأصل ، وإنما الفتح عارض (٢) ، انتهى

---

(١) هذه الكلمة غير موجودة فى كتاب سر الصناعة لابن جنى فى باب حرف الواو (نسخة خطية محفوظة فى مكتبتنا الخاصة)

(٢) فى شرح تصريف المازنى : « لأن الكسر هو الأصل » (نسخة خطية محفوظة فى مكتبتنا الخاصة)

وهذا التوجيه هو التوجيه الأول من توجيهى الشارح ، وأما توجيهه الثانى وهو أن تكون الضمة أصلية — فيرده مجىء الكسر فى هذه الكلمة كما نقلنا .

والبيت الذى أنشده الشارح المحقق ليس للبيد العامرى ، وإنما هو لجرير ، وهو تميمى ، وهو فى هذا تابع للجوهرى ، قال فى صحاحه : وجد مطلوبه يَجِدُه وُجُودا ويَجُدُه أيضا بالضم لغة بنى عامر [١] ، لا نظير لها فى باب المثال ، قال لبيد وهو عامرى * لو شئت قد نقع الفؤاد — البيت * قال ابن برى فى أماليه على الصحاح : البيت لجرير ، وليس للبيد كما زعم ، وكذا نسبه الصاغانى فى العباب لجرير ، وأنشد هذه الأبيات الثلاثة له ، وهى أول قصيدة هجا بها الفرزدق :

لَمْ أر مِثْلَكِ يا أُمَامُ خَلِيلاَ ... أنْأى بِحَاجَتِنَا وأحْسَنَ قِيلاَ
لو شِئْتِ قد نقع الفؤاد بِشَرْبَةٍ ... تَدَعُ الصَّوَادِيَ لاَ يَجُدْنَ غَلِيلاَ [٢]
بِالْعَذْبِ فِي رَصْفِ الْقِلاَتِ مَقِيلُهُ ... قِضُّ الْأَبَاطِحِ لاَ يَزَالُ ظَلِيلاَ [٣]

وأمامُ : مرخم أمامة بضم الهمزة اسم امرأة ، والخليل : الصديق ، والأنثى خليلة ، كذا فى العباب ، وإنما لم يؤنثه هنا للحمل على صديق ؛ فانه يقال : رجل صديق وامرأة صديق ، وأنأى : وصف لخليل ، وهو أفعل تفضيل من النـأى ،

---

(١) فى الصحاح : « لغة عامرية »

(٢) فى الديوان ، وشرح تصريف المازنى ، وسر الصناعة : « تدع الحوائم » والحوائم : العطاش واحدها حائم

(٣) فى أصول الكتاب هنا : « بالعذب من » والتصحيح عن اللسان والديوان ، ووقع فى اللسان مادة (و ج د) رضف القلات (بالضاد المعجمة محركة) وهو تحريف من وجهين لأن الرضف بالمعجمة الساكنة الحجارة المحماة تطرح فى اللبن ليذهب وخمه ولا يصلح هنا والتحريك غير موجود

وهو البعد ، والباء متعلقة به ، والقيل : القول ، يريد أنها تقول مالا تفعل ، فقولها قريب حسَن مُطمِـعٌ فى حصول المراد ، وهى أبعد بحصوله من كل شىء ، وزعم العينى أن قوله أنأى بحاجتنـا من قولهم : أناءه الحمل ، إذا أثقله ، ونقله السيوطى فى شرح أبيات المغنى ، وهو غير صحيح ؛ لأن أفعل التفضيل لايـكون إلا من الثلاثى ، وكأن المراد من حسن القول قرب المأمول ، ويقابله بعده ، لا إثقاله ، قال صاحب الصحاح : وأناءه الحمل مثال أناعه : أى أثقله ، [وأماله](1) ويقال أيضا : ناء به الحمل ، إذا أثقله ، فيتعدى بالباء والهمزة ، وهو من ناء ينوء نَوْءاً ، إذا نهض بجَهد ومشقة ، وناء بالحمل : إذا نهض به مثقلا ، وقوله « لو شئت ــ الخ » بكسر التاء خطاب لأمامة ، وجملة « قد نقع الفؤاد » جواب لو ، قال ابن هشام فى المغنى : وورد جواب لو الماضى مقرونا بقد ، وهو غريب ، كقول جرير

* لو شئت قد نقع الفؤاد — البيت *

ونظيره فى الشذوذ اقتران جواب لولا بها ، كقول جرير أيضا

* لَوْلاَ رَجَاؤُكَ قَدْ قَتَّلْتُ أَوْلاَدِى * انتهى .

و« نقع » بالنون والقاف ، يقال : نقع زيد بالماء : أى ارتوى منه ، وشرب حتى نقع : أى شفى غليـله ، والغليل — بالغين المعجمة — حرارة العطش ، قال ابن برى : يقال نقع الفؤاد رَوِى ، ونقع المـاء العطش : أذهبه ، نَقْعًا ونُقُوعًا فيهما ، والماء الناقع : العذب المُرْوِى ، وقوله « بشربة » متعلق بنقع ، والشربة : المرة من الشرب ، وأراد به ماء ريقها ، وروى بدله « بِمَشْرَب » وهو مصدر ميمى ، وقوله « تدع الصوادى » فاعل تدع ضمير الشربة ، ومعنـاه تترك ، والصوادى : جمـع صادية : أى الفرقة الصادية ، أو هو جمـع صادٍ . والصَّدَى : العَطَش ، والصـادى : العطشان ، يقول : لو ذاقت الفرق الصوادى من تلك الشربة

---

(١) الزيادة عن صحاح الجوهرى

لتركتهم بلا عطش ، وجملة «لايجدن غليلا» حال من الصوادى ، ومن العجيب قول نظام الأعرج فى شرحه : الصوادى فى البيت النخيل الطوال على ما فى الصحاح ، وقوله « بالعذب » متعلق بشَرْبة ، والباء بمعنى من ، أى بشربة من الماء العذب ، وهو وصف من عَذُب الماء — بالضم — عذوبة : أى ساغ مشربه ، و«فى رصف» حال منه ، والرصف بفتح الراء وسكون الصاد المهملتين(١) الحجارة المرصوف بعضها إلى بعض ، والْقِلاَت — بكسر القاف — جمع قلْتٍ بفتحها وسكون اللام — وهى النقرة فى الصخرة أو الجبل يستنقع فيها ماء السماء ، ومقيله بالقاف : أى موضع الماء العذب ، وهو مبتدأ ، وقوله «قِضُّ الأباطح» خبره ، وَالْقِضُّ — بكسر القاف وتشديد الضاد المعجمة — الحصى الصغار والأرض ذات الحصى أيضا ، وهو مضاف إلى الأباطح جمع أبطح ، وهو كل مكان متسع ، والماء الموصوف بهذين الوصفين يكون أصفى المياه وأطيبها

وترجمة جرير تقدمت فى الشاهد الرابع من أول شرح الكافية

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والعشرون [من الرجز] :

٢٢ — بُنَيَّتِى سَيِّدَةَ الْبَنَاتِ عِيشِى وَلَا نَأْمَنُ أَنْ تَمَاتِى

على أنه جاء تَمَاتُ مضارع مِتّ بكسر الميم كتخاف مضارع خِفت ، وزاد ابن القطاع حرفين آخرين على ما ذكره الشارح المحقق من الحرفين ، وهما كِدْتَ تَكُود وجِدْتَ تَجُودُ بكسر أول الماضى فيهما ، وجاء فيهما تكاد وتجاد

و بنيتى : منادى بحرف نداء مقدر ، وهو مصغر بنت مضاف إلى ياء المتكلم وسيدة : بالنصب نعت له ، و يجوز رفعه ، وعيشى : دعاء لها بأن تعيش

---

(١) الذى فى اللسان أنه بفتح الراء والصاد المهملتين

وهذا الرجز كذا أنشده الجوهري في الصحاح غير مَعْزُوّ إلى قائله ، ولم يكتب عليه ابن بري شيئا في أماليه عليه ، ولا الصفدي في حاشيته ، وقال الصاغاني في العباب : قد مات يموت ويمات أيضا ، وأكثر من يتكلم بها طيء وقد تكلم بها سائر العرب ، قال :

* بُنَيَّ ياسَيِّدَةَ الْبَنَاتِ *

هكذا أنشده ابن دريد ، وأنشد غيره

بُنَيَّتِي ياخِيرَةَ الْبَنَاتِ عِيشِي ، وَلَا يُؤْمَنُ أَنْ تَمَاتِي

ويروى « ولا يؤمن بأن[1] » ويروى « نأمن أنْ »

وقال يونس في كتاب اللغات : إن يَميت لغة فيها ، انتهى

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون : [من الرجز]

٢٣ — فَإِنَّهُ أَهْلٌ لِأَنْ يُؤَكْرَمَا *

على أنه شاذ ، والقياس يُكْرَمَ بحذف الهمزة ، وهذا المقدار أورده الجوهري في صحاحه في مادة كرم غير معزو إلى قائله ، ولا كتب عليه ابن بري شيئاً في أماليه ، ولا الصفدي في حاشيته عليه ، وهو مشهور في كتب العربية قلما خلا عنه كتاب ، وقد بالغت في مراجعة المواد والمظانّ فلم أجد قائله ولا تتمته ،

وقال العيني : تقدم الكلام عليه مستوفى في شواهد باب النعت وفي شواهد نوني التوكيد

وأقول : لم يذكره فيهما أصلا ، فضلاً عن أن يستوفي الكلام عليه

---

(١) كذا في عامة الأصول ، وليس بشيء ، لأن وزن البيت يختل ، إلا أن تسكن النون من « يؤمن » ضرورة .

وقال الجاربردى [1] أوله :

* شَيْخٌ عَلَى كُرْسِيِّهِ مُعَمَّمَا *

وأقول : هذا من قصيدة مرَجَّزَة منها :

يَحْسَبُهُ الْجَاهِلُ مَالَمْ يَعْلَمَا   شَيْخًا عَلَى كُرْسِيِّهِ مُعَمَّمَا
لَوْ أَنَّهُ أَبَانَ أَوْ تَكَلَّمَا   لَكَانَ إِيَّاهُ وَلَكِنْ أَعْجَمَا

وقد شرحناها فى الشاهد التاسع والأربعين بعد التسعمائة من آخر شواهد شرح الكافية ، وليس فى تلك القصيدة

* فإِنَّهُ أَهْلٌ لِأَنْ يُؤَكْرَمَا *

* * *

وأنشد الجاربردى بعده [2] ، وهو الشاهد الرابع والعشرون ، وهو من شواهد سيبويه [3] [من السريع] :

لَمْ يَبْقَ مِنْ آيٍ بِهَا يُحَلَّيْنْ   غَيْرَ رَمَادٍ وَحُطَامٍ كِنْفَيْنْ
وَغَيْرَ وَدٍّ جَاذِلٍ أَوْ وَدَّيْنْ   وَصَالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤَثْفَيْنْ

على أن يؤثفين بالهمز شاذ ، والقياس يُثْفَيْنَ فجاء على الأصل المهجور لضرورة الشعر ووزنه يُؤَفْعَلْنَ بزيادة الياء والهمزة ، وهذا أحد قولين ، ومعناه جعلت أثافى جمع أُثْفِيَّة ، وعليه فأُثْفِيـة أُفْعُولَة أصلها أُثْفُوِيَة قلبت الواو ياء وأدغمت وكسرت الفاء لتبقى الياء على حالها ، واستدلوا على زيادة الهمزة بقول العرب : ثَفَّيْتُ القدر ، إذا جعلتها على الأثافى ؛ والقول الثانى — وهو للجماعة — أن وزنه يُفَعْلَيْنَ ، فالهمزة أصل ووزن أثفيـة على هذا فُعْلِيَّة ، واستدلوا بقول النابغة [من البسيط] :

(١ و ٢) انظر شرح الجاربردى (ص ٥٨)

(٣) انظره (ج ٢ ص ٣٣١) ، وقد جعلوا الشاهد من بحر الرجز

لَاتَقْذِفَنِّى بِرُكْنٍ لَا كِفَاءَ لَهُ   وَإِنْ تَأَثَّفَكَ الأعْدَاءُ بالرِّفَدِ (١)

فقوله تَأَثَّفَكَ وزنه تَفَعَّلَكَ لا يصح فيه غيره ، ولو كان من ثَفَّيْتُ القِدْرَ لقال تَثَفَّاكَ ، ومعنى البيت صار أعدائى حولك كالأثافى تظافرًا ، قال ابن جنى فى شرح تصريف المازنى : وَيُفَعْلَيْن أولى من يُؤَفْعَلْن ، لأنه لا ضرورة فيه ، قال أبو الفتح بن جنى : يقال أثفيتُ القدر وأثفّتُها وثَفَّيْتُها ، إذا أصلحت تحتها الأثافى ، وقال صاحب الصحاح : ثَفَّيْتُ القدر تَثْفِيَةً ، وضعتها على الأثافى ، وَأَثْفَيْتُهَا جعلت لها أثافى ، وأنشد البيت

وهذا الشعر لخِطَامٍ الْمُجَاشِعى ، ونسبه الصقلى شارح أبيات الإيضاح للفارسى ، والجوهرى فى الصحاح ، إلى هِمْيَان بن قُحَافة ، وأوله :

حَيِّ دِيَارَ الْحَيِّ بَيْنَ السَّهْبَيْنْ   وَطَلْحَةِ الدَّوْمِ وَقَدْ تَعَفَّيْنْ

و «حَيِّ» أمر من التحية ، والحى : القبيلة ، والسهبان : موضع ، وكذا طلحة الدوم ، والنون فى تَعَفَّيْنَ ضمير ديار الحى ، وَتَعَفَّي بمعنى عفا اللازم . يقال : عفا المنزل يَعْفُو عُفُوًّا ، إذا درس ، والآى : جمع آية بمعنى العلامة . والتَّحْلية : الوصف يقال : حَلَّيْتُ الرجل مثلا ، إذا وصفته ، يقول : لم يبق من علامات حلولهم فى ديارهم تُحَلِّيها وتصفها غير ما ذكر ، ومن : زائدة ، وآى فاعل ، وغير منصوب على الاستثناء ، وجملة يُحَلِّيْنَ صفة لآى ؛ وبهـا متعلق به . وَالْخُطَامُ بضم المهملة : ما تكسر من الحطب ، والمراد به دِقُّ الشجر الذى قطعوه فظللوا به الخيام ، ورماد مضاف إلى كَنْفَيْن ويجوز تنوينه ، وكنف بفتح الكاف وسكون النون الناحية والجانب . وأصله بفتح النون سكنها للضرورة أى رماد من جانبى الموضع . وقيل الكِنْفُ هنا بكسر الكاف وسكون النون ، وهو خرج يضع فيه

---

(١) الرفد ـ بكسر أوله وفتح ثانيه : جمع رفدة ـ بكسر فسكون ـ وهى العصبة من الناس ، يقول : لا ترمنى منك بما لا مثل له ولا أستطيع دفعه وإن احتوشك الأعداء متعاونين

الراعى أشياءه : فيكون المعنى رماد مِلْء كنفين ، والجاذل بالجيم والذال المعجمة المنتصب ، جَذَلَ جذُولا : انتصب وثبت ، والْوَدّ : الوتد ، وأراد بالصاليات الأثافى الثلاثة التى توضع عليها القدر لأنها صليت بالنار أى أحرقت حتى اسودّت وهى معطوفة على « حطام » أى وغير أثافى صاليات بالنار ، وليست الواو واو رُبَّ كما توهمه ابن يَسْعَوْنَ . وروى بدلها « وغير سُفْعٍ » جمع أسفع ، أراد به الأثافى أيضا لأنها قد سفعتها النار أى سودتها وغيرت لونها ، وروى أيضا «وَمَاثِلاَتٍ» أى منتصبات ، يقول : إن هذه الأثافى تدل على قرب عهد بالعمارة ببقائها على الحال التى وضعتها عليه أهل العمارة فكانت لذلك أجلب للشوق والتذكار ، وقوله « ككما » قيل : الكاف الأولى حرف والثانية اسم بمعنى مثل ، وقيل : مؤكدة للأولى ، وقيل : زائدة ، قال أبو على : « ما » فى ككما يجوز أن تكون مصدرية كأنه قال مثل الإثفاء ، ويجوز أن تكون موصولة بمنزلة الذى ، وقال ابن السيد : الكافان لا يتعلقان بشىء ؛ فإن الأولى زائدة والثانية قد جرت مجرى الأسماء لدخول الجار عليها ، ولو سقطت الأولى وجب أن تكون الثانية متعلقة بمحذوف صفة لمصدر مقدر محمول على معنى الصاليات لأنها نابت مناب مُثْفَيَات فكأنه قال : ومثفيات إثفاء مثل إثفائها حين نصبت للقدر ، ولابد من هذا التقدير ليصح اللفظ والمعنى ، وقد شرحنا أبياتا أخر من هذه القصيدة وترجمنا قائلها فى الشاهد الخامس والثلاثين بعد المائة من شواهد شرح الكافية

***

الصفة المشبهة

وأنشد فيها ، وهو الشاهد الخامس والعشرون ، وهو من شواهد سيبويه (١)

[من الرجز]

٢٥ — * مَابَالُ عَيْنِى كَالشَّعِيبِ الْعَيَّنْ *

---

(١) انظره (ج ٢ ص ٣٧٢)

على أنه لم يأت على فَيْعَلٍ بفتح العين شيء من الصفة المشبهة غير حرف واحد فى المعتل وهو عَيَّنٌ ، قال الأعلم : الشاهد فيه بناء العَيَّن على فَيْعَلٍ بالفتح ، وهذا شاذ فى المعتل لم يسمع إلا فى هذه الكلمة وكان قياسها أن تكسر العين فيقال عَيِّن كما قيل سيِّد وهيِّن وليِّن، ونحو هذا ، وهذا بناء يختص به المعتل ولا يكون فى الصحيح كما يختص الصحيح بفَيْعَل مفتوحة العين نحو صَيْرَفٍ وحَيْدَر ، وهو كثير ، انتهى

وقال ابن السيد فى شرح أدب الكاتب : وجدت فى نسخة من شعر رؤبة بخط أبى يعقوب إسحق بن إبراهيم بن الجنيد قرأها على أبى بكر بن دريد [وعليها خط ابن دريد و إجازته] (١) العَيِّن بكسر الياء ، وقال : العين الذى قد رَقّ (٢) وتهيأ للخرق ، انتهى

وكذا قال ياقوت فى هامش الصحاح ، قال : أنشده سيبويه على فيْعَل بفتح العين ، وقال : ولم يجىء غير عَيَّن فى المعتل ، وهو نادر ، والقياس فَيْعِل بكسر العين ، والذى وجدته فى شرح رجز رؤبة العين بكسر الياء ، ولا يجوز فتحها ، انتهى .

والبيت أول أرجوزة لرؤبة بن العجاج ، و بعده (٣) :

وَبَعْضُ أَعْرَاضِ الشُّجُونِ الشُّجَّنِ دَارٌ كَرَقْمِ الكَاتِبِ المُرَقِّنِ

* بَيْنَ نَقَا المُلْقَي وَبَيْنَ الأَجْؤُن *

قوله « ما بال عينى » ما استفهامية مبتدأ أو خبر مقدم ، وبال خبر أو مبتدأ مؤخر ، وهو بمعنى الشأن والحال ؛ وقوله « كالشعيب » فى موضع الحال ، والشعيب – بفتح الشين المعجمة –

---

(١) الزيادة عن شرح أدب الكاتب لابن السيد البطليوسى (ص ٤٧٢)

(٢) فى الأصول «تمزق وتهيأ للخرق» والتصويب عن شرح أدب الكاتب

(٣) انظر أراجيز رؤبة (ص ١٦٠)

قال ابن دريد فى الجمهرة : المزادة الصغيرة .

قال الجواليقى فى شرح أدب الكاتب : « هى فى الأصل صفة غالبة ؛ فعيل بمعنى مفعول، والعين : التى فيها عيون ؛ فهى تسيل ، وهم يشبهون خروج الدمع من العين بخروج الماء من خرز (١) المزادة ؛ قال : كأنهما مزادتا مستعجل » انتهى

وقال الجوهرى «يقال : بالجلد عَيَنٌ ، وهى دوائر رقيقة ، وذلك عيب . تقول منه : تعين الجلد ، وسقاء عين ومتعين » وأنشد البيت .

وكتب ابن برى فى أماليه على صحاحه : العين الجديد فى لغة طىء قال الطرماح [من الطويل]

قَدِ اخْضَلَّ مِنْهَا كُلُّ بَالٍ وَعَيِّنٍ … وَجَفَّ الرَّوَايَا(٢) بِالْمَلاَ الْمُتَبَاطِنِ

انتهى .

وقال الأعلم : «الشَّعيبُ : القربة ، والعين : الخَلَقُ البالية ، شبه عينه لسيلان دمعها بالقربة الخلق فى سيلان مائها من بين خرزها لبلاها وقدمها » اهـ

وقوله « و بعض أعراض الخ » قال ابن السيد : دار خبر بعض ، والمُرَقِّن : الذى ينقط الكتاب ، والمُلْقَى والأَجْؤُن مكانان ، كذا وجدته المُلْقَى مضموم الميم مفتوح القاف ، والأجؤن مضموم الواو مهموزا كأنه جمع جُؤن ، ووجدته فى غيره الأَجْوَن مفتوح الواو غير مهموز ، انتهى

وترجمة رؤبة تقدمت فى الشاهد الخامس من أوائل شرح الكافية :

* * *

المصـــدر

أنشد فيه ، وهو الشاهد السادس والعشرون : [من البسيط] .

---

(١) الخرز - بضم أوله وفتح ثانيه : جمع خرزة - كغرفة - وهى كل ثقبة وخيطها

(٢) الروايا : جمع راوية ، وهى المزادة ، والملا : موضع ، وهو أيضا الصحراء ، والمتباطن : المنخفض

٢٦ — إنَّ الخَلِيطَ أَجَدُّوا البَيْنَ فَانْجَرَدُوا وَأَخْلَفُوكَ عِدَا الأَمْرِ الَّذِى وَعَدُوا

على أن الفراء قال فى قوله تعالى (مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ) يجوز أن يكون فى الأصل غلبتهم بالتاء ؛ فحذفت التاء كما حذفت من «عدا الأمر» فى البيت والأصل عدة الأمر ، وهذا كلام الجوهرى فى الصحاح

وأقول : لم يورد الفراء هذا البيت عند هذه الآية ، وهذا نصه فى تفسيرها « وقوله من بعد غلبهم كلام العرب غلبته غلبة ، فاذا أضافوا أسقطوا الهاء كما أسقطوها فى قوله تعالى (و إِقَامِ الصَّلاَةِ) والكلام إقامة الصلاة » انتهى .

و إنما أورده عند تفسير الآية الأخرى من سورة النور قال : « وأما قوله تعالى (وَإِقَامِ الصَّلاَةِ) فان المصدر من ذوات الثلاثة إذا قلت : أفعلت كقولك أقمت وأجبت ، يقال فيه : إقامة و إجابة ، ولا تسقط منه الهاء ، و إنما أدخلت لأن الحرف قد سقطت منه العين ، كان ينبغى أن يقال : إقْوَاما فلما سكنت الواو [1] و بعدها ألف الإفعال فسكنتا فسقطت الأولى منهما فجعلوا الهاء كأنها تكثير للحرف ، ومثله مما أسقط منه بعضه فجعلت فيه الهاء ، قوله وعدته عدة ووجدت المال جدةً ولما أسقطت الواو من أوله كثّر من آخره بالهاء و إنما استجيز سقوط الهاء من (وإقام الصلاة) لاضافتهم إياه ، وقالوا : الخافض وما خفض بمنزلة الحرف الواحد ، فلذلك أسقطوها فى الاضافة ، وقول الشاعر :

* إن الخليط أجدوا البين — الخ *

يريد عدة الأمر ، فاستجاز إسقاط الهاء حين أضافها » انتهى كلامه

والبيت للفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب ، قال الجوهرى : الخليط : المخالط ، كالنديم المنادمُ والجليس المجالسُ ، وهو واحد وجمع ، قال : إنَّ

(١) أى بعد نقل حركتها الى السا كن قبلها

* إنّ الخليط أجدوا البين فانصرموا *

وقوله « أجدوا » فى العباب : وأجدّه : صيّره جديدا ، فالبين مفعوله ، وهو بمعنى البعد والفراق هنا ، وقوله « فانجردوا » بالجيم : أى بعدوا ؛ فى العباب : وانجرد بنا السير : أى امتد وطال ، وروى بدله « فانصرموا » : أى انقطعوا عنا ببعدهم

والفضل بنُ العباس بنِ عتبة بنِ أبى لهب ، واسمه عبدالعزى ، ابنِ عبدالمطلب بنِ هاشم ، كان من شعراء الهاشميين وفصحائهم ، توفى فى زمن الوليد بن عبد الملك

الفضل والعقرب الماطل

حكى أنه كان بالمدينـة تاجر يسمى العقرب ؛ وكان أمطل الناس ، فعامله الفضل ، وكان أشد الناس تقاضيا ، فلما حل المال قعد الفضل بباب العقرب يقرع ، وعقربٌ على سجيّته فى المطل ؛ فلما أعياه قال يهجوه [من السريع] :

قَدْ تَجَرَتْ فِى سُوقنا عَقْرَبٌ ... لاَ مَرْحَبًا بِالْعَقْرَبِ التَّاجِرَهْ
كُلُّ عَدُوٍّ كَيْدُهُ فِى اسْتِهِ ... فَغَيْرُ مَخْشِيٍّ وَلاَ ضَائِرَهْ
إنْ عَادَتِ الْعَقْرَبُ عُدْنَا لَهَا ... وَكَانَتْ النَّعْلُ لَهَا حَاضِرَهْ

وكان الفضل شديد الأُدمة ولذلك قال [من الرمل] :

وَأَنَا الأَخْضَرُ مَنْ يَعْرِفُنِى ... أَخْضَرُ الجِلْدَةِ فِى بَيْتِ الْعَرَبْ
مَنْ يُسَاجِلْنِى يُسَاجِلْ مَاجِدًا ... يَمْلأُ الدَّلْوَ إلَى عَقْدِ الْكَرَبْ

وسمعه الفرزدق ينشد هذا الشعر فنزع ثيابه وقال : أنا أساجله ، فقال له : من أنت ؟ فلما انتسب له لبس ثيابه وقال [له] : والله لا يساجلك إلا من عض بأير أبيه ، وهو هاشمى الأبوين ، أمه بنت العباس بن عبدالمطلب وإنما أتته الأدمة من قبل جدته وكانت حبشية

* * *

وأنشد الجاربردى (١) وهو الشاهد السابع والعشرون [من الوافر] :

(١) انظره فى ص ٦٣ من شرح الجاربردى

٢٧ — بَكَتْ عَيْنِي وَحُقَّ لَهَا بُكَاهَا
وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلاَ الْعَوِيلُ (١)

وهو مطلع قصيدة فى رثاء حمزة رضى الله تعالى عنه عم النبى صلى الله عليه وسلم لما استشهد فى غزوة أحد .

الكامة التى منها الشاهد

واختلف فى قائلها ؛ فقيل : هى لحسان بن ثابت رضى الله عنه ، وليست فى ديوانه ، وقال عبد الملك بن هشام فى السيرة : « قال ابن إسحق : هى لعبد الله ابن رَوَاحَة ؛ وقد أنشدنيها أبو زيد الأنصارى [لكعب بن مالك] (٢) وهؤلاء الثلاثة هم شعراء النبى صلى الله عليه وسلم » وقد أورد ابن هشام القصيدة فى غزوة أحد وهذه أبيات منها بعده :

عَلَى أَسَدِ الْإِلَهِ غَدَاةَ قَالُوا أَحَمْزَةُ ذَاكُمُ الرَّجُلُ الْقَتِيلُ
أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ جَمِيعاً هُنَاكَ وَقَدْ أُصِيبَ بِهِ الرَّسُولُ
أَبَا يَعْلَى لَكَ الْأَرْكَانُ هُدَّتْ وَأَنْتَ الْمَاجِدُ الْبَرُّ الْوَصُولُ
عَلَيْكَ سَلَامُ رَبِّكَ فِي جِنَانٍ مُخَالِطُهَا نَعِيمٌ لاَ يَزُولُ
أَلاَ يَاهَاشِمُ الْأَخْيَارُ صَبْرًا فَكُلُّ فَعَالِكُمْ حَسَنٌ جَمِيلٌ
رَسُولُ اللهِ مُصْطَبِرٌ كَرِيمٌ بِأَمْرِ اللهِ يَنْطِقُ إِذْ يَقُولُ

قوله « وحق لها بكاها » أى صار البكاء لها حقا لازما ، وحكى الأزهرى : ما أغنى فلان شيئا ، بالغين والعين ، أى : لم ينفع فى مهم ولم يكف مؤنة . فيكون المفعول هنا محذوفا « والعويل » اسم من أعول عليه إعوالا وهو البكاء والصراخ ، وقوله « على أسد الإله » متعلق بالبكاء أوالعويل على سبيل التنازع ،

---

(١) كذا فى الجاربردى وفى اللسان (بكى) وفى سيرة ابن هشام (حـ٣ ص١٤٨) ووقع فى الأصول محرفا (ولا يغنى)

(٢) الزيادة عن سيرة ابن هشام (حـ ٣ ١٤٨) ولا يتم الكلام إلا بها

وأسد الله : لقب سيدنا حمزة ، والألف فى قوله «أحمزة» للاستفهام ، و « أبو يعلى» كنيته رضى الله عنه ،

* * *

وأنشد الشارح وهو الشاهد الثامن والعشرون [من الرجز] :

٢٨ — فَهْيَ تُـنَزِّى دَلْوَهَا تَنْزِيًّا كَمَا تُنَزِّى شَهْلَةٌ صَبِيًّا

على أن مجىء المصدر المعتل اللام لفعّل على تفعيل ضرورة ، والقياس أن على تفعلة كتكرمة ، وأورده أبو عبيد القاسم بن سلام فى الغريب المصنف فى باب نعوت الخرقاء والعجوز كذا

* بات ينزى دلوه تنزيا *

وقال : هى الشهيرة (١) والشهلة يعنى العجوز ، وخص الشهلة لأنها أضعف من الشابة فهى تنزى الصبى : أى ترقصه بثقل وضعف ، والمعنى هـذه المرأة تحرك دلوها فى الاستقاء وترفعها وتخفضها عند الاستقاء لتمتلىء تحريكا مثل تحريك عجوز صبيها فى ترقيصها إياه

وقال ابن يعيش : يقال : امرأة شهلة ، إذا كانت نَصَفًا وصار كالاسم لها بالغلبة، ولا يقال ذلك للرجال ، وفى المصباح : نزا يَنْزُو من باب قتل ، ونَزَوانًا ، بمعنى وثب ، ويتعدى بالهمزة والتضعيف ؛ فيقال : أنزاه إنزاء ونزاه تنزية ، وهـذا الشعر مشهور فى كتب اللغة وغيرها ، ولم يذكر أحد تتمته ولا قائله والله أعلم

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد التاسع والعشرون [من الطويل] :

٢٩ — بُثَيْنُ الْزَمِى « لَا » إِنَّ لَا إِنْ لَزِمْتِهِ
عَلَى كَثْرَةِ الْوَاشِينَ أَىُّ مَعُونِ

---

(١) الشهبرة والشهربة لغتان بمعنى العجوز الكبيرة ، والرجل شهبر وشهربة عن ابن السكيت ، وقال الأزهرى : ويقال للرجل : شهبر

مفعل بضم العين — على أن السيرافى قال : أصله معونة ؛ فحذفت التاء لضرورة الشعر ، وأجاز ابن جنى فى شرح تعريف المازنى أن يكون كذا وأن يكون جمع معونة ، وكذا أجاز الوجهين فى مَكْرُم ومألُك ، وأورده ابن عصفور فى كتاب الضرائر فى ترخيم الاسم فى غير النداء للضرورة .

جميل بن عبد الله العذرى — والبيت من قصيدة لجميل بن عبدالله بن مَعْمَر العذرى . يقول : إن سألك سائل يابثين هل كان بينك و بين جميل وصل فقولى : لا ، فإن فيها عونا على الواشين [و] دفعا لشرهم ، و « بثين » مرخم بثينة منادى وهو اسم محبوبته . يقول : ردى على الواشين قولهم ، و إذا سألوك شيئا فقولى : « لا » فإنهم إذا عرفوا منك ذلك انصرفوا عنك وتركوك ؛ فيكون لزوم كلمة « لا » عونا عليهم ، و « أىُّ » دالة على الكمال مرفوعةٌ خبرُ إن : أى إن « لا » معونة أىُّ معونة ؛ وبعده :

وَنُبِّئْتُ قَوْماً فِيكِ قَدْ نَذَرُوا دَمِى فَلَيْتَ الرِّجَالَ الْمُوعِدِىَّ لَقُونِى
إِذَا مَا رَأَوْنِى طَالِعاً مِنْ ثَنِيَّةٍ يَقُولُونَ مَنْ هٰذَا وَقَدْ عَرَفُونِى

وترجمة جميل تقدمت فى الشاهد الثانى والستين من أوائل شواهد شرح الكافية .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الثلاثون [من الرجز] :

٣٠ — * لِيَوْمِ رَوْعٍ أَوْ فَعَالِ مَكْرُمِ *

لما تقدم قبله

مفعل بضم العين أيضاً — وقال الفراء عند تفسير قوله تعالى (وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ) من سورة الكهف: فأما قول الشاعر :

* ليوم روع أو فعال مكرم *

فإنه جمع مكرمة ، ومثله قول الآخر :

* على كثرة الواشين أى معون *

أراد جمع معونة ، وكان الكسائى يقول : هما مَفْعُل نادران لا يقياس عليهما ، وقد ذهب مذهبا ، إلا أنى أجد الوجه الأول أجمل للعربية مما قال ، انتهى

قال ابن السيرافى فى شرح أبيات إصلاح المنطق ، والجواليقى[1] فى شرح أبيات أدب الكاتب : قبله

* وَهْوَ إِذَا مَا هُزَّ لِلتَّقَدُّمِ *

وقالا : يقول : إذا هُزَّ فى يوم روع تقدم وقاتل ، وكذا إن هُزَّ فى عطاء وَجُودٍ أعطى وجاد ، يصفه بالشجاعة والجود ، انتهى

وهُزَّ بالبناء للمفعول : من هَزَزْتهُ هزا من باب قتل حركته فاهتز ، والرَّوْع بالفتح : الفزع ، الْفَعَال بفتح الفاء : الوصف الحسن والقبيح أيضا ، فيقال : هو قبيح الْفَعال ، كما يقال : هو حسن الْفَعَال ؛ ولهذا خصصه بما بعده بالإضافة ، ويكون مصدرا أيضا ، يقال : فعل فَعَالاً ، كذهب ذَهَاباً ، والْمَكْرُمة — بضم الراء — اسم من الكرم ، وفعل الخير مكرمة : أى سبب للكرم أو التكريم ، من كرم الشىء إذا نفس وعَزَّ

وقال ابن السيد فى شرح أبيات أدب الكاتب : البيت لأبى الأخزرِ الحمانى ، وقبله : صاحب الشاهد وصدره

* مَرْوَانُ مَرْوَانُ أَخُو الْيَوِمِ الْيَمِى *

كذا رواه سيبويه ، وروى غيره :

* مَرْوَانُ يَامَرْوَانُ لِلْيَوْمِ الْيَمِى *

وقوله «الْيَمِي» صفة لليوم من لفظه ، كما قالوا : يوم أَيْوَمُ ، وليل أَلْيَل ، ووزنه فَعِل على مثال حَذِر ، وأصله الْيَوِمُ فنقلت[2] اللام إلى موضع العين فصار الْيَمِوُ ، فانقلبت الواو ياء لانكسار ماقبلها

---

(١) انظره فى شرح الجواليقى (ص ٤٠٠) (٢) فى نسخة «قلبت» ولها وجه

وقال السيرافى : أصله أخُو اليومِ اليَوْمُ ، كما قال الآخر [من الرجز] :

* إنَّ مَعَ الْيَوْمِ أخَاهُ غَدْوَا *

شرح الشاهد واعرابه

فقدم الميم بضمتها إلى موضع الواو ، فصار الْيَمُو ، فوقعت الواو طرفا وقبلها ضمة ، فقلبت ياء ، وكسر ماقبلها ، كما قيل فى جمع دلو أَدْلٍ ، فموضع اليمى على قول السيرافى رفع ، وموضعه على القول الأول خفض ، وهذا التأويل الذى تأوله السيرافى هو الظاهر من مذهب سيبويه ، وهو تأويل لايصح إلا على رواية من روى «أخو اليوم اليمى » وأما من رواه * مروان يامروان لليوم اليمى * فلا يكون موضع اليمى إلا خفضا على الصفة ، وكذلك لا يمتنع أن يكون موضعهُ خفضا على من روى «أخو اليوم اليمى » ويكون معناه أن مروان أخو اليوم الشديد الذى يُفَرِّج غمه ويجلى همه ، وهو أشبه بمعنى الشعر ؛ لأن البيتين لا يلتئمان على تفسير السيرافى ومذهب سيبويه ، وأنشد المبرد فى كتاب الأزمنة :

* نِعْمَ أخُو الْهَيْجَاءِ فِى الْيَوْمِ الْيَمِى *

وهذا يدل أيضا على أن اليمى فى موضع خفض ، وكذلك قال المبرد ، وإليه ذهب ابن السكيت ، انتهى . ومروان هو ابن محمد بن مروان بن الحكم بن العاص ،

ابو الاخزر الحمانى

وأبو الأخزر راجز إسلامى اسمه قتيبة ، والأخزر بالخاء والزاى المعجمتين وآخره راء مهملة ، والحِمَّانى منسوب إلى حِمَّان بكسر المهملة وتشديد الميم

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثلاثون [من الوافر]

٣١ — * كَفَى بِالنَّأْيِ مِنْ أَسْمَاءَ كَافِ *

على أن « كافى » اسم فاعل منصوب على الحالية من النأى ، وهو فاعل كفى ، والباء زائدة ، وهذه الحال مؤكدة لعاملها وهو كفى ، وحذف النصب منه كما حذف من قوله « فلو أنَّ واشٍ » وذلك إما على لغة ربيعة فانهم يسكنون المنصوب ، وإما لضرورة الشعر ، وقد حذفت الياء منهما لالتقائها ساكنة مع سكون نون التنوين ،

والنأى : البعد ، ومن : متعلقة به ، وأسماء : اسم امرأة أصله وَسْمَاء من الْوَسَامَة ، وهى الحسن

وهذا صدر بيت ، وعجزه :

* وَلَيْسَ لِنَأْيِهَا إِذْ طَالَ شَافِ *

وشاف : اسم ليس ، ولنأيها : متعلق به ، وإذ تعليلية ، وفاعل طال ضمير النأى ، والخبر محذوف أى عندى أو موجود

بشر بن ابى خازم والبيت مطلع قصيدة لبشر بن أبى خَازِم ، وهو جاهلى ، وتقدم شرحه وترجمة بشر فى الشاهد الثالث والعشرين بعد الثلاثمائة من شواهد شرح الكافية

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثلاثون [من الطويل]

٣٢ — * فَلَوْ أَنَّ وَاشٍ بِالْيَمَامَةِ دَارُهُ *

تمـامه :

* وَدَارِى بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ اهْتَدَى لِيَا *

وتقدم توجيهه

والواشى : الذى يُزَوِّق الكلام ليُفسد بين متحابين ، واليمامة : اسم بلد بين نجد والحجاز ، وَحَضْرَمَوْت — بفتح الميم وضمها — : مدينة باليمن ؛ غير منصرف ، واللام فى « ليا » بمعنى إلى

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة لمجنون بنى عامر تقدم الكلام عليه فى الشاهد الخامس والثمانين بعد الثمانمائة من شواهد شرح الكافية

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون ، وهو من شواهد سيبويه (١)

[من الطويل]

(١) انظره فى كتاب سيبويه (ج ١ ص ١٧٣)

٣٣ — أَلَمْ تَرَنِي عَاهَدْتُ رَبِّي وَإِنَّنِي لَبَيْنَ رِتَاجٍ قَائِمًا وَمَقَامِ
عَلَى حَلْفَةٍ لاَ أَشْتُمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا وَلاَ خَارِجًا مِنْ فِيَّ زُورُ كَلاَمِ

على أن قوله « خارجا » عند سيبويه مصدرٌ حذف عامله : أى ولا يخرج خروجا ، وعند عيسى بن عمر حال معطوف على الجملة الحالية وهى « لا أشتم » وهذا نص سيبويه : وأما قول الفرزدق :

عَلَى حَلْفَةٍ لاَ أَشْتُمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا وَلَا خَارِجًا مِنْ فِيَّ زُورُ كَلَامِ

فإنما أراد ولا يخرج فيما أستقبل ، كأنه قال : ولا يخرج خروجا ، ألا تراه ذكر عاهدت فى البيت الذى قبله ، فقال « أَلَمْ ترنى عاهدت ربى الخ » على حَلْفَةٍ ، ولو حمله على أنه نفى شيئاً هو فيه ولم يرد أن يحمله على « عاهدت » جاز[1] وإلى هذا الوجه كان يذهب عيسى [بن عمر] فيما نُرَى ؛ لأنه لم يكن يحمله عَلَى «عاهدت» انتهى ؛ فجملة « لا أشتم » على قول سيبويه جواب القسم لقوله عاهدت ، وقوله « ولا خارجا » بتقدير ولا يخرج خروجا ، معطوف على جواب القسم وجعل خارجا فى موضع خروجا ، كأنه قال حلفت بعهد الله لا أشتم الدهر مسلما ولا يخرج من فىّ زور كلام ؛ فلا أشتم ولا يخرج هما جواب القسم فيما يستقبل من الأوقات

قال المبرد فى الكامل :[2] وقوله « ولا خارجا » إنما وضع اسم الفاعل فى موضع المصدر ، أراد لا أشتم الدهر مسلماً ، ولا يخرج خروجا من فىّ زور كلام ، لأنه على ذا أقسم ، والمصدر يقع فى موضع اسم الفاعل ، يقال : ماءٌ غَوْرٌ : أى غائر [كما قال الله عزوجل : (إن أصبح ماؤكم غَوْرًا) ويقال : رجُلٌ عَدْلٌ : أى عادل ، وَيَوْم غَمٌّ : أى غامٌّ][3] وهذا كثير جداً ، فعلى هذا جاء المصدر على فاعل كما جاء اسم الفاعل على المصدر ، يقال : قُمْ قائمًا ، فيوضع فى موضع [قولك][3] قم قياماً ،

المصدر موضع اسم الفاعل وعكسه

(١) فى سيبويه « لجاز »
(٢) انظر كتاب الكامل (١ : ٧١)
(٣) الزيادة عن الكامل ، وسقطت من جميع النسخ

وجاء من المصدر على لفظ فاعل حروف منها فُلِجَ فَالِجًا [وعوفى عافية] ، انتهى .

وقد قيل : إن الجواب يجوز أن يكون جوابا لقوله « عَلَى حَلْفة » ويكون تقدير الكلام ألم ترنى عاهدت ربى على أنى أحلف لا أشتم ولا يخرج من فىّ كلام قبيح .

ومعنى قول سيبويه « نفى شيئاً هو فيه » : أى نفى ما فى الحال ، ولم ينف المستقبل .

وفسر المبرد فى الكامل قول عيسى بن عمر « إنّ خارجا حال » قال : وكان عيسى بن عمر يقول : إنما قوله « لاأشتم » حال ؛ فأراد عاهدت ربى فى هذه الحال وأنا غير شاتم ولا خارج من فى زور كلام ، ولم يذكر الذى عاهد عليه ، انتهى .

والفعل المستقبل يكون فى معنى الحال ، كقوله : جاء زيد يضحك ، وجعل العامل فى الحال على مذهب عيسى بن عمر « عاهدت » كأنه قال : عاهدت ربى لاشاتما الدَّهْرَ ، والمعنى موجبا على نفسى ذلك ومقدرا ذلك ، كذا شرح المبرد والزجاج قول عيسى بن عمر

قال السيرافى : وكلام سيبويه الذى حكاه عن عيسى يخالفه ، وهو قوله : لأنه لم يكن يحمله على « عاهدت » وإذا لم يكن العامل فى الحال « عاهدت » كان عاملها « ألم ترنى » كأنه قال : ألم ترنى لاشاتما مسلما ولاخارجا من فِىّ زور كلام ، وهذا الوجه ذكره أبو بكر مَبْرَمَان [(١)] ، وهذا يعجبنى ؛ لأن « عاهدت » فى موضع المفعول الثانى ، فقد تم المفعولان بعاهدت ، وإما حَلفة [(٢)] وهذ أجود منه

(١) فى الأصول « مبرجان » وهو تحريف ، قال المجد فى القاموس : « ومبرمان لقب أبى بكر الأزمى »

(٢) هذا معطوف على قوله « ألم ترنى » فى قوله « كان عاملها ألم ترنى » وكان من حق الكلام أن يقول : كان عاملها إما ألم ترنى الخ وإما حلفة .

كأنه قال : على أن حلفت لاشاتما ولا خارجا ، انتهى

وذهب الفراء فى تفسير سورة القيامة إلى أنهما حالان ، والعامل «عاهدت» قال : إنما نصب خارجا لأنه أراد عاهدت ربى لاشاتما أحدا ولاخارجا من فىّ زور كلام ، وقوله « لاأشتم » فى موضع نصب ، انتهى

وأيد ابن هشام فى المغنى [١] قول سيبويه ، فقال : والذى عليه المحققون أن خارجا مفعول مطلق ، والأصل ولا يخرج خروجا ، [ثم حذف الفعل ، وأناب الوصف عن المصدر ، كما عكس فى قوله تعالى : (إن أصبح ماؤكم غورا)] [٢] لأن المراد أنه حلف بين باب الكعبة وبين مقام إبراهيم أنه لا يشتم [مسلما] [٢] فى المستقبل ولا يتكلم بزور ، لا أنه حلف فى حال اتصافه بهذين الوصفين على شىء آخر ، انتهى

وبهذا أيضاً يرد على ماذهب إليه بعض أفاضل العجم فى شرح أبيات المفصل فانه بعد أن قرر مذهب سيبويه قال : قلت : لا يبعد أن يكون قوله « لا أشتم » بيانا لما عاهد عليه ربه على وجه الاستئناف ، كأن قائلا قال : ما الذى عاهدت عليه ربك ؟ فقال : لا أشتم ، والمعنى ألم ترنى يعنى رأيتنى عاهدت ربى على أمر هو أنى لا أشتم طول الدهر مسلماً ولا يخرج من فى زور كلام : أى كونه على حلفة : أى حالفاً بالله على ذلك ، فوقع القسم مؤكّداً لما عاهد عليه ربه ، ويجوز أن يكون المعاهد عليه محذوفا ، والتقدير عاهدت ربى على حسن السيرة أو ترك ما لا يعنى ، ثم خص عدم الشتم للمسلم وعدم خروج الكلام الزور عن فيه تأكيداً لنفيهما عن نفسه ، وقوله « على حلفة » فى هذا الوجه يجوز أن يتعلق بمحذوف قدرناه ، وأن يتعلق بقوله « لا أشتم » كأنه قال : عاهدت ربى على حسن السيرة حالفاً بالله على

---

(١) فى مبحث الجمل التى لا محل لها من الاعراب ، فى جملة جواب القسم
(٢) الزيادة عن المغنى فى الموضع المذكور

ذلك ، أو عاهدت ربى على ذلك حالفاً بالله لا أشتم طول الدهر مسلماً خصوصاً ولا أهجوه ولا يخرج من فى كلام زور ، هذا كلامه

وقوله «وإننى لبين رتاج» بكسر همزة إنّ فإن جملتها حالية ، وقول «لبين رتاج ومقام» خبر إنّ ، وقائما ـ وروى بدله «واقفاً» ـ حال من الضمير المستقر فى الظرف، وروى بالرفع فهو خبر ثان ، أو هو خبر إنّ والظرف متعلّقه كقولك إن زيداً لفى الدار قائم ، والرتاج ـ بكسر الراء وآخره جيم ـ قال [١] المبرد : الرتاج : غَلَق الباب ، ويقال : باب مُرْتج : أى مغلق ، ويقال : أُرْتج على فلان : أى أغلق عليه الكلام ، انتهى .

الرتاج ومعناه

وقال ابن السيِّد فيما كتبه على الكامل : الرِّتاج الغَلَق ، وذكره صاحب العين ، وأنشد هذا البيت ، وقال : يعنى باب البيت ومقام إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، ويدل على هذا قول أبى شجرة السلمى :

* مثل الرتاج إذَا مَا لزَّهُ الغَلَقُ *

فهذا يدل على أن الرتاج غير الغلق ، ومما يقوى قول المبرد فى الرتاج قولُ الحطيئة

* إلى عَجُزٍ كَالْبَابِ شُدَّ رِتَاجُه * انتهى

وفى العباب الرَّتَجُ بالتحريك ـ الباب العظيم ، وكذلك الرِّتاج ، ومنه رتاج الكعبة ، ويقال : الرتاج المُغْلَق [٢] وعليه باب صغير ، انتهى

و « أشتم » جاء من باب ضرب ونصر

الفرزدق والحسن البصرى

قال المبرد [١] : التقى الحسن والفرزدق فى جنازة ، فقال الفرزدق للحسن : أتدرى ما يقول الناس يا أبا سعيد ؟ [قال : وما يقولون ؟ قال] [٣] : يقولون

---

(١) انظر الكامل (١ : ٧٠ و ٧١)
(٢) يريد الباب المغلق وعليه باب صغير
(٣) الزيادة عن الكامل (١ : ٧٠)

اجتمع فى هذه الجنازة خير الناس وشر الناس ، فقال الحسن: كلا ، لستُ بخير الناس ولستَ بشرهم ، ولكن ما أعددت لهذا اليوم ؟ فقال: شَهادةَ أن لا إله إلا الله منذ ستون سنةً ، وخمسَ نجائب لاَ يُدْرَكْنَ ، يعنى الصلوات الخمس ، فتزعم التَّيمية(١) أن الفرزدق رؤى فى النوم فقيل له : ما صنع بك ربك ؟ فقال : غفر لى [فقيل له : بأى شىء ؟ فقال] (٢) بالكلمة التى نَازَعَنيهَا الحسن ، وحدثنى العباس بن الفرج [الرياشى] فى إسنادٍ له ذكره ، قال : كان الفرزدق يخرج من منزله فيرى بنى تميم والمصاحف فى حجورهم فيُسَرُّ بذلك وَيَجْذَل به ، ويقول : إيه فِدَاء (٢) لكم أبى وأمى ، كذا والله كان آباؤكم ، ونظر إليه أبو هريرة الدَّوْسىُّ رضى الله عنه فقال [له] : مهما فعلت فَقَنَّطَكَ الناس فلا تقنط من رحمة الله ، ثم نظر إلى قدميه فقال : إنى أرى لك قدمين لطيفتين فابتغ لهما موقفاً صالحاً يوم القيامة

الفرزدق وأبو هريرة

والفرزدق يقول فى آخر عمره حين تعلق بأستار الكعبة وعاهد الله أن لا يكذب ولا يشتم مسلماً :

أَلَمْ تَرَنِى عَاهَدْتُ رَبِّى وَإِنَّنِى   لَبَيْنَ رِتَاجٍ قَائِمًا وَمَقَامِ

إلى آخر البيتين .

وقال ابن السِّيد فيما كتبه على كامله : قوله « والتقى الحسن والفرزدق فى جنازة » ذكر الهيثم بن عدى عن أبى بكر بن عياش أن الفرزدق لقى الحسن رحمه الله فى جنازة عِمْرَان بن مِلْحَان أبى رجاء العطاردى ، سنة خمس ومائة ،

(١) فى الكامل « فيزعم بعض التَّيمية »

(٢) فى الكامل « فدى » مكسورا مقصورا ، واستدركه أبو الحسن الأخفش فقال : إنما هو فداء لكم ؛ من فتح قصر لا غير ، ومن كسر مده لكنه كسر الممدود على هذه الرواية .

فى أول خلافة هشام بن عبد الملك فكلمه بما ذكره المبرد ، ثم انصرف الفرزدق فقال : من [الطويل] :

كلمة للفرزدق فيما كان بينه وبين الحسن

أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّاسَ مَاتَ كَبِيرُهُمْ ... وَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْبَعْثِ بَعْثِ مُحَمَّدِ

وَلَمْ يُغْنِ عَنْهُ عَيْشُ سَبْعِينَ حِجَّةً ... وَسِتِّينَ لَمَّا بَانَ غَيْرَ مُوَسَّدِ

إِلَى حُفْرَةٍ غَبْرَاءَ يُكْرَهُ وِرْدُهَا ... سِوَى أَنَّهَا مَثْوَى وَضِيعٍ وَسَيِّدِ

نَرُوحُ وَنَغْدُو وَالْحُتُوفُ أَمَامَنَا ... يَضَعْنَ لَنَا حَتْفَ الرَّدَى كُلَّ مَرْصَدِ

وَقَدْ قَالَ لِي مَاذَا تُعِدُّ لِمَا تَرَى ... فَقِيهٌ إِذَا مَا قَالَ غَيْرُ مُفَنَّدِ

فَقُلْتُ لَهُ أَعْدَدْتُ لِلْبَعْثِ وَالَّذِي ... أَرَادَ بِهِ أَنِّي شَهِيدٌ بِأَحْمَدِ

وَأَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُ رَبِّي هُوَ الَّذِي ... يُمِيتُ وَيُحْيِي يَوْمَ بَعْثٍ وَمَوْعِدِ

فَهَذَا الَّذِي أَعْدَدْتُ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ ... وَإِنْ قُلْتَ لِي أَكْثِرْ مِنَ الْخَيْرِ وَازْدَدِ

فَقَالَ قَدِ اعْتَصَمْتَ بِالْخَيْرِ كُلِّهِ ... تَمَسَّكْ بِهَذَا يَا فَرَزْدَقُ تَرْشُدِ

وذكر الأصبهانى عن محمد بن سلام أنها كانت جنازة النوّار زوج الفرزدق .

وبعده قوله :

بيتان من كلمة الشاهد

أَطَعْتُكَ يَا إِبْلِيسُ سَبْعِينَ حِجَّةً (١) ... فَلَمَّا انْتَهَى شَيْبِي وَتَمَّ تَمَامِي

رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي وَأَيْقَنْتُ أَنَّنِي ... مُلَاقٍ لِأَيَّامِ الْمَنُونِ حِمَامِي

وهى قصيدة مطولة أنشدها يعقوب بن السكيت ، انتهى ماكتبه ابن السيد .

وفى أمالى السيد الشريف (٢) المرتضى رحمه الله تعالى روى أن الفرزدق

---

(١) كذا فى الديوان ، وفى أمالى المرتضى (١ : ٤٦) « تسعين حجة » وفيه « فلما قضى عمرى » وفيه « فزعت إلى ربى » وفيه « لأيام الحتوف »

(٢) انظر أمالى المرتضى (١ : ٤٦)

تعلق بأستار الكعبة ، وعاهدالله على ترك الهجاءوالقذف اللذين [كان] ارتكبهما وقال : ألم ترنى عاهدت ربى ، إلى آخر الأبيات الأربعة .

ثم حدث عن أبى عبيد الله المَرْزُبَانِى بسنده أن الحسن البصرى شهد جنازة النَّوَار امرأة الفرزدق ، وكان الفرزدق حاضرا ، فقال له الحسن وهو عند القبر : يا أبا فراس ، ما أعددت لهذا المضجع ؟ فقال: شهادَةَ أن لا إله إلا الله منذ ثمانون سنة فقال له الحسن : هذا العمود فأين الطُّنُبُ ؟ وفى رواية أخرى أنه قال : نِعْمَ ما أعدت ، ثم قال الفرزدق فى الحال :

كلمة اخرى للفرزدق

أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ إِنْ لَمْ يُعَافِنِي ... أَشَدَّ مِنَ الْمَوْتِ الْتِهَاباً وَأَضْيَقَا
إِذَا جَاءَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدٌ ... عَنِيفٌ وَسَوَّاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقَا
لَقَدْ خَابَ مِنْ أَوْلَادِ آدَمَ مَنْ مَشَى ... إِلَى النَّارِ مَغْلُولَ الْقِلَادَةِ أَزْرَقَا
يُقَادُ إِلَى نَارِ الْجَحِيمِ مُسَرْبَلاً ... سَرَابِيلَ قَطْرَانٍ لِبَاساً مُحَرَّقَا

قال : فرأيت الحسن يدخل بعضه فى بعض ، ثم قال : حَسْبُكَ ، ويقال : إن رجلا رأى الفرزدق فى منامه (١) بعد موته ، فقال : ما فعل الله بك ؟ فقال : عفى عنى بتلك الأبيات ، انتهى .

توبة الفرزدق وحفظه القرآن وفك قيوده

وقال محمد بن حبيب فى شرح المناقضات : إن الفرزدق حَجَّ فعاهد الله بين الباب والمقام أن لا يهجو أحدا وأن يُقَيِّد نفسه حتى يجمع القرآن حفظا ، فلما قدم البصرة قَيَّد نفسه وحلف أن لا يُطْلِق قيده عنه حتى يجمع القرآن ، وقال * ألم ترنى عاهدت ربى . . . * الأبيات ؛ وبلغ نساء بنى مجاشع فحش الْبَعِيث وجرير بهن فأتين الفرزدق مقيداً فقلن : قبح الله قَيْدَكَ وقدهَتَكَ جرير عورات نسائك، فأغضبنه ففض قيده وقال قصيدة يجيبهما ، منها :

---

(١) فى أمالى المرتضى « بعدموته فى منامه »

فَإِنْ يَكُ قَيْدِى كَانَ نَذْراً نَذَرْتُهُ
فَمَا بِيَ عَنْ أَحْسَابِ قَوْمِيَ مِنْ شُغُلِ

أَنَا الضَّامِنُ الرَّاعِي عَلَيْهِمْ ، وَإِنَّمَا يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي (١)

والقصيدة التى البيت الشاهد منها أوردها الخضر الموصلى فى شواهد التفسيرين ، عند قوله تعالى (وأرسلناك للناس رسولا) وقد مرت ترجمة الفرزدق فى الشاهد الثلاثين من شرح الكافية

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون [من الطويل]

٣٤ — لَقِيتُ بِدَرْبِ الْقُلَّةِ الْفَجْرَ لَقْيَةً
شَفَتْ كَمَدِى وَاللَّيْلُ فِيهِ قَتِيلُ

على أنه يجوز أن يأتى مصدر لقيته على لَقْيَة قياسا كما فى البيت

وهو من قصيدة للمتنبى مدح فيها سيف الدولة أولها :

لَيَالِيَّ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُولُ طِوَالٌ ، وَلَيْلُ الْعَاشِقِينَ طَوِيلُ

إلى أن قال « لقيت بدرب القلة ــ الخ » يريد أن الليل انقضى و بدت تباشير الصبح وقد وافى هذا المكان فشفى لقاء الصبح كمده والليل قتيل فى الفجر ؛ لأنه ينقضى بطلوعه ، وقد أخذ بعضهم هذا المعنى وكشف عنه فقال :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الصُّبْحَ قَدْ سَلَّ سَيْفَهُ وَوَلَّى انْهِزَاماً لَيْلُهُ وَكَوَاكِبُهْ

وَلَاحَ احْمِرَارٌ قُلْتُ قَدْ ذُبِحَ الدُّجَى وَهٰذَا دَمٌ قَدْ ضَمَّخَ الْأَرْضَ سَاكِبُهْ

كذا فى شرح الواحدى ، والكمد : الحزن المكتوم ، وهو مصدر من باب تَعِب ، وكأنه لقى من الليل سهراً وكآبة وطولا فأكمده ذلك ، ثم فرح بلقاء

---

(١) كذا فى النقائض والديوان ، ويرويه النحاة « أنا الذائد الحامى الذمار » وانظر معاهد التنصيص (١١٩ بولاق) وانظر دلائل الاعجاز للجرجانى (٢٥٣ المنار)

الصباح فجمل الفجر قاتلا لليل شافيا له منه ، ودَرْبُ القلة بضم القاف ـ موضع قرب ملطية(١) كان سيف الدولة غزا تلك النواحي في سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة ، وذكر المتنبي المواضع التي غزاها في تلك السنة في هذه القصيدة

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون [من البسيط] :

٣٥ — هَا إِنْ تَا عِذْرَةٌ إِنْ لَمْ تَكُنْ قُبِلَتْ
فَإِنَّ صَاحِبَهَا قَدْ تَاهَ فِي الْبَلَدِ

على أن عِذرة ـ بكسر العين ـ مصدر للنوع بتقدير صفة معلومة بقرينة الحال : أي عذر بليغ ، والوجه أن هذا الوصف مفهوم من التنوين

وهذا البيت من قصيدة للنابغة الذبياني اعتذر بها إلى النعمان بن المنذر ملك الحيرة بعد أن هرب منه إلى ملوك غسَّان في الشام لما اتُّهِمَ بامرأته المتجردة وأراد قتله وأرسل إلى النعمان قصائد يتنصَّل [بها] عما اتهم به ويعتذر إليه عن هروبه وإقامته عند ملوك غسان ، وقد شرحنا حاله في الشاهد الرابع بعد المائة من شواهد شرح الكافية

صاحب الشاهد وسبب كلمته

وقبل هذا البيت :

نُبِّئْتُ أَنَّ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي وَلاَ قَرَارَ عَلَى زَأْرٍ مِنَ الأَسَدِ (٢)

---

(١) ملطية — بفتح أوله وثانيه وسكون الطاء وتخفيف الياء ، والعامة تقوله بتشديد الياء وكسر الطاء — : بلدة من بلاد الروم مشهورة تتاخم الشام وفيها يقول المتنبي :

وَكَرَّتْ فَمَرَّتْ فِي دِمَاء مَلَطْيَةٍ مَلَطْيَةُ أُمٌّ لِلْبَنِينَ ثَكُولُ

ويقول أبو فراس :

وَأَلْهَبْنَ لِهِبْيَ عِرْقَةٍ وَمَلَطْيَةٍ وَعَادَ إِلَى مَوْزَارَ مِنْهُنَّ زَائِرُ

(٢) في الديوان « أنبئت » وفيه « ولا مقام » والبيت الذي ذكره المؤلف ليس متصلا ببيت الشاهد ، وبيت الشاهد آخر القصيدة كما قال

وهما آخر القصيدة .

ونبئت — بالبناء للمفعول — بمعنى أخبرت ، وأبو قابوس : كنية النعمان ، وقابوس معرب كاووس اسم ملك من ملوك العجم ، وأوعد — بالألف — لايكون إلافى الشر ، بمعنى هددنى ، والزأر : مصدر زَأَرَ الأسدُ إذا صَوَّت بحنق، وهو تمثيل لغضبه ، وقوله « ها إن تاعذرة » استشهد به الشارح فى باب اسم الاشارة ، وفى هاء التنبيه من شرح الكافية - على أن الفصْل بين « ها » وبين اسم الاشارة بغير « أنا » وأخواته قليل ، والفاصل هنا « إنّ » ؛ وتا : اسم إشارة المؤنث ، بمعنى هذه ، وروى أيضا « ها إن ذى عذْرَة » ؛ والإشارة لما ذكر فى قصيدته من يمينه على أنه لم يأت بشىء يكرهه ، وقيل : الإشارة للقصيدة : أى إن هذه القصيدة ذات عذرة ، وقال بعضهم : التقدير أن عذرتى هذه عذْرة ، والعِذْرة — بالكسر — اسم للعذر بالضم ، قال صاحب الصحاح : يقال : عَذَرْته فيما صنع أعْذره عُذْرا ، والاسم الْمَعْذِرة والْعُذْرى ، وكذلك العِذْرة وهى مثل الرِّكبة والجِلْسة وأنشد هذا البيت ، وفى المصباح عَذَرته فيما صنع عذْرا ، من باب ضرب ، رفعت عند اللوم فهو معذور : أى غير مَلُوم

وقوله « إن لم تكن نفعت فان صاحبها » المحدث عنه فى الجميع العِذْرة ، وأراد بصاحب العذرة نفسه

وتاه الإنسان يتيه تَيْها : ضل عن الطريق ، وأراد لازمه وهو الهلاك ، والمعنى إن لم تقبل عذرى فترضى عنى فانى أضل فى البلدة التى أنا فيها لما أنا فيه من عظيم الدهشة الحاصلة من وعيدك

والنابغة الذبيانى شاعر جاهلى ؛ وقد ترجمناه هناك :

أسماء الزمان والمكان

أنشد الجاربردى فيهما :

كَأَنَّ مَجَرَّ الرَّامِسَاتِ ذُيُولَهَا عَلَيْهِ قَضِيمٌ نَمَّقَتْهُ الصَّوَانِعُ

وسيأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى أول باب المنسوب

الآلة

اسم الآلة أنشد فيها ، وهو الشاهد السادس والثلاثون [من الرجز]

٣٦ — يَمَّمْنَ أَعْدَاداً بِلُبْنَي أَوْأَجَا مُضَفْدِعَاتٍ كُلُّهَا مُطَحْلِبَهْ

على أنه يقال : مُضَفْدِع ومُطَحْلِب ، بوزن اسم الفاعل ، بمعنى كثير الضفادع وكثير الطحالب

والبيت أورده الجوهرى فى مادة الضفدع ، وقال : يريد مياها كثيرة الضفادع وقال الصاغانى فى العباب : وضَفدعَ الماء ، إذا صارت فيه الضفادع ، وأنشد البيت أيضا

ويَمَّمْن بمعنى قَصَدْن ، بنون الأناث ، والأعداد : جمع عِدّ بكسر العين المهملة ، وهو الماء الذى له مادّة لا تنقطع كماء العين وماء البئر ، ولُبْنَي — بضم اللام وسكون الموحدة بعدها نون وألف مقصورة — اسم جبل ، وروى بدله «سَلْمَى» وهو اسم جبل أيضا لطىء ، وكذلك أجأ جبل لطى بفتح الهمزة بعدها جيم ، والأكثر همز آخره ، قال امرؤ القيس :

أَبَتْ أَجأٌ أَنْ تُسْلِمَ الْعَامَ جَارَهَا فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْهَضْ لَهَا مِنْ مُقَاتِلِ (١)

وقد لا يهمز ، كما فى البيت ، وكما قال العجاج :

* فإِنْ تَصِرْ لَيْلَى بِسَلْمَى أَوْ أَجَا *

---

(١) «من» ههنا ليست للتبعيض ، بل هى بيانية ، والمعنى من شاء من المقاتلين أن ينهض لمحاربة أهل أجأ فليفعل

وقوله « بلبنى » الجار متعلق بمحذوف صفة لأعداد ، وقوله « مضفدعات » صفة ثانية لأعداد ، وكلها مبتدأ ، والضمير للأعداد ، ومطحلبة خبر المبتدأ ، والجملة صفة ثالثة ، والطُّحْلُب ــ بضم الطاء واللام ويجوز فتح اللام ــ شىء أخضر لزج يخلق فى الماء ويعلوه ، يقال : ماء طَحِل ــ بفتح فكسر ــ أى كثير طحلبه ، وعين طحلة كذلك ، ومُطَحْلِب قليل

لبيد — ولبيد رضى الله عنه هو شاعر صحابى من بنى عامر ، وقد تقدم ترجمته فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة من شواهد شرح الكافية

المصغر

المصغر — أنشد فيه ، وهو الشاهد السابع والثلاثون [من البسيط]

٣٧ — يَامَا أُمَيْلِحَ غِزْلَانًا شَدَنَّ لَنَا   مِنْ هٰؤُلَيَّائِكُنَّ الضَّالِ وَالسَّمُرِ

على أن تصغير أميلح من قبيل تصغير لُطَيِّف ونحوه ، يريد أن التصغير فى فعل التعجب راجع إلى المفعول المتعجب منه ، أى هذه الغزلان مُلَيِّحات ، قال سيبويه (١) : أرادوا تصغير الموصوف بالملاحة ، كأنهم قالوا مُلَيِّح ، لكنهم عدلوا عن ذلك وهم يعنون الأول ، ومن عادتهم أن يلفظوا بالشىء وهم يريدون شيئا آخر ، وقد أوردنا ما يتعلق به مفصلا فى الشاهد السادس من أوائل شرح الكافية

---

(١) نقل المؤلف عبارة سيبويه بالمعنى وإليك العبارة نقلا عن سيبويه (٢:١٣٥) « وسألت الخليل عن قول العرب ما أميلحه فقال : لم يكن ينبغى أن يكون فى القياس لأن الفعل لا يحقر ، وإنما تحقر الأسماء لأنها توصف بما يعظم ويهون ، والأفعال لا توصف فكرهوا أن تكون الأفعال كالأسماء لمخالفتها إياها فى أشياء كثيرة ولكنهم حقروا هذا اللفظ ، وإنما يعنون الذى تصفه بالملح كأنك قلت مليح شبهوه بالشىء الذى تلفظ به وأنت تعنى شيئا آخر نحو قولك يطؤهم الطريق وصيد عليه يومان ، ونحو هذا كثير فى الكلام ، وليس شىء من الفعل ولا شىء مما سمى به الفعل يحقر إلا هذا وحده وما أشبهه من قولك ما أفعله » اهـ

ويا : حرف نداء ، والمنادى محذوف ، والتقدير ياصاحبى ، وما : استفهامية تعجبية [1] ، وأملح : فعل تعجب من الملاحة وهى البهجة وحسن المنظر ، وفعله مَلُح الشيء بالضم مَلاَحَةً ، وغزلانا : مفعول فعل التعجب ، جمع غزال ، وهو ولد الظبية ، قال أبو حاتم : الظبى أوّلَ مايولد طَلًى ، ثم هو غزال ، والأنثى غزالة ، فاذا قوى وتحرك فهو شَادِن ، فاذا بلغ ستة أشهر أو سبعة أشهر فهو خِشْفٌ ، والرَّشَأ : الفتى من الظباء ، فاذا أثنى فهو ظبى ، ولا يزال ثَنِيًّا حتى يموت والأنثى ثنية وظبية ، والثَّنِيُّ على فعيل : الذى يلقى ثنيتَه أى سنه من ذوات الظلف والحافر فى السنة الثالثة ، وشَدَنَّ : من شَدَنَ الغزال بالفتح يَشْدُن بالضم شُدونًا ، إذا قوى وطلع قَرْنَاه واستغنى عن أمه ، والنون الثانية ضمير الغزلان ، وجملة «شدن» صفة غزلان ، ولنا ومن : متعلقان بشدنّ ، وقوله «من هوليائكن» هو مصغر هؤلاء شذوذا ، وأصله أولاء — بالمد والقصر — وها : للتنبيه ، وأولى : اسم إشارة يشار به إلى جمع ، سواء كان مذكرا أو مؤنثا ، عاقلا أو غير عاقل ، والكاف حرف خطاب ، والنون حرف أيضا لجمع الإناث ، وقد استشهد به النحاة على دخول ها التنبيه عليه وعلى تصغيره شذوذا ، ورواه الجوهرى « من هُؤَلَيَّاءِ بَيْنَ بين الضال والسمر» وقال : لم يصغروا من الفعل غير هذا ، وغير قولهم « ما أُحَيْسِنه » والضال : عطف بيان لاسم الإشارة ، وهو السدر البرى ، جمع ضالة ، ولهذا صح إتباعه لاسم الإشارة إلى الجمع ، وألفه منقلبة من الياء ، والسِّدر : شجر النبق ، والسَّمُر بفتح السين وضم الميم : جمع سَمُرة ، وهو شجر الطَّلح ، وهو شجر عظيم شائك

والبيت من جملة أبيات اختلف فى قائلها ، وعدتها ، وقد ذكرنا الكلام عليه مستوفى هناك فى الشاهد السادس

---

(١) فى نسخة « تعجيبية »

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون :

٣٨ — وَكُلُّ أُنَاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ
دُوَيْهِيَةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الأَنَامِلُ

تصغير التعظيم

على أن تصغير دُوَيْهِية قريب من التصغير للتعظيم ، وحقق الشارح المحقق أن تصغيرها للتحقير ، قال : إذ المراد بها الموت : أى يجيئهم مايحتقرونه مع أنه عظيم فى نفسه تصفر منه الأنامل ، والقول بأن تصغيرها للتعظيم هو قول الكوفيين ، وسوف هنا للتحقيق والتأكيد ، والداهية : مصيبة الدهر ، مشتقة من الدَّهْى بفتح الدال وسكون الهاء ، وهو النكر ، فان كل واحد ينكرها ولا يقبلها ، ودَهَاه الأمر يَدْهَاه إذا أصابه بمكروه ، ورواه ابن دريد فى الجمهرة « خُوَيْخِيَةٌ تصفر — الخ » وقال : الخُوَيْخِية الداهية ، وهو بخاءين معجمتين مصغر الخَوْخَة بالفتح ، وهى الباب الصغير ، وكذا روى الطوسى أيضا عن أبى عمرو ، وقال : يقول : ينفتح عليهم باب يدخل عليهم منه الشر ، وإذا مات الرجل أو قتل اصفرت أنامله واسودت أظافره . وقيل : المراد من الأنامل الأظفار ؛ فإن صفرتها لاتكون إلا بالموت

والبيت من قصيدة للبيد ، رضى الله عنه . ابن عامر الصحابى ، وتقدم شرح أبيات منها مع ترجمته فى الشاهد الثالث والعشرين بعد المائة من شواهد شرح الكافية

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون [من الطويل]

٣٩ — فُوَيْقَ جُبَيْلٍ شَاهِقِ الرَّأْسِ لَمْ تَكُنْ لِتَبْلُغَهُ حَتَّى تَكِلَّ وَتَعْمَلَا

على أنه استُدِل لمجىء التصغير للتعظيم بتصغير جبيل فى البيت

قال ابن (١) يعيش : للتصغير معان ثلاثة : تحقير مايتوهم (٢) أنه عظيم كرجيل

(١) انظر شرح المفصل لابن يعيش « ٥ : ١١٣ مصر »

(٢) فى شرح المفصل « ما يجوز أن يتوهم أنه الخ » وكذا فى الذى بعده

وتقليل مايتوهم أنه كثير كدُرَيْهِمَات ، وتقريب مايجوز أن يتوهم أنه بعيد كبُعَيْدَ العصر وقُبَيْلَ الفجر ، وأضاف الكوفيون قسما رابعا يسمونه تصغير التعظيم ، كقول الشاعر :

* دُوَيْهِيَة تصفرُّ منْها الأنامل *

والمراد التعظيم ، إذ لاداهية أعظم من الموت ، وقال آخر :

* فويق جبيل شاهق الرأس — البيت *

قال « جبيل » ثم قال « شاهق الرأس » وهو العالى ؛ فدل على أنه أراد تفخيم شأنه ، وهذا ليس من أصول البصريين ، وجميع ماذكروه راجع إلى معنى التحقير ، فأما قولهم « دويهية » فالمراد أن أصغر الأشياء قد يفسد الأمور العظام ، فحتف النفوس قد يكون بصغير الأمر الذى لايؤبه له ، وأما « فويق جبيل » فالمراد أنه صغير العرض دقيق الرأس شاق المصعد لطوله وعلوه ، انتهى

ومن الكوفيين أبو حنيفة الدِّينَوَرِىُّ ، قال فى كتاب النبات : وإنما صغر الجبل على وجه التعظيم ، كما قالوا للداهية : دويهية ، ولم يرد التحقير ، وكيف وقد قال « شاهق الرأس »

وكذا قال ابن السكيت فى شرحه للبيت ، قال : يقول : هو صغير العرض ذاهب فى السماء ، وفويق جبيل أراد أن يكبره بتصغيره كما قال

* وكل أناس سوف ... البيت *

ويروى « سامق الرأس » و «شاهق الرأس » و « شامخ الرأس » والجميع واحد ، انتهى

وتبعهم ابن هشام فى[1] المغنى ، فقال : ونظير رب فى إفادة التكثير تارة والتقليل أخرى صيغُ التصغير ، تقول حُجَيْر ورُجَيْل فتكون للتقليل ، وقال :

(١) فى مباحث « رب » من الباب الأول من كتاب المغنى

* فُوَيْقَ جُبَيْلٍ شَامِخٍ لَنْ تَنَالَهُ ـ البيت[1] *

وقال لبيد رضى الله عنه :

* وكل أناس سوف ـ البيت *

ولم يتعرض له شراحه بشىء

قال الشمنى : تمثيله بجبيل ودُوَيْهية للتكثير ، وبحجير ورجيل للتقليل ؛ مبنى على عدم الفرق بين التعظيم والتكثير و بين التحقير والتقليل ، انتهى .

وقال ابن الملا : والتصغير فى كل من فويق وجبيل ليس للتقليل الذى يراد به التحقير ؛ لأن وصفه بما ذكر مناف لحقارته ، بل هو للتعظيم ، وأريد بالدويهية الموت ، ومن ثم قلنا إن تصغيرها للتعظيم إذ لا داهية أعظم من الموت ، ومن زعم أن الداهية إذا كانت عظيمة كانت سريعة الوصول فالتصغير لتقليل المدة فقد تَكَلَّفَ ، أو أن التصغير على حسب احتقار الناس لها وتهاونهم فيها : أى يجيئهم ما يحتقرونه مع أنه عظيم فى نفس الأمر فقد تعسَّف ، هذا كلامه

وهذا مجرد دعوى من غير بيان للتكلف والتعسف

والبيت من قصيدة لأوس بن حَجَر فى وصف قوس ، ولا بد من نقل أبيات قبله حتى يتضح معناه ، قال بعد ستة أبيات من القصيدة :

كلمة لأوس ابن حجر

وَإِنِّى امْرُؤٌ أَعْدَدْتُ لِلْحَرْبِ بَعْدَمَا ... رَأَيْتُ لَهَا نَابًا مِنَ الشَّرِّ أَعْصَلَا
أَصَمَّ رُدَيْنِيًّا كَأَنَّ كُعُوبَهُ ... نَوَى الْقَسْبِ عَرَّاصًا مُزَجًّى مُنَصَّلَا
عَلَيْهِ كَمِصْبَاحِ الْعَزِيزِ يَشُبُّهُ ... لِفِصْحٍ وَيَحْشُوهُ الذُّبَالَ الْمُفَتَّلَا
وَأَبْيَضَ هِنْدِيًّا كَأَنَّ غِرَارَهُ ... تَلَأْلُؤُ بَرْقٍ فِى حَبِىٍّ تَكَلَّلَا
إِذَا سُلَّ مِنْ غِمْدٍ تَأَكَّلَ أَثْرُهُ ... عَلَى مِثْلِ مِسْحَاةِ اللُّجَيْنِ تَأَكُّلَا

---

(١) تمامه فى هذه الرواية :

* بِقُنَّتِهِ حَتَّى تَكِلَّ وَتَعْمَلَا *

كَأَنَّ مَدَبَّ النَّمْلِ يَتَّبِعُ الرُّبَا ... وَمَدْرَجَ ذَرٍّ خَافَ بَرْدًا فَأَسْهَلَا
عَلَى صَفْحَتَيْهِ بَعْدَ حِينِ جِلَائِهِ ... كَفَى بِالَّذِى أُبْلِى وَأَنْعَتُ مُنْصُلَا
وَمَبْضُوعَةٍ مِنْ رَأْسِ فَرْعٍ شَظِيَّةٍ ... بِطَوْدٍ تَرَاهُ بِالسَّحَابِ مُجَلَّلَا
عَلَى ظَهْرِ صَفْوَانٍ كَأَنَّ مُتُونَهُ ... عُلِلْنَ بِدُهْنٍ يُزْلِقُ الْمُتَنَزِّلَا
يُطِيفُ بِهَا رَاعٍ يُجَشِّمُ نَفْسَهُ ... لِيَكْلَأَ فِيهَا طَرْفَهُ مُتَأَمِّلَا
فَلَاقَى امْرَأً مِنْ مَيْدَعَانَ وَأَسْمَحَتْ ... قَرُونَتُهُ بِالْيَأْسِ مِنْهَا وَعَجَّلَا
فَقَالَ لَهُ هَلْ تَذْكُرَنَّ مُخَبِّرًا ... يَدُلُّ عَلَى غُنْمٍ وَيَقْصُرُ مُعْمِلَا
عَلَى خَيْرِ مَا أَبْصَرْتَهَا مِنْ بِضَاعَةٍ ... لِمُلْتَمِسٍ بَيْعًا بِهَا أَوْ تَبَكُّلَا
فُوَيْقَ جُبَيْلٍ شَامِخِ الرَّأْسِ لَمْ تَكُنْ ... لِتَبْلُغَهُ حَتَّى تَكِلَّ وَتَعْمَلَا
فَأَبْصَرَ أَلْهَابًا مِنَ الطَّوْدِ دُونَهَا ... يَرَى بَيْنَ رَأْسَىْ كُلِّ نِيقَيْنِ مَهْبَلَا
فَأَشْرَطَ فِيهَا نَفْسَهُ وَهْوَ مُعْصِمٌ ... وَأَلْقَى بِأَسْبَابٍ لَهُ وَتَوَكَّلَا
وَقَدْ أَكَلَتْ أَظْفَارَهُ الصَّخْرُ كُلَّمَا ... تَعَيَّا عَلَيْهِ طُولُ مَرْقًى تَسَهَّلَا
فَمَا زَالَ حَتَّى نَالَهَا وَهْوَ مُعْصِمٌ ... عَلَى مَوْطِنٍ لَوْ زَلَّ عَنْهُ تَفَصَّلَا
فَلَمَّا نَجَا مِنْ ذَلِكَ الْكَرْبِ لَمْ يَزَلْ ... يُمَظِّعُهَا مَاءَ اللِّحَاءِ لِتَذْبُلَا
فَلَمَّا قَضَى مِمَّا يُرِيدُ قَضَاءَهُ ... وَصَلَّبَهَا حِرْصًا عَلَيْهَا فَأَطْوَلَا
أَمَرَّ عَلَيْهَا ذَاتَ حَدٍّ دَعَا لَهَا ... رَفِيقًا بِأَخْذٍ بِالْمَدَاوِسِ صَيْقَلَا
فَجَرَّدَهَا صَفْرَاءَ لَا الطُّولُ عَابَهَا ... وَلَا قِصَرٌ أَزْرَى بِهَا فَتَعَطَّلَا

ثم وصفها بعشرة أبيات وقال :

فَذَاكَ عَتَادِى فِى الْحُرُوبِ إِذَا الْتَظَتْ ... وَأَرْدَفَ بَأْسٌ مِنْ حُرُوبٍ وَأَعْجَلَا

قوله « و إنى امرؤ أعددت » : أى هيأت عدة ، و « أعصل » بمهملتين أعوج
قال ابن السكيت فى شرحه : يقول : هى حرب قَدُمَتْ وَأَسَنَّت فهو أشد لها
وقوله « أصم ردينيا الخ » هومفعول أعددت ؛ والأصم : المصمت الذى لا جوف له

وموصوفه محذوف أى رمحا أصم ، والرمح الرُّدَيْنِي منسوب إلى ردينة بالتصغير وهى امرأة كانت تقوم الرماح وكان زوجها سَمْهَرٌ أيضا يقوم الرماح ، يقال لرماحه السمهرية ، قال ابن السكيت : الكعب الأنبوب ، ويسمون العقدة كعبا ، وهو المراد هنا ، والقَسْبُ : تمر يابس نواه مر صلب ، والْعَرَّاص — بمهملات — الشديد الاضطراب ، والمُزَجَّى : الذى جعل له زُجٌّ بضم الزاى وتشديد الجيم ، وهى الحديدة التى فى أسفل الرمح تغرز فى الأرض ، والْمُنَصَّلُ : الذى جعل له نصل ، وهو السنان وقوله «عليه كمصباح العزيز الخ» المصباح : السراج ، والعزيز : الملك ، وسراجه أشد ضوءا ، وَيَشُبُّهُ : يوقده ، والفِصْح بالكسر — يوم فطر النصارى ، والذبال بالضم الفتائل ، وكل فتيلة ذبالة ، ويحشوه : أى يحشو موضع الفتائل ، يقول: على ذلك الرمح الأصم سراج كسراج الملك من توقده لارتفاع ناره ، ثم وصف الرمح بثلاثة أبيات أُخَر . وقال «وأبيض هنديا الخ» هو معطوف على أصم : أى وأعددت أيضا أبيض هنديا وهو السيف ، والغرار بكسر المعجمة حد السيف ، والحبى : ماحبا من السحاب أى ارتفع وأشرف ، وتكلل السحاب : صار بعضه فوق بعض ، وهو أشد لإضاءة البرق ، وقوله «إذا سل من غمد الخ» سَلَلت السيف من غمده : أى أخرجته من قرابه ، وتأكل: توهج واشتد ، وأثر السيف بالفتح : جوهره ، والمِسْحاة بالكسر إناء من فضة ، وهو القدح ، واللجين الفضة ، يقول على متن سيف كأنه فضة ، وقوله « كأن مَدَبَّ النمل الخ » الْمَدَبُّ الموضع الذى يدب فيه ، والرّبا جمع رَبْوَة وهو ما ارتفع من الأرض ، والْمَدْرج كالمدب وزنا ومعنى ، وإنما يتبع النمل الربا لأنه يفر من الندى . يقول : اشتد على النمل البرد فى أعلى الوادى فأسهل أى أتى السهل فاستبان أثره ، قوله «على صفحتيه» متعلق بمدب النمل ، والجلاء : الصقل قال ابن السكيت: أُبْلِي — بضم الهمزة — أشفيك من نعته وأحدثك عنه ويقال أَبْلِني يمينا أى طيّب نفسى ، وَالْمُنْصُل — بضم الميم والصاد — السيف . وقوله ومبضوعة

هو معطوف على أصم أيضا : أى وأعددت قوسا مبضوعة أى مقطوعة ، والفرع أعلى الشجرة ، والشظية - بفتح الشين وكسر الظاء المعجمتين - الشقة والفلقة ، وهى صفة لمبضوعة ، والباء فى بطود متعلقة بمحذوف حال من رأس فرعٍ ، وجملة «تراه الخ» صفه لطود ، والرؤية بصرية ، ومفعولها الهاء الراجعة إلى طود ، ومجللا حال من الهاء ، وهو اسم مفعول من جلله بمعنى غطاه وألبسه ، وبالسحاب متعلق به ، وقوله « على ظهر صفوان الخ » قال ابن السكيت : يقول : نبتت على حجر يزلق الرجل المتنزل لملاسته ، وَعُلِلْن سقين مرة بعد مرة ، وقوله « يطيف بها راع الخ » قال ابن السكيت : يطيف بهذه القوس المبضوعة راعٍ أى حافظٌ ليجعل طرفه كالئا يحفظ منها منظرا ، والسكالئ الحافظ ، وقوله « فلاقى امرءا من ميدعان الخ » قال ابن السكيت : « فمجل به اليأس : أى لم يتحبس به اليأس ، هذا الذى رآها لاقى امرءا من ميدعان وهو حى من اليمن من أزد السراة . وقد استشعر اليأس منها ؛ فاستشار الآخر فقال : هل تذكر رجلا يصيب الغنم ويقصر العمل : أى يجىء بعمل قصير ، أراد أنهما تشاورا فدله على الذى رأى فمجلا ، يقول : كان نسى أنه يئس منها فلما دله عليها عجّل إلى ماقال ، وأسمحت قرونته وقرينته جميعا وهى النفس باليأس : أى تابعته نفسه على اليأس ولم تنازعه ، وهذا مثل قولك : لقى فلان فلانا ونسى ما أتى إليـه : أى وقد نسى ، انتهى كلامه ، وقوله « فقال له هل الخ » أى : هل تذكرن رجلا يدل على غنيمة ، ويقصر معملا : أى ويقل العمل والعناء : وقوله «على خير ما أبصرتها» قال ابن السكيت : « أى فقال هل تدل على خير ما أبصرتها ؟ أى : خير ما أبصرت من بضائع الناس ، والتبكل : التغنم ، يقال : تبكل أى تغنم إن أراد بيعا أوغنما ، وقال : المتبكل الذى يتأكل بها الناس يقول لهذا سوف أبيعك ولهذا سوف أعيرك » انتهى

وقال أبو حنيفة فى كتاب النبات : ميدعان حى من أزد السراة ، وهم أهـل

جبال شجيرة ، يقول : إما لأن يبريها و إما لأن يتخذها معاشا لصيد أوغزو ، والتبكل التكسب من ها هنا وهاهنا وأصل البكل الخلط ، والقواسون يطلبون هذه العيدان العتق من مظانها من منابتها ، حيث كانت من السهول والوعور ، و يستدلون عليها الرّعاء وقناص الوعول و يجعلون فيها الجعائل ور بما أبصروا الشجرة منها بحيث لا يستطيعه راق ولا نازل فيتدلون عليها بالحبال فى المهاوى والمهالك كما يتدلى من يشتار العسل على الوقاب (١) وأخبرنى بعض الأعراب : قال يطلب القواسون هذه العيدان العُتْق فان وجدوها مستحكمة اقتطوها ، وإن لم تكن مستحكمة حوضوا حولها وحملوا إليها الماء ، فر بما ر بوها كذلك سنين حتى تستحكم ، قال : وإذا وجد الرعاء منها شجرة دلوا عليها القواس وأخذوا على ذلك ثوابا ، فقلت له : وكم تبلغ القوس عندكم ؟ فقال : [تبلغ] إذا كانت جيدة خمسمائة درهم ، وقد ذكر أوس ابن حجر كل ذلك فى وصفه القوس فقال فى منعَة منبت عودها : ومبضوعة من رأس فرع الى آخر أبيات ثلاثة ، ثم قال ثم ذكر استرشاده مَنْ عسى أن يدله فقال : فلاقى امرأ من ميدعان إلى آخر أبيات ثلاثة ، ثم قال ثم وصف امتناع منبتها وتدلّيه عليه بالحبال فُوَيق جبيل شاهق الرأس إلى آخر الأبيات ، وقوله « فويق » مصغر فوق، وهو ظرف متعلق بأبصرتها من قوله « على خيرما أبصرتها » فى البيت المتقدم ، والبلوغ : الوصول ، وَكَلّ يَكِلّ من باب ضرب كلالة تعب وأعيا ، و يتعدى بالألف ، وتعمل : أى تجتهد فى العمل ، فهو مضمن معنى الاجتهاد ولهذا لم يتعد ، وأصله التعدى ، يقال : عملته أعمله عملاً من باب فرح : أى صنعته ، والاجتهاد مقدم فى المعنى على الكلال ، ولا مانع من تأخره لفظا لأن

---

(١) الوقاب : جمع وقب وهو الكوة والنقرة فى الجبل يجتمع فيها الماء.

الواو لمطلق الجمع لا تفيد ترتيبا ؛ فقد يكون مدخولها متقدما على سابقه باللفظ ، كقوله تعالى (ومنك ومن نوح) وروى « وتُعْمِلا » بضم التاء وكسر الميم ، والمعنى وتجهد نفسك أو غيرك فالمفعول محذوف ، وأصل أعمل تعديه إلى مفعولين ، تقول : أعْمَلْتُهُ كذا أى جعلته عاملا له ، وروى البيت كذا أيضا :

فُوَيْقَ جُبَيْلٍ شَامِخٍ لَنْ تَنَالَهُ بِقُنَّتِهِ حَتَّى تَكِلَّ وَتَعْمَلَا

والنَّيل : الإصابة والوصول إلى الشيء ، وقنة الجبل — بضم القاف وتشديد النون — أعلاه كقلته ، باللام ، وقوله « فأبصر ألهابا — الخ » جمع لِهْب بكسر اللام وسكون الهاء ، قال الجوهرى : هو الفرجة والهواء يكون بين الجبلين ، وأنشد هذا البيت ، والطود : الجبل ، ودونها أى دون المبضوعة ، ودون هنا : بمعنى أمام ، وفاعل أبصر ضمير الرجل من ميدعان ، والنيق — بكسر النون — المشرف من الجبل ، والمَهْبِل — بفتح الميم وكسر الموحدة — المهوى والمهلك ، قال أبو حنيفة : ثم ذكر تدليه عليها بالحبال ومخاطرته بنفسه فقال « فأشرط فيها نفسه — إلى آخر أبيات ثلاثة » وقال ابن السكيت : أشرط نفسه : جعلها علما للموت ، ومنه أشراط الساعة ، ويقال : أشرط نفسه فى ذلك الأمر : أى خاطر بها ، والمُعْصِمِ والمُعْتَصِم واحد ، وهو المتعلق : أى متعلقا بالحبل ، فذلك الذى ألقى من أسباب حباله ، والسبب : الحبل ، والجمع أسباب ، ويصلح أن يكون الواحد سِبًّا بالكسر ، قال أبو ذؤيب

* تَدَلَّى عَلَيْهَا بَيْنَ سِبٍّ وَخَيْطَةٍ

فالسِّب : الحبل ، والخيطة : الوتد ، انتهى . وتَوَكَّل : أى اعتمد على الله ، وقوله « وقد أكلت أظفاره » قال ابن السكيت يتوصل من مكان ثم ينزل بعده وروى « طول مَرْقًى تَوَصَّلا » أى توصل من مكان إلى مكان ، كقولك : اجعل هذه وُصْلَةً ، وقوله « فما زال حتى نالها » قال ابن السكيت : مُعْصِمٌ : مشفق ،

والموطن : الموضع الذى صار إليه ، انتهى ، وتفصل : تقطع : وقوله « فأقبل لايرجو — الخ » قال ابن السكيت يقول : عسى أن أفلت وأنجو ، وقوله « فلما نجا من ذلك الكرب » هو الشدة ، ويمظّعها بالظاء المعجمة والعين المهملة ، واللِّحاء بكسر اللام : قشر العود ، وقال ابن السكيت يمظعها : يشربها ، يقال : مظع الأديم الودك : أى شربه ، يقول : لم يزل يسقيها ماء لحائها ليكون أجود لها ، ولو قشر اللحاء عنها لأفسدها ، وقوله « فلما قضى مما يريد — الخ » صَلّبها : يبسها ، يقال : ثمرة مصلبة : أى يابسة ، وأطول : أطال ، وقوله « أمر عليها — الخ » قال ابن السكيت : الرفيق : الحاذق ، والمداوس : المصاقل ، واحدها مِدْوَسٌ ، وهو الذى يصقل به ، وقوله « فجردها صفراء — الخ » قال ابن السكيت : يقول : لوكانت قصيرة لتعطلت وكانت أصغر من أن يرمى عنها ولم تعب من طول فتُعَطَّل: تترك لاتتخذ قوساً ، وقوله « فذاك عَتَادى — الخ » الاشارة راجعة إلى الرمح والسيف والقوس ، والْعَتَاد : العُدة ، والتلطت : التهبت .

ويعجبنى قوله بعد هذا بأربعة أبيات :

وَإِنّى وَجَدْتُ النَّاسَ إلاَّ أَقَلَّهُمْ ... خِفَافَ الْعُهُود يُسْرِعُونَ التَّنَقُّلاَ

بَنِى أُمِّ ذِى الْمَالِ الْكَثِيرِ يَرَوْنَهُ ... وَإِنْ كَانَ عَبْدًا سَيِّد الْأَمْرِ جَحْفَلاَ

وَهُمْ لِمُقِلِّ الْمَالِ أَوْلاَدُ عَلَّةٍ ... وَإِنْ كَانَ مَحْضًا فِى الْعَشِيرَةِ مُخْوَلاَ

وَلَيْسَ أَخُوكَ الدَّائِمُ الْعَهْدِ بِالَّذِى ... يَذُمُّكَ إِنْ وَلَّى وَيُرْضِيكَ مُقْبِلاَ

وَلَكِنْ أَخُوكَ النَّاء مَا كُنْتُ آمِنًا ... وَصَاحِبُكَ الْأَدْنَى إِذَا الْأَمْرُ أَعْضَلاَ

وهذا آخر القصيدة : وأراد التنقل عن المودة ، وجحفل : كثير الأتباع ، وجيش جحفل : إذا كان كثير الأصوات ، وقوله « وهم لمقل المال — الخ » أى : يبغضون من لا مال له وإن كان شريفا ، والمحض : الخالص النسب ، ومُخْوَل — بفتح الواو — كثير الأخوال ، والناء : البعيد ، حذفت الياء لضرورة الشعر ،

وروى النأى على المصدر ، قال ابن السكيت : صَيَّر المصدر فى موضع الصفة ، وأعضل الأمر : أشتد

وأوس بن حجر شاعر جاهلى بفتحتى الحاء المهملة والجيم ، وتقدمت ترجمته فى الشاهد الرابع عشر بعد الثلاثمائة من شواهد شرح الكافية .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الأربعون ، وهو من شواهد سيبويه [من الرجز ؛ أو السريع] :

٤٠ — وَمَهْمَهَيْنِ قَذَفَيْنِ مَرْتَيْنْ ظَهْرَاهُمَا مِثْلُ ظُهُورِ التُّرْسَيْنْ

على أن الشاعر إذا قال قصيدة قبل رَوِيِّها ياء أو واو ساكنة مفتوح ماقبلها فهى مُرْدَفَة ، ولزمه أن يأتى [بالردف] فى جميع القصيدة ، كما فى هذين البيتين ، وتقدم بعض منها فى الشاهد الرابع والعشرين

* لَمْ يَبْقَ مِنْ آيٍ بِهَا يُحَلَّيْنْ *

وقوله « ومهمين — الخ » الواو واورُبَّ ، والمَهْمَهُ : القفر المخوف ، والقَذَف — بفتح القاف والذال المعجمة بعدها فاء — البعيد من الأرض ، والمَرْت — بفتح الميم وسكون الراء المهملة — الأرض التى لاماء فيها ولا نبات ، وَالظَّهر : ماارتفع من الأرض ، شبهه بظهر ترس فى ارتفاعه وَتَعَرِّيه من النبت ، وجواب رب المقدرة هو قوله * جُبْتُهُمَا بالنَّعْت لا بِالنَّعْتَيْنْ * من جاب الوادى يَجُوبه جَوْبًا ، إذا قطعه بالسير فيه ، وقد نُعِتَا لى مرةً واحدة فلم أحتج إلى أن ينعتالى مرة ثانية ، وصف نفسه بالحذق والمهارة ، والعرب تفتخر بمعرفة الطرق

وتقدم شرحه بأكثر من هذا فى الشاهد الخامس والثلاثين بعد المائة ، وفى الشاهد الثالث والسبعين بعد الخمسمائة ، من شواهد شرح الكافية

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والأربعون [من الهزج] :

٤١ — وَقَدْ أَغْدُو عَلَى أَشْقَـ ـرَ يَغْتَالُ الصَّحَارِيَّا

على أنه جمع صحراء ، فلما قلبت الألف بعد الراء فى الجمع ياء قلبت الهمزة التى أصلها ألف التأنيث ياء أيضاً ، وهذا أصل كل جمع لنحو صحراء ، ثم يخفف بحذف الياء الأولى فيصير صَحَارِىَ بكسر الراء وتخفيف الياء مثل مَدَارِى ، ويجوز أن تبدل الكسرة فتحة فتقلب الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ماقبلها كما فعلوا فى مَدَارَى ؛ وهذان الوجهان هما المستعملان ، والأول أصل متروك يوجد فى الشعر

وقد تقدم الكلام عليه بأبسط من هذا فى الشاهد الثانى والخمسين بعد الخمسمائة .

وأغدو : مضارع غدا غُدُوًّا إذا ذهب غُدْوَةً ، وهى مابين صلاة الصبح وطلوع الشمس ؛ والأشقر من الخيل : الذى حمرته صافية ، والشُّقْرَة فى الإنسان : حمرة يعلوها بياض ، و يغتال : يُهلك ، يقال : اغتاله أى أهلكه ، واستعار يغتال لقطع المسافة بسرعة شديدة ، فإن أصل اغتاله بمعنى قتله على غفلة ، والصحراء من الأرض : الفضاء الواسع ،

والشعر للوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والأربعون

٤٢ — حِمًى لاَ يُحَلُّ الدَّهْرَ إِلاَّ بِأَمْرِنَا وَلاَ نَسْأَلُ الأَقْوَامَ عَهْدَ الْمَيَاثِقِ

على أنه حُكِىَ أن المياثق لغة لبعض العرب ، وهو جمع ميثاق ، وأصله مِوْثاق قلبت الواو ياء لانكسار ماقبلها ، فكان القياس فى الجمع أن ترجع الواو ، لزوال موجب قلبها ياء

قال أبو الحسن [1] الأخفش فيما كتبه على أمالى أبى زيد : رواه الفراء

---

(١) انظر كتاب النوادر لأبى زيد (ص ٦٤)

« عَقْدَ المياثق » أخبرنا بذلك عنه ثعلب ، وهذا شاذ ، والرواية «عهد المواثق» وهو أجود وأشهر(١)

ورواه الصاغانى فى العباب بالياء عن ابن الأعرابى ، قال : الميثاق العهد ، وأَخْذُ الميثاق بمعنى الاستحلاف ، وصارت الواو ياء لانكسار ماقبلها ، والجمع المواثق والمياثيق على اللفظ ، وقد جاء فى الشعر المياثق ، أنشد ابن الأعرابى لعياض ابن دُرَّة الطائى :

* حمى لا يحل الدهر . . . البيت * انتهى

ورواه أبو زيد الأنصارى فى أماليه على القياس ، قال : وقال عياض بن أم دُرَّةَ الطائى ، وهو جاهلى :

وَكُنَّا إِذَا الدِّينُ الْغُلُبِّ بَرَى لَنَا ... إِذَا مَا حَلَلْنَاهُ مُصَابَ الْبَوَارِقِ
حِمًى لا يحل الدَّهْرَ إِلاَّ بِإِذْنِنَا ... وَلاَ نَسْأَلُ الْأَقْوَامَ عَهْدَ الْمَوَاثِقِ

الدين : الطاعة ، والغلبي : المغالبة ، و برى لنا : عرض ، يَبْرِى بَرْياً ، وانبرى ينبرى انبراء ، انتهى .

قال أبو الحسن الأخفش : قال أبو سعيد : حِفْظِى عياض بن درة ، انتهى

فعهد المواثق فيه شذوذ واحد ، وهو حذف الياء من مواثيق ، وفى عهد المياثق شذوذان : عدم رجوع الواو ، وحذف الياء بعد المثلثة ؛ ولا يخفى أن الْغُلُبَّى — بضم الغين واللام وتشديد الموحدة — ليس مصدراً للمفاعلة ، إنما هو أحد مصادر غلبه يغلبه غَلْباً بسكون اللام وَغَلَباً بتحريكها وَغَلَبَة بالحاق الهاء وَغَلاَبِيَة كَعَلاَنية وَغَلُبَّة كَحزُقَّة وَغُلُبِّى وَمَغْلَبَة بفتح اللام ، كذا فى العباب ، وَالْمَصَاب بفتح الميم : اسم مكان من صابه المطر إذا مطر ، والصوب : نزول المطر ، والبوارق : جمع بارقة ، وهى سحابة ذات برق

* * *

(١) عبارة الأخفش « والرواية الأولى أجود وأشهر »

وأنشد بعده وهو الشاهد الثالث والأربعون [من الوافر] :

٤٣ — وِقاءٌ مَّا مُعَيَّةُ مِنْ أَبِيهِ   لِمَنْ أَوْفَى بِعَهْدٍ أَوْ بِعَقْدِ

على أن مُعَيَّة مصغر مُعاوِية ، حذفت ألفه عند التصغير فصار مُعَيْوِية ، فاجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت فيها فصار مُعَيِّيَة بثلاث ياءات ، فحذف الياء الثالثة التى هى لام الفعل وفتحت الثانية لأجل الهاء فصار مُعَيَّة ، على وَزن مُفَيْعة ؛ كذا قال ابن يعيش

وفى الجمهرة لابن دريد : وَفَى يفِى وفاء وأوفى يوفى ، لغتان فصيحتان ؛ قال الشاعر * وقاء مامعية من أبيه * البيت

معية ابن الصمة

معية : هو ابن الصِّمة أخو دريد ، وكان الصمة قتل فى جوار بَيْبة [1] بن سفيان بن مجاشع ، وكان مُعَيَّة أسيرا فى أيديهم ، فقال الصمة وهو يكيد بنفسه هذه القصيدة ، يقول : أما إذا غدرتم فأطلقوا عن ابنى مُعَية ، فان فيه وقاء منى ، انتهى كلامه

والوقاء — بكسر الواو وفتحها بعدها قاف — هو ما وقيت به شيئاً ، وما زائدة ، والعهد : الأمان والمواثق [2] والذِّمة ، وَالْعَقد : إحكام العهد من عَقَدْتُ الحبلَ عَقْداً

والصِّمَّة ـ بكسر الصاد المهملة وتشديد الميم — فارس شاعر جاهلى من بنى جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وهو والد دُرَيْد بن الصمة الذى قتل فى غزوة حُنَيْن كافرا

* * *

(١) بيبة ـ بفتح الموحدة بعدها ياء مثناة ساكنة فموحدة ـ سيد مجاشع ، وهو أبو الحارث ابن بيبة الذى خلفه فى سيادة قومه

(٢) لعله « والموثق » حتى يطابق التفسير المفسر

وأنشد الجار بردى [1] ، وهو الشاهد الرابع والأربعون

٤٤ — وَهْوَ إذَا الْحَرْبُ هَفَا عُقَابُهُ مِرْجَمُ حَرْبٍ تَلْتَظِي حِرَابُهُ

على أن الحرب قد يكون مذكرا كما فى البيت ، فان الهاء من « عُقَابه » ضمير الحرب

وهذا الرجز أورده الجوهرى فى الصحاح [2] ، ونقل كلامه الجار بردىّ برمته ، وهو فيه غير منسوب لأحد ، ولم يتكلم عليه ابن برى فى أماليه بشىء ، وقد وقع فى بعض نسخ الصحاح « تلتقى » بدل « تلتظى » ، وقال الصفدى فى حاشيته عليه : الذى رواه ابن الأعرابى « تلتظى حرابه » بدل « تلتقى » وكذا هو بخط الجوهرى ، والذى وجدته بخط ياقوت « تلتقى » والصواب « تلتظى » كما رواه ابن الأعرابى ، انتهى .

« وهو » ضمير الممدوح بالشجاعة ، قال الجوهرى : وهفا الطائر بجناحه : أى خَفَق وطار ، وأنشد هذا الرجز ، وَالْعُقَاب — بالضم — من أعظم جوارح الطير ، شبه الحرب الشديدة به ، وَالْمِرْجَم — بكسر الميم وفتح الجيم — قال الجوهرى : ورجل مِرْجَم : أى شديد كأنه يُرْجَم به مُعَادِيه ، والرجم الرمى بالحجارة ، انتهى . وأضافه إلى الحرب لأنه يُرْجم على الأعداء فيها ، وتلتظى : تلتهب ، جملة حالية ، والحِرابُ — بالكسر — جمع حَرْبة ، يريد أن لها بريقا كشُعْلة النار ، وصحّفه الجار بردى بالجيم ، فقال : وجراب البئر جوفها من أسفلها إلى أعلاها ، انتهى . والهاء ضمير مرجم ، و إذا : ظرف متعلق بمرجم

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون [من الرجز]

(١) انظر الجاربردى « ص ٨٨ » ووقع فيه (من جم حرب) وهو تحريف ظاهر .

(٢) انظر الصحاح (مادة : ح ر ب) و (هـ ف ا)

٤٥ — إنَّا وَجَدْنَا عُرُسَ الحَنَّاطِ لَئِيمَةً مَذْمُومَةَ الحُوَّاط

على أن العُرُس مؤنثة ، بدليل لئيمة ومذمومة ، وَالعُرُس : بضمتين و بضمة فسكون ، قال الجوهري : والعرس : طعام الوليمة ، يذكر و يؤنث ، قال الراجز :

إنَّا وَجَدْنَا عُرُسَ الحَنَّاطِ لَئِيمَةً مَذْمُومَةَ الحُوَّاطِ

* نُدْعَى مَعَ النَّسَّاجِ وَالخَيَّاطِ *

والجمع الأعراس وَالعُرُسَات ، وقد أعْرَسَ فلان : أى اتخذ عُرُساً ، وأعرس بأهله إذا بنى بها ، وكذلك إذا غشيها ، ولا تقل عرّس (أى بالتشديد) والعامة تقوله ، انتهى .

وكذا قال صاحب العباب وزاد بعد البيت الثالث

* وَكُلِّ عِلْجٍ شَخِيمِ الآبَاطِ *

ثم قال : وقال دُكَيْن وقد أتى عُرْساً فحجب ، فرجز بهم ، فقيل : من أنت ؟ فقال : دكين ، فقال [من مشطور الرجز] :

تَجَمَّعَ النَّاسُ وَقَالُوا عُرْسُ إذَا قِصَاعٌ كَالأَكُفِّ خَمْسُ
وَدُعِيَتْ قَيْسٌ وَجَاءَتْ عَبْسُ فَفُقِئَتْ عَيْنٌ وَفَاظَتْ نَفْسُ(١)

انتهى

وأورد ابن السكيت فى إصلاح المنطق الرجز الأول ، وقال شارح أبياته ابن السيرافى : الحَنَّاط : بائع الحنطة ، وَالحُوَّاط : الذين أحاطوا بالعرس ، وذمها لأن المدعوين فيها الحاكة والخياطون ، انتهى . ولم يتكلم عليه ابن بَرِّى فى أماليه على

(١) روى الجوهرى فى مادة « ف ى ظ » البيت الأول والرابع ، وترك الثانى والثالث وفيه « اجتمع الناس - الخ » . وفى بعض نسخ الأصل « وفاضت نفس » بالضاد المعجمة ، وكل العلماء يجيزون أن تقول : فاظت نفس فلان ، إلا الأصمعى فانه كان ينكرها ، وهو تابع لأبى عمرو بن العلاء .

الصحاح بشىء ، ولا الصفدى فى حاشيته عليه

وكتب ياقوت الموصلى الخطّاط على هامش الصحاح : الحُوَّاط : القوم الذين يقومون على رءوس الناس فى الدعوات ، والرجز لدكين الراجز ، انتهى :

وندعى : بضم النون وفتح العين ، وَالْعِلج — بكسر العين — الرجل من كفار العجم ، وَالشَّخِم — بفتح الشين وكسر الخاء المعجمتين — المُنْتن

دكين ودكين بالتصغير : راجز إسلامى من معاصرى الفرزدق وجرير ، وهو دكين ابن رجاء من بنى فقيم ، ومدح عمر ابن عبد العزيز وهو والى المدينة ، وله معه حكاية أوردها ابن قتيبة فى كتاب[1] الشعراء

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والأربعون [من المتقارب]

٤٦ — * عَلَيْهِ مِنَ اللُّؤْمِ سِرْوَالَةٌ *

على أن السِّرْوَالة واحد السراويل ، وتمامه

* فَلَيْسَ يَرِقُّ لِمُسْتَعْطِفِ *

وقائله مجهول حتى قيل : إنه مصنوع

واللؤم بالهمز الشح ودناءة الآباء ، وتقدم الكلام عليه فى الشاهد الثالث والثلاثين من شرح شواهد الكافية

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والاربعون ، وهو من شواهد سيبويه[2] [من الرجز]

قَدْ رَوِيَتْ إلاَّ الدُّهَيْدِهِينَا قُلَيِّصَاتٍ وَأُبَيْكِرِينَا

٤٧ — على أنه كان القياس دُهَيْدِهَات وَأُبَيْكِرَات قال سيبويه[2] الدَّهْدَاه

(١) انظر كتاب الشعراء لابن قتيبة (ص ٣٨٧ طبع أوربة)

(٢) انظر الكتاب « ٢ : ١٤٢ » وفيه « قد شربت إلا دهيد هينا »

حاشية الإبل ؛ فكأنه حَقَّر دهاده فرده إلى الواحد ، وهو دَهْداه ، وأدخل الياء والنون كما تدخل فى أرضين وسنين ، وذلك حين اضطر فى الكلام إلى أن يدخل ياء التصغير ، وأما أبيكرينا فانه جمع الْأَبْكُر [كما يُجْمَع الْجُزُر وَالطُّرُق فتقول جُزُرات وَطُرُقات][1] ولكنه أدخل الياء والنون كما أدخلها فى الدُّهَيْدِهِين . انتهى كلامه

وقال ابن جنى فى سر الصناعة عند سَرْد ما جمع بالواو والنون من كل مؤنث معنوى كأرض أو مؤنث بالتاء محذوف اللام كثُبَة ، مانصُّه : « فإن قلت : فما بالهم قالوا :

* قَدْ رَوِيَتْ إلاَّ الدُّهَيْدِهِينَا * الخ

فجمعوا تصغير دَهْدَاه ، وهو الحاشية من الإبل ، وَأُبَيْكِرًا ، وهو جمع بَكْرٍ بالواو والنون ، وليسا من جنس ما ذكر ؟ فالجواب أن أبكراً جمع بكر ، وكل جمع فتأنيثه سائغ مستمر لأنه جماعة فى المعنى ، وكأنه قد كان ينبغى أَبْكِرَة ، وإذا ثبت أن أفْعُلا من أمثلة الجموع يجوز فى الاستعمال والقياس تأنيثه ، فصار إذن جمعهم إياها بالواو والنون فى قوله « أُبَيْكرونا » إنما هو عوض من الهاء المقدرة ، فجرى مجرى أرض فى قولهم ؛ وأما « دهيدهينا » فان واحده دَهْدَاه فهو نظير الصِّرْمة فكأن الهاء فيها لتأنيث الفرقة ، كما أن الهاء فى عصبة لتأنيث الجماعة ، فكأنه كان فى التقدير دهداهة ، فجمع بالواو والنون تعويضاً من الهاء المقدرة ، قال أبو على : وحسن أيضاً جمعه بالواو والنون أنه قد حذفت ألف دهداه فى التحقير ، ولو جاء على الأصل لقيل دُهَيْدِيه ، فواحد « دهيدهينا » إنما هو دُهَيْدِه ، وقد حذفت الألف من مكبره ، فكان ذلك أيضاً مُسَهِّلاً للواو والنون وداعياً إلى التعويض بهما » انتهى .

---

(١) الزيادة عن سيبويه فى الموضع المذكور

والبيتان من رجز أورده أبو عبيد فى الغريب المصنف ، قال : الحاشية صغار الإبل ، وَالدَّهْداه مثل ذلك ؛ قال الراجز :

يَاوَهْبُ فَابْدَأْ بِبَنِي أَبِينَا ثُمَّتَ ثَنِّ بِبَنِي أَخِينَا

وَجِيرَةِ الْبَيْتِ الْمُجَاوِرِينَا قَدْ رَوِيَتْ إِلاَّ الدُّهَيْدِهِينَا

إِلاَّ ثَلاَثِينَ وَأَرْبَعِينَا قُلَيِّصَاتٍ وَأُبَيْكِرِينَا

وقليصات : جمع مصغر قَلُوص ، وهى الناقة الشابة ، وأُبَيْكِرِين : جمع أبيكر مصغر أبْكُر ، وهو جمع بَكْر بالفتح ، وهو فى الإبل بمنزلة الشابّ فى الناس.

وقد تكلمنا عليه بأبسط من هذا فى الشاهد الثالث والثمانين بعد الخمسمائة من شواهد شرح الكافية

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الثامن والأربعون [من السريع] :

٤٨ — * فِي كُلِّ يَوْمٍ مَّا وَكُلِّ لَيْلاَهْ *

على أن « ليلاه » فى معنى ليلة ، وعليه جاء التصغير فى قولهم : لُيَيْلِيَة ، وجاء الجمع أيضاً فى قولهم اللَّيَالى

قال ابن جنى فى باب الاستغناء بالشىء عن الشىء من الخصائص (١) : «ومن ذلك استغناؤهم بليلة عَنْ لَيْلاَه ، وعليها جاءَتْ لَيَالٍ ، على أن ابن الأعرابى قد أنشد :

فِي كُلِّ يَوْمٍ مَّا وَكُلِّ لَيْلاَهْ حَتَّى يَقُولَ كُلُّ رَاءٍ إِذْ رَآهُ

* يَاوَيْحَهُ مِنْ جَمَلٍ مَاأَشْقَاهْ *

وهذا شاذ لم يسمع إلا من هذه الجهة

وقال فى المحتسب أيضا : « فأمَّا أَهَالٍ فكقولهم لَيَالٍ ، كأن واحدها أَهْلاَت

(١) انظر كتاب الخصائص « ١ : ٢٧٥ »

ولَيْلَاة ، وقد مر بنا تصديقا لقول سيبويه فإن واحدها فى التقدير ليلاة ما أنشده ابن الأعرابى :

فى كُلِّ يَوْمٍ مَّا وَكُلِّ لَيْلَاهْ   حَتَّى يَقُولَ مَنْ رَآهُ إِذْ رَآهْ

وقال السيوطى فى شرح أبيات المغنى : ونقل ابن جنى فى ذى القد (1) عن أبى على أنه أراد «وكل ليلة» ثم أشبع فتحة اللام ، فصارت ليلاة ، انتهى :

وفى العباب للصاغانى « يقال : كان الأصل ليلاة فحذفت الألف لأن تصغيرها لُيَيْلِيَة » وقال الفراء : إنما كانت فى الأصل لَيْلِيَة ، ولذلك صغرت لييلية ، ومثلها الكيكة البيضة ، كانت فى الأصل كَيْكِيَة ، وجمعها الكياكى ، انتهى .

« فى كل يوم ما .. الخ » متعلق الجار فى بيت قبله لم أقف عليه ، والمعنى أعمله فى كل يوم وكل ليلة ، وأنشد السيوطى بعده البيتين فقال ابن الملا فى شرح المغنى : فى متعلقة بقوله ماأشقاه ، ولم يذكر البيت الأخير ، وما زائدة ، ورواه ابن الملا « فى كل مايوم » وقال : ما زائدة ، وقوله «إذ راه» بحذف الهمزة ، وهى عين الكلمة . والويح : كلمة ترحم تقال لمن وقع فى هلكة لا يستحقها ، و« من جمل » بيان للضمير فى ويحه ، و« ماأشقاه » تعجب

وهذا الرجز لم أقف على قائله ، والله أعلم به

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون [من البسيط] :

٤٩ أما أقاتل عن دينى على فرس   ولا كذا رَجُلًا إلا بأصحاب

على أن رجلا بمعنى راجل ، قال ابن يعيش (2) : ومن تصغير الشاذ قولهم رُوَيْجِل فى تصغير رجل ، وقياسه رُجَيل ، كأنهم صغروا راجلا فى معنى رجل ، وإن لم

(1) كذا فى الأصول ، وهو تصحيف لم يتضح لنا وجه الصواب فيه ، وقد رجعنا الى النسخ المطبوعة والخطية من شرح أبيات المغنى للسيوطى فلم نجد هذا النقل عند الكلام على هذا الشاهد ، ووجدنا عبارة ابن جنى نقلا عن الخصائص

(2) انظر شرح المفصل «٥ : ١٣٣» وفيه فى رواية البيت «أو هكذا رجلا»

لم يظهر به استعمال ، كما قالوا : رجل فى معنى راجل ، وأنشد البيت ، ثم قال : فكأنهم صغروا لفظاً وهم يريدون آخر والمعنى فيهما واحد ، انتهى . وفى نوادر أبى زيد[١] قال حُيي بن وائل وأدرك قطريا [ابن الفجاءة] [٢] الخارجى أحَدَ بنى مازن :

أما أقاتل عن دينى على فرسٍ ... ولا كذا رجلا إلا بأصحاب

لقد لقيت إذن شراً وأدركنى ... ما كنت أزعم فى خَصْمِي مِنَ العاب

قال أبو عمر الجرمى[٣] : رجل راجل ، قال السكرى: قوله رجلا معناه راجل ، كما يقول العرب جاءنا فلان حافيا رجلا أى راجلا كأنه قال : أما أقاتل فارسا ولا كما أنا راجلا إلا ومعى أصحاب لقد لقيت إذن شراً لو أنى أقاتل وحدى و يقال راجل ورجال ، قال تعالى : (فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً) وكذلك (يَأْتُوكَ رِجَالاً [وعلى كل ضامر] [٤])ورَاجِلُ وَرَجْلَةٌ وَرَجْلٌ وَرُجَّالٌ ورُجَالَى ، والعاب العيب انتهى. والأول : ما بعد الآية على وزن فاعل ، والثانى على وزن فَعْلَةٍ : — بفتح الفاء وسكون العين — والثالث : على وزن فَعْل بفتح الفاء وسكون العين ، والرابع : على وزن فعَّال بضم الفاء وتشديد العين ، والخامس : فُعَالَى بضم الفاء وتخفيف العين والقصر ، قوله « لقيت إذاً شراً لو أنى أقاتل وحدى » كذا رأيته فى نسخة قديمة صحيحة ، ورواه أبو الحسن الأخفش : أى إنى أقاتل وحدى ؛ أى «إنى» موضع «لو» والمعنى عليه كما يظهر بالتأمل ، و يؤيده أن غير أبى زيد روى أن حُيي بن وائل خرج راجلا يقاتل السلطان ، فقيل له : أتخرج راجلا [تقاتل] [٤] ؟ فقال : أما أقاتلهم إلا على فرس ، كذا قال الأخفش ، وقال : قال أبو حاتم : قوله « أما

---

(١) انظر النوادر « ص ٥ » (٢) الزيادة عن النوادر فى الموضع المذكور

(٣) هذا الكلام بعينه فى نوادر أبى زيد « ص ٥ » عن أبى حاتم ، وسيأتى التصريح به

(٤) الزيادة عن تعليقات أبى الحسن الاخفش على نوادر أبى زيد

مخفف الميم مفتوح الألف ، واحترز بهذا الضبط عن القراءة بكسر الهمزة وتشديد الميم فتكون أما بالتخفيف استفتاحية

وحُيَيّ — بضم الحاء المهملة وفتح المثناة التحتانية الأولى وتشديد الثانية — : رجل من الخوارج

وفى نسخ الشرح « أو هكذا رجلا إلا بأصحاب» وكذا فى شرح الجار بردى فى باب الجمع ، وقال : معنى البيت الإنكار على من يرى أن مقاتلة هذا الشاعر لا تجوز إلا حال مصاحبته مع أصحابه ، فقال : لم لا أقاتل منفرداً سواء أكون فارساً أو راجلا ، انتهى .

وهذا المعنى مراده قطعا ، لكن فى أخذه من البيت خفاء وفى تركيبه (١) تعقيد وقلاقة و ينظر فى هذا الاستثناء (٢)

ثم رأيت فى أمالى الصحاح لابن برى قال بعد أن نقل كلام أبى زيد مانصه : وقال ابن الاعرابى : قوله « ولا كذا » : أى ما ترى رجلا (٣) ، وقال المفضل : أَمَا خفيفة بمعنى ألا ، وألا تنبيه يكون بعدها أمر أو نهى أو إخبار [فالذى بعد أما هنا إخبار] (٤) كأنه قال : أما أقاتل فارسا وراجلا ، وقال أبو على فى الحجة بعد أن حكى عن أبى زيد ماتقدم: فرجُل على ماحكى أبو زيد صفة ومثله نَدُسٌ وفَطُنٌ وحَذُرٌ

---

(١) فى نسخ الأصل وفى تركبه ، وهو تحريف

(٢) قد نظرنا فى هذا الاستثناء على المعنى الذى ذكره الجاربردى فوجدناه استثناء مفرغا والمستثنى منه المقدر عموم الأحوال ، وكأن فى الاستفهام الذى أجاب عنه الشاعر بالبيت الشاهد حذف الواو مع ما عطفت ، وكأنهم قالوا له : أتخرج راجلا ومنفردا

(٣) الذى فى اللسان عن ابن الأعرابى : « أى ما ترى رجلا كذا »

(٤) الزيادة عن اللسان عن المفضل وهى ضرورية

وأحرف نحوها ، ومعنى البيت كأنه يقول : اعلموا أنى أقاتل عن دينى وعن حسبى وليس تحتى فرس ولا معى أصحاب ، انتهى كلام ابن برى

المنسوب

أنشد فيه ، وهو الشاهد الخمسون [من الطويل] :

٥٠ — كَأَنَّ مَجَرَّ الرَّامِسَاتِ ذُيُولَهَا   عَلَيْهِ قَضِيمٌ نَمَّقَتْهُ الصَّوَانِعُ

على أن فيه حذف مضاف ، والتقدير كأن أثر مجر أو موضع مجر ، ومَجَرّ مصدر ميمى مضاف لفاعله ، وذيولها : مفعوله ، ولا يجوز أن يكون اسم مكان ؛ فانه لايرفع فضلا عن أن ينصب ، وكذا اسم الزمان والآلة ، وإنما كان بتقدير مضاف لأنه إن كان مصدرا فلا يصلح الإخبار عنه بقضيم ، وإن كان اسم مكان فلا يصح نصبه المفعولَ ، وروى بجر « ذيولها » فيكون بدلا من الرامسات بدلَ بعضٍ ، وعليه فالمجر اسم مكان ولا حذف

وقال ابن برى فى شرح أبيات الإيضاح لأبى على : قال أبو الحجاج : بل لابد من اعتقاد محذوفات ثلاثة يصح بها المعنى ، تقديرها كأنّ أثر موضع مجر الرامسات ذيولَهَا نَقْشُ قضيمٍ ، والرامسات : الرياح الشديدة الهبوب ، من الرَّمْس وهو الدفن ، وذيولها : مآخيرها ، وذلك أن أوائلها تجيء بشدة ثم تسكن ، والقضيم — بفتح القاف وكسر الضاد المعجمة — حصير منسوج خيوطه سيور ، وقال ابن برى : القضيم الجلد الأبيض عن الأصمعى وغيره ، وقال يعقوب : الصحيفة البيضاء ، وقال أيضا : هو النِّطَع الأبيض ؛ وقال صاحب العين : هو الحصير المنسوج تكون خيوطه سيورا بلغة أهل الحجاز ، شبه آثار الديار بنقش على ظهر مِبْنَاة ، انتهى

قال شارح ديوان النابغة : شبه آثار هذه الرامسات فى هذا الرسم بحصير من

جريد أو أدَم ٍ ترمُله الصوانع : أى تعمله وتخرزه ، ومن فسر القضيم بجلد أبيض يكتب فيــه كالأندلسى وابن يعيش والجاربردى لم يصب ، فان الصوانع جمع صانعة ، والمعهود فى نساء العرب النسيج وما أشبهه لا الـكتابة ، والمعنى يقتضيه أيضا ، فإن الرَّمْل الذى تمر عليه الريح يشبه الحصير المنسوج ، والعرب لاتعرف الـكتابة رجالُهَا فضلا عن نسائها ، وإنما حدث فيها الخطُّ والـكتابة فى الإسلام

وقال بعض فضلاء العجم فى شرح أبيات المفصل : يقول : كأن أثر جرّ الرياح الرامسات ذيولها على ذلك الربع قضيم : أى خطوط قضيم زينته بالـكتابة النساء الحاذقات للـكتابة ، أو كأن موضع الرامسات قضيم ، شبه آثار جر الرياح بالخطوط فى القضيم ، أو موضِعِهَا الذى (١) هبت عليه بالقضيم المُنَمَّق ؛

وفى البيت سؤال وجواب ؛ أما السؤال فان المْجَر اسم مكان ، وقد عمل فى ذيولها ، وبيان كونه اسم مكان أنه أخبر عنه بقضيم ، ولا يستقيم المجر بمعنى الجر لأنه يؤدى إلى تشبيهه وهو معنى بالرَّقّ وهو عين ، ولا معنى لذلك ، والجواب أن اسم المكان لا يعمل باستقراء لُغتهم ، وإذا وجدنا مايخالفه وجب تأويله ، وله هنا تأويلان : أحدهما : تقدير مضاف قبل مجر ، والمجر مصدر ، والتقدير كأنَّ موضع جرالرامسات ، وهو خيرمن تقديرأثر ؛ لئلا يحصل ماهرب عنه من الإخبار بقضيم إذ الأثر يشبه بالـكتابة لابالرق ، وغرضنا هنا التشبيه بالرق ، ولقائل أن يقول : لعل من قال إن تقديره كان أثر جر الرامسات قدر قبل قضيم مضافا محذوفا ، وهو خطوط قضيم ؛ فيصح المعنى . والثانى : أن يكون مجر موضعاً على ظاهره ، والمضاف محذوف من الرامسات ، كأنه قال : مجرجرِّ الرامسات ، هذا كلامه وهو ملخص من شرح المفصل للأندلسى ، وقد نقله ابن المستوفى فى شرح أبيات المفصل ، ورد قوله «تقدير موضع خير من تقدير أثر» بأنه لافرق بينهما لأن أثر الجر وموضع الجر واحد ، إلا أن يتوهم متوهم أن أثره مابقى من فعله ، وموضعه مكان فعله ، انتهى :

(١) فى اصول الـكتاب « التى » وهو تحريف

وقوله « والثانى أن يكون مجر موضعاً — الخ » قال الأندلسى : والوجه الثانى أن يكون مجر موضعاً على ظاهره ، والمضاف محذوف من الرامسات ، كأنه قال : كأن مجر جر الرامسات ، ويتأكد هذا بأمرين : أحدهما : مطابقة المشبه بالمشبه به ؛ لأن فيه ذكر الموضع أولا والأثر ثانياً ، كما أن المشبه به ذكر فيه الرق أولا والتنميق ثانياً ، والآخر أن المحذوف مدلول عليه بمجرّ لأن مجرّا معناه الجر ، فلم يقدر إلا بما دل عليه ، بخلاف التقدير الأول ؛ فان المؤدى إليه امتناع استقامته فى الظاهر ، وهو موجود بعينه هاهنا مع الوجهين الآخرين ، ويضعف من جهة أن « ذيولها » تكون منصوبة بمصدر مقدر ، والنصب بالمصدر المقدر لايكاد يوجد ، ومن أجل ذلك قدم التقدير الأول ، انتهى .

والبيت من قصيدة للنابغة الذبيانى ، قال بعد بيتين من أولها :

تكملة الشاهد

تَوَهَّمْتُ آيَاتٍ لَهَا فَعَرَفْتُهَا لِسِتَّةِ أَعْوَامٍ وذَا الْعَامُ سَابِعُ
رَمَادٌ كَكُحْلِ الْعَيْنِ مَا إِنْ تُبِينُهُ وَنُؤْيٌ كَجِذْمِ الْحَوْضِ أَثْلَمُ خَاشِعُ
كَأَنَّ مَجَرَّ الرَّامِسَاتِ ذُيُولَهَا عَلَيْهِ قَضِيمٌ نَمَّقَتْهُ الصَّوَانِعُ
عَلَى ظَهْرِ مِبْنَاةٍ جَدِيدٍ سُيُورُهَا يَطُوفُ بِهَا وَسْطَ اللَّطِيمَةِ بَائِعُ

توهمت : تفرست ، وآيات الدار : علامات دار الحبيبة لاندراسها ، واللام بمعنى بعد ، ورمادٌ ونؤىٌ استئناف لتفسير بعض الآيات : أى بعض الآيات رماد وبعضها نُؤْى ، وإنْ : زائدة ، وتبينه : تظهره ، وفاعله إما ضمير ديار الحبيبة وإما ضمير المخاطب ، والنُّؤْى بضم النون وسكون الهمزة حفيرة تحفر حول الخباء ، ويجعل ترابها حاجزاً لئلا يدخل المطر ، والجِذْم بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة : الأصل ، والباقى . والخاشع : اللاطىء بالأرض قد اطمأن وذهب شُخُوصه ، وقوله « كأن مجر الخ » ضمير عليه راجع إلى النؤى ، وقال بعض شراح الشواهد : راجع إلى الربع ، وليس الربع مذكورا فى الشعر ، وإنما قاله على

التخمين ، ونمقته : حسنته ، والصوانع : جمع صانعة ، من الصنع بالضم وهو إجادة الفعل ، وليس كل فعل صنعا (١) ، ولا يجوز نسبته إلى الحيوان غير الآدمى ولا إلى الجمادات و إن كان الفعل ينسب إليها ، وقوله « على ظهر مبناة ـ الخ » المِبْنَاةَ ـ بكسر الميم وسكون الموحدة بعدها نون ـ النطع بكسر فسكون و بفتحتين و كعنب بساط من أديم ، وقال ابن برى : المِبْنَاةَ هى كالخِدْر تتخذ للعروس يبنى بها زوجها فيه (٢) ، ولذلك سميت مِبْنَاةً ، وكانوا ينقشون النِّطع بالقضيم وهى الصحف البيض تقطع وينقش بها الأدم تلزق عليه وتحرز ؛ وقال الأصمعى : كانوا يجعلون الحصير المزين المنقوش على نطع ثم يطوفون به للبيع ، قال قطرب : وسمى المسك لطيمة لأنه يجعل على اللاطم ، وهى الخدود ، انتهى. وقال غيره : واللطيمة بفتح اللام وكسر الطاء سوق فيها بَزٌّ وطيب ، يقول : القضيم الذى هو الحصير على هذا النطع يطوف بها بائع فى الموسم ، قال الأصمعى: كان من يبيع متاعا يفرش نطعا ويَضَع عليه متاعه ، والنطع يسمى مبناة ، فيقول : نشر هذا التاجر حصيرا على نِطَعٍ ، وإنما سميت مبناة لأنها كانت تتخذ قبابا ، والقبة والبناء سواء ، والأنطاع يبنى بها القباب

والنابغة الذبيانى شاعر جاهلى ترجمناه فى الشاهد الرابع بعد المائة من شواهد شرح الكافية

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والخمسون [من الرجز] :

٥١ — * ذَكَّرْتَنِي الطَّعْنَ وَكُنْتُ نَاسِيَا *

---

(١) فى الأصول « وليس كل صنع فعلا » وهو مخالف لما ذكره من قبل ومن بعد فى تفسير الصنع ؛ إذ الصنع فعل وزيادة قيد ، فهو أخص مطلقا ، والفعل أعم مطلقا ، فكل صنع فعل وليس كل فعل صنعا

(٢) فى أصول الكتاب « فيها » والأنسب لما قبله ولما بعده ما ذكرناه

على أنه مثل يضرب فى الحديث يستذكر به حديث غيره

وأول من قاله رُهَيْمُ ابن حَزْنٍ الهِلاَلى ، وكان انتقل بأهله وماله من بلده يريد بلدا آخر ، فاعترضه قوم من بنى تغلب ، فعرفوه وهو لايعرفهم ، فقالوا له : خَلِّ مامعك وانج بنفسك ، قال لهم : دونكم المالَ ولا تتعرضوا لِلْحُرَم ، فقال له بعضهم : إن أردت أن نفعل ذلك فألقِ رمحك ، فقال : وإن معى لَرُمْحًا ؟ فشدَّ عليهم ، فجعل يقتل واحدا بعد واحد ، وهو يرتجز ويقول :

رُدُّوا عَلَى أَقْرَبِهَا الْأَقَاصِيَا إِنَّ لَهَا بِالْمَشْرَفِىِّ حَادِيَا

* ذَكَّرْتَنِى الطَّعْنَ وَكُنْتُ نَاسِيَا *

وقيل : إن أصله أن رجلا حمل على رجل ليقتله ، وكان فى يد المحمول عليه رمح فأنساه الدهش مافى يده ، فقال له الحامل : ألقِ الرمح ؛ فقال الآخر : إن معى رمحا لاأشعر به ؟

* ذَكَّرْتَنِى الطَّعْنَ وَكُنْتُ نَاسِيَا *

فحمل على صاحبه فطعنه حتى قتله أو هزمه ، يضرب فى تذكر الشىء بغيره ، ويقال : إن الحامل صخر بن معاوية السلمى ، والمحمول عليه يزيد بن الصَّعِق ، كذا فى غاية الوسائل إلى معرفة الأوائل تأليف إسماعيل بن هبة الله الموصلى الشافعى ، واقتصر الزمخشرى فى مستقصى الأمثال على القول الأول والثالث

وقوله « ردوا على أقربها » الضمير للابل ، والأقاصى : جمع أقصى وهو البعيد ، والمَشْرَفِى — بفتح الميم والراء — السيف نسبة إلى مشارف على خلاف القياس (١) ، ومَشَارِف — بفتح الميم — اسم قرية يعمل فيها السيوف الجيدة ،

---

(١) اعلم أن العلماء قد اختلفوا فى مشارف ، أهو اسم لجمع من القرى يقال لكل قرية منها مشرف أم هو اسم لقرية واحدة ، وأصله جمع فسمى به ، فمن ذهب إلى الأول فان النسب إليه حينئذ بقولهم مشرفى قياس ، لأنه جمع والجمع

والحادى : السائق ، ورُهَيْم : مصغر رُهْم بضم الراء وسكون الهاء ، وروى مكبرا أيضا ، وحَزْن — بفتح الهاء المهملة وسكون الزاى — وهو شاعر جاهلى

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والخمسون [من السريع]

٥٢ — وَكُنْتُ كَالسَّاعِى إلَى مَثْعَبٍ   مُوَائِلاً مِنْ سَبَلِ الرَّاعِدِ

ضرب به هنا مثلا ، وهو كقوله :

الْمُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَتِهِ   كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ

والبيت لسعيد بن حسان ، وقبله :

فَرَرْتُ مِنْ مَعْنٍ وَإِفْلاَسِهِ   إِلَى الْيَزِيدِىِّ أَبِى وَافِدِ

ومعن : هو معن بن زائدة الجواد المشهور المضروب [مثلا] فى الجود والكرم ، وكان من أمراء الدولة الأموية والدولة العباسية ، وإنما قال « وإفلاسه » لأن الإفلاس لازم للكرام فى أكثر الأيام ، واليزيدى : هو أحد أولاد يزيد بن عبد الملك ، والساعى : من سَعَى الرجل إلى صاحبه : أى ذهب إليها ، وَالْمَثْعَب — بفتح الميم وسكون المثلثة وفتح العين المهملة — قال الجوهرى : هو أحد مثاعب الحياض ، وانثعب الماء : جرى فى المثعب ، والْمُوَائل : اسم فاعل من واءل منه على وزن فاعَل : أى طلب النجاة وهرب ، والمَوْئل : الملجأ ، وقد وأل يَئِل وَأْلاً : أى لجأ ، والسَّبَلُ بالسين المهملة والباء الموحدة المفتوحتين : هو المطر ، والراعد : سحاب ذو رعد ، ويقال : رَعَدَتْ السماء رَعْدًا من باب قتل ورُعُوداً : لاح منها الرعد . يقول أنا فى التجائى إليه كالهارب من السحاب ملتجئا إلى الميزاب ، فقد وقعت فى أشد مما هربت منه ، ولم أر هذين البيتين إلا فى تاريخ يمين الدولة محمود بن سبكتكين للعتبى ، أوردها تمثيلا ، ونسبهما إلى سعيد المذكور .

* * *

يرد إلى أصله ، ومن ذهب إلى الثانى فالواجب أن ينسب إليه على لفظه فقيال مشار فى ، ومشرفى شاذ ؛ وهذا هو الذى ذهب إليه المؤلف

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والخمسون [من الطويل] :

٥٣ — وَلَسْتَ بِنَحْوِيٍّ يَلُوكُ لِسَانَهُ   وَلٰكِنْ سَلِيقِيٌّ أَقُولُ فَأُعْرِبُ

على أن السليق فى النسبة لسليقة شاذ

قال صاحب العباب: السليقة : الطبيعة ، يقال : فلان يتكلم بالسليقة : أى بطبعه لاعن تعلم ، وفى حديث أبى الأسود الدؤلى أنه وضع النحو حين اضطرب كلام العرب فغلبت السليقية : أى اللغة التى يسترسل فيها المتكلم بها على سليقته من غير تعهد إعراب ولا تجنب لحن ، قال :

* وَلَسْتُ بِنَحْوِيٍّ يَلُوكُ لِسَانَهُ * البيت

ولم يتكلم عليه ابن برى فى أماليه على الصحاح ، ولا الصفدى فى حاشيته عليه ، وكذا أورده ابن الأثير فى النهاية غير منسوب إلى قائله

والنحوى : الرجل المنسوب إلى علم النحو ، ويلوك لسانه : من لاك الشىء فى فمه ، إذا عَلَكَهُ ، يريد التكلف والتصنع فى الكلام ، وسليق : خبر مبتدأ محذوف : أى أنا سليقى ، والقياس سَلَقِى كَحَنَفِى فى النسبة إلى حنيفة ، وأعرب : من الإعراب ، وهو القول المفصح عما فى الضمير ، وجملة « أقول — إلخ » صفة كاشفة لسليقى .

ولم أقف على قائله ، والله سبحانه أعلم

***

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون [من الوافر]

٥٤ — جَرَى الدَّمَيَانِ بِالْخَبَرِ الْيَقِينِ

على أنه شاذ ، والقياس الدَّمَانِ ؛ لما سيأتى فى البيت الذى بعده

وقد أوردنا ما قيل فيه مستوفًى فى الشاهد الخامس والستين بعد الخمسمائة من شرح شواهد شرح الكافية

وهذا المصراع من أبيات ثلاثة لعلى بن بَدَّالٍ السُّلَمِيّ ، رواها ابن دريد في المجتبى ، وهي :

لَعَمْرُكَ إِنَّنِي وَأَبَا رَبَاحٍ   عَلَى حَالِ التَّكَاشُرِ مُنْذُ حِينِ

لَأُبْغِضُهُ وَيُبْغِضُنِي وَأَيْضاً   يَرَانِي دُونَهُ وَأَرَاهُ دُونِي

وَلَوْ أَنَّا عَلَى جُحْرٍ ذُبِحْنَا   جَرَى الدَّمَيَانِ بِالْخَبَرِ الْيَقِينِ

والتكاشر : المباسطة في الكشر وهو التبسم ، ورواه ابن دريد في الجمهرة كذا

* عَلَى طُولِ التَّجَاوُرِ مُنْذُ حِينِ *

والْجُحْرُ ـ بضم الجيم وسكون الحاء ـ : الشق في الأرض ، وقوله « جرى الدميان الخ » أراد بالخبر اليقين مااشتهر عند العرب من أنه لا يمتزج دم المتباغضين ، وهذا تلميح ، قال ابن الأعرابي : معناه لم يختلط دمي ودمه من بغضي له و بغضه لي ، بل يجري دمي يَمْنَةً ودمه يسرة

وقد استقصينا الكلام على معناه و إعلاله هناك ، فليراجع ثَمة

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون [من الكامل] :

٥٥ — يَدَيَانِ بَيْضَاوَانِ عِنْدَ مُحَلِّمٍ

على أنه شاذ ، والقياس يَدَان بدون رَدِّ اللام المحذوفة ؛ لأن هذه اللام لم ترد عند الإضافة إذا قلت : يَدُه

قال ابن يعيش : وإذا لم يرجع الحرف الساقط في الإضافة لم يرجع في التثنية ، ومثاله يَدٌ وَدَمٌ ؛ فانك تقول : دَمَانِ و يَدَانِ ، فلا ترد الذاهب ؛ لأنه لا يرد في الإضافة ؛ فأما قوله :

* يَدَيَانِ بَيْضَاوَانِ . . . البيت *

وقول الآخر :

* جَرَى الدَّمَيَانِ . . . البيت *

وحمله [1] أصحابنا على القلة والشذوذ وجعلوه من قبيل الضرورة ، والذى أراه أن بعض العرب يقول فى اليد يَدًا فى الأحوال كلها ، يجعله مقصورا كرحًى وفتًى ، وتثنيته على هذه اللغة يَدَيَانِ ، مثل رَحَيَانِ ، يقال منقوصا ومقصورا ، وعليه قول الشاعر :

فَلَسْنَا عَلَى الأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُومُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا يَقْطُرُ الدَّمَا

انتهى :

وقد أشبعنا الكلام عليه فى الشاهد الرابع والستين بعد الخمسمائة ،وتمامه :

* قَدْ يَغْنَمَانِكَ أَنْ تُضَامَ وَتُهْضَمَا *

ومُحَلِّم – بكسر اللام – : اسم رجل ، وضامه يضيمه بمعنى ظلمه ، وكذا هضمه وفيه روايات أخر ذكرناها هناك

* * *

وأنشد هنا الجاربردى ، وهو الشاهد السادس والخمسون [من الطويل]

٥٦ — فَلَسْنَا عَلَى الأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُومُنَا
وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا يَقْطُرُ الدَّمَا

على أن دما أصله دَمَىٌ تحرك الياء وانفتح ما قبلها فانقلبت ألفا فصار دما كما فى البيت ، وهذا إنما يتم إذا كان فتح الميم قبل حذف اللام ، وعلى أنّ يقطر بالمثناة التحتية ، وعلى أن الدما بمعنى الدم ، وفى كل منها بحث ذكرناه مفصلا فى الشاهد السادس والستين بعد الخمسمائة من شواهد شرح الكافية ، والأعقاب :

---

(١) كذا فى الأصول وفى شرح المفصل لابن يعيش (٤ : ١٥١) وخير من هذا أن يقال « فحمله أصحابنا » على أن يكون ذلك جواب أما ؛ وتوجيه عبارته ن يجعل الجواب محذوفا مقترنا بالفاء والمذكور معطوف عليه

جمع عَقِب — بفتح فكسر — وهو مؤخر القدم : والكلوم : جمع كَلْم — بفتح فسكون — وهو الجرح ، يقول إذا جرحنا فى الحرب كانت الجراحات فى مقدمنا لا فى مؤخرنا ، وسالت الدماء على أقدامنا لا على أعقابنا ، وتقدم بقية الكلام هناك

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد السابع والخمسون [من الطويل] :

٥٧ — هُمَا نَفَثَا فِى فِىَّ مِنْ فَمَوَيْهِمَا

على أنه من قال فى التثنية فموان قال فى النسبة فموى ، وفيه الجمع بين البدل والمبْدَل منه وهى الميم والواو ، وتقدم بسط الكلام عليه فى الشاهد السادس والعشرين بعد الثلاثمائة من شرح شواهد شرح الكافية ، وتمامه

* عَلَى النَّابِحِ الْعَاوِى أَشَدَّ رِجَامِ *

وضمير التثنية لابليس وابن إبليس، ونفثا: الْقَيَا على لسانى ، وأراد بالنابح هنا من تعرض لهجوه من الشعراء ، وأصله فى الكلب ، ومثله العاوى ، والرِّجام : مصدر رَاجَمهُ بالحجارة : أى راماه ، وراجم فلان عن قومه إذا دفع عنهم ، جعل الهجاء فى مقابلة الهجاء كالمراجمة ؛ لجعله الهاجى كالكلب النابح

والبيت آخر قصيدة للفرزدق قالها فى آخر عمره تائباً إلى الله تعالى مما فرط منه من مهاجاته الناس، وذم فيها إبليس لإغوائه إياه فى شبابه ، وقد أوردنا غالب أبيات القصيدة هناك

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الثامن والخمسون [من الطويل]

٥٨ — تَزَوَّجْتُهَا رَامِيَّةً هُرْمُزِيَّةً
بِفَضْلِ الَّذِى أَعْطَى الْأَمِيرُ مِنَ الرِّزْقِ

على أنه جاء النسبة إلى الجزأين فى رَامَهُرْمُزَ ، قال أبو حيان فى الارتشاف : وتركيب الْمَزْج تحذف الجزء الثانى منه ، فتقول فى بعلبك : بَعْلِىٌّ، وأجاز الجرمى

النسب إلى الجزء الثانى مقتصرا عليه ، فتقول : بَكِّىٌّ ، وغير الجرمى كأبى حاتم لا يجيز ذلك إلا منسوبا إليهما قياسا على « راميـة هرمزية » أو يقتصر على الأول ، انتهى

أقوال العلماء فى معنى رامهرمز

قال ياقوت فى معجم البلدان : معنى رام بالفارسـية المراد والمقصود ، وهرمز أحد الأكاسرة ، فـكأن هذه اللفظة مركبة معناها المقصود هرمز

وقال حمـزة : رامهرمز : اسم مختصر من رامهرمز أزدشير ، وهى مدينة مشهورة بنواحى خورستان ، والعامة يسمونها رامز كسلاً منهم من غير تتمة اللفظ ، وفى رامهرمز يجتمع النخل والجوز والثلج والأترج ، وليس ذلك يجتمع بغيرها من مدن خورستان ، وقد ذكرها الشعراء ، فقال وَرْدُ بن الوَرْدِ الجعدى :

أَمُغْتَرِباً أَصْبَحْتُ فِى رَامَهُرْمُز ... أَلاَ كُلُّ كَعْبِىٍّ هُنَاكَ غَرِيبُ
إِذَا رَاحَ رَكْبٌ مُصْعِدُونَ فَقَلْبُهُ ... مَعَ الْمُصْعِدِينَ الرَّائِحِينَ جَنِيبُ
وَلاَ خَيْرَ فِى الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تَزُرْ بِهَا ... حَبِيبًا وَلَمْ يَطْرَبْ إِلَيْكَ حَبِيبُ

انتهى

وقوله « رام بمعنى المقصود » هـذا غير معروف فى تلك اللغة ، وإنما معناها عندهم : المطيع ، والمنقاد ، واسم يوم من أيام كل شهر . والفضل : الزيادة ، والرزق : ما يعطى الجندى فى الشهر أو فى السنة من بيت مال المسلمين

والبيت أنشده صاحب العباب ولم يَعْزُهُ إلى أحد ، وقال الشاطبى : أنشـده السيرافى غُفلا ، ولم أقف على قائله ولا تتمته ، والله أعلم

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والخمسون [من الطويل]

٥٩ — * طَبِيبٌ بِمَا أَعْيَا النِّطَاسِىَّ حِذْيَمَا *

ابن حذيم

على أن الأصل «ابْن حذيم» فحذف ابن لظهور المراد وشهرته عند المخاطب ، وهو بكسر الحاء المهملة وسكون الذال المعجمة وفتح المثناة التحتية ، قال ابن الأثير

فى المرصع : ابن حِذْيَمْ : شاعر فى قديم الدهر ، يقــال : إنه كان طبيبا حاذقا يضرب به المثــل فى الطب ، فيقال : أَطَبُّ بالـكى من ابن حِذيم ، وسماه أوس حِذْيَماً فقال

* عَلِيمٌ بِمَا أَعْيَا النِّطَاسِىَّ حِذْيَمَا *

انتهى :

وقال ابن السكيت فى شرح ديوان أوس : حِذْيَمٌ : رجل من تيم الرباب ، وكان متطبباً عالما ، هذا كلامه

فعنده أن الطبيب حذيم لا ابن حذيم ، وتبعه صاحب القاموس ، فلا حذف فيه ولا شاهد ، وبقية الـكلام عليه مذكورة فى الشاهد الرابع عشر بعد الثلاثمائة

وهذا عجز ، وصدره :

* فَهَلْ لَـكُمُ فِيهَا إِلَيَّ فَإِنَّنِى *

وهو من أبيات لأوس بن حجر قالها لبنى الحارث بن سَدُوس بن شيبان ، وهم أهل القُرَيَّة باليمامة حيث اقتسموا معزاه ، وقد شُرِحَت هناك ، وقوله « فهل لـكم فيها » أى : فى ردها ، والضمير للمعزى وقوله « بما أعيا » فاعله ضمير ما الموصولة الواقعة على الداء : أى أننى حاذق بالداء الذى أعجز الأطباء فى مداواته ، والنِّطاسى — بكسر النون — قال ابن السكيت : هو العالم الشديد النظر فى الأمور وبعده [من الطويل] :

فأُخْرِجَـكُمْ مِنْ ثَوْبِ شَمْطَاء عَارِكٍ مُشَهَّرَةٍ بَلَّتْ أَسَافِلَهُ دَمَا

والشمطاء : المرأة فى رأسها شَمَط ـ بالتحريك ـ وهو بياض شعر الرأس يخالطه سواد ، والعارك : الحائض ، ومشهرة : من الشهرة ، وهو وضوح الأمر ، يقول : هل لـكم ميل فى ردّ مِعزَاى إلىّ فأخرجكم من سُبَّة شنعاء تلطخ أعراضكم وتدنسها كما تدنس الحائض ثوبها بالدم فأغسله عنكم ، وهذا مثل ضربه

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الستون [من الطويل]

٦٠ — وَمَا أَنَا كُنْتِيٌّ وَمَا أَنَا عَاجِنٌ وَشَرُّ الرِّجَالِ الْكُنْتُنِيُّ وعَاجِنُ

على أنه قيل فى النسبة إلى كنتُ « كنتى » بلا نون ، « وكنتنى » بنون ، فى الصحاح : قال أبو عمرو : يقال للرجل إذا شاخ : كنتى ، كأنه نسب إلى قوله كنت فى شبابى كذا ، وأنشد البيت كذا [من الطويل]

فَأَصْبَحْتُ كُنْتِيًّا وَأَصْبَحْتُ عَاجِنًا وَشَرُّ خِصَالِ الْمَرْءِ كُنْتُ وعَاجِنُ

وقال فى مادة عجن أيضاً : وعجن الرجل إذا نهض معتمداً على الأرض من الكبر ، أنشد البيت أيضاً . ولم يتعرض له ابن برى بشىء ، ولا الصفدى فيما كتبا عليه ، وكذلك أورده ابن يعيش ثم قال : ومنهم من قال كنتنى فزاد نون الوقاية مع ضمير الفاعل ، كأنه حافظ على لفظ كنت ليسلم كنت من الكسرة ، قال الشاعر أنشده ثعلب [من الطويل]

وَمَا أَنا كُنْتِيٌّ وَما أَنا عَاجِنٌ وشَرُّ الرِّجَالِ الْكُنْتُنِيُّ وعَاجِنُ

وقد أعاب أبو العباس كنتيا[1] ، وقال : هو خطأ

وقال ابن جنى فى سر الصناعة : أنشد أبو زيد [من الوافر]

إِذَا مَا كُنْتَ مُلْتَمِسًا لِقُوتٍ فَلَا تَصْرُخْ بِكُنْتِيٍّ كَبِيرِ

وأنشد أحمد بن يحيى (من الطويل)

فأَصْبَحْتُ كُنْتِيًّا وأَصْبَحْتُ عاجِناً وَشَرُّ خِصَالِ الْمَرْءِ كُنْتُ وَعاجِنُ

فقوله « كنتيا » معناه أن يقول : كنت أفعل فى شبابى كذا ، وكنت فى حداثتى أصنع كذا ، و« كنت » فعل وفاعله التاء ، ومن الأصول المستمرة أنك لو سميت رجلا بجملة مركبة من فعل وفاعل ثم أضفت إليه : أى نسبت لأوقعت الإضافة على الصدر وحذفت الفاعل ، وعلى ذلك قالوا فى النسبة إلى تأبط شراً : تأبطى ، وفى قمت : قومى ، حذفوا التاء وحركت الميم بالكسرة التى تجلبها ياء الإضافة ، فلما تحركت

(١) الذى فى ابن يعيش (ج٦ص٨) : « وما أنت ... وقد عاب أبو العباس كنتنيا »

رجعت الواو التى كانت سقطت لسكونها وسكون تلك الواو عين الفعل من قام فقلت قومِىّ ، وكذا كان القياس أن تقول فى كنت : كُونِىّ ، تحذف التاء لأنها الفاعل وتحرك النون فترد الواو التى هى عين الفعل ، فقولهم «كنتى» وإقرارهم التاء مع ياء الاضافة يدل عَلَى أنهم قد أجروا ضمير الفاعل مع الفعل مجرى دَال زَيْد من زائه ويائه ، وكأنهم نَـبَّهُوا بهذا على اعتقادهم قوة اتصال الفعل بالفاعل ، وأنهما قد حلا جميعاً محل الجزء الواحد ، انتهى كلامه

ولم أقف على قائله والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده [من الـكامل]

١١ — يَنْبَاعُ مِنْ ذِفْرَى غَضُوبٍ جَسْرَةٍ

وتقدم شرحه فى الشاهد الحادى عشر

* * *

وأنشد بعده ، وهو البيت الحادى والستون [من الطويل]

٦١ — وَمَا أنَا وَحْدِى قُلْتُ ذَا الشِّعْرَ كُلَّهُ

وَلٰـكِنْ لِشِعْرِى فِيكَ مِنْ نَفْسِهِ شِعْرُ

وهو من قصيدة المتنبى يمدح بها على بن عامر الأنطاكى ، قال الواحدى : يقول ماانفردت أنا بإنشاء هذ الشعر ، ولـكن أعاننى شعرى على مدحك لأنه أراد مدحك كما أردته ، والمعنى من قول أبى تمام [من البسيط]

تَغَايَرَ الشِّعْرُ فِيهِ إِذْ سَهِرْتُ لَهُ حَتَّى تَـكَادُ قَوَافِيهِ سَتَقْتَتِلُ

انتهى ، ومثله للمتنبى أيضا [من الطويل]

لَكَ الْحَمْدُ فِى الدُّرِّ الَّذِى لِىَ لَفْظُهُ وَإِنَّكَ مُعْطِيهِ وَإِنِّىَ نَاظِمُ

وقد أكثر الناس تداول هذا المعنى ، قال ابن الرومى [من الوافر]

وَدُونَكَ مِنْ أَقَاوِيلِى مَدِيحاً غَدَا لَكَ دُرُّهُ وَلِىَ النِّظَامُ

وقال أبو إسحق الغزى [من الطويل]

مَعَانِيكَ فِي الأَشْعَارِ تَنْظِمُ نَفْسَهَا ... وَمَنْ لَمْ يَخُنْهُ السَّجْلُ والشَّطْنُ اسْتَقَى

وله أيضاً : [من الطويل]

وَمَا أَنَا فِي مَدْحِيكَ إِلاَّ كَماسِحٍ ... بِكَفَّيْهِ مَتْنَ السَّيْفِ وَهُوَ صَقِيلُ

وقال تميم بن المعز [من الطويل]

وَسَارَ بِمَدْحِي فِيكَ كُلُّ مُهَجِّرٍ ... وَغَنَّى بِهِ فِي السَّهْلِ وَالْوَعْرِ مَنْ يَحْدُو

وَصَاغَتْ لَهُ عُلْيَاكَ حُسْنًا وَزِينَةً ... وَحِيكَتْ بِهَا مِنْ حَلْيِ أَلْفَاظِهَا بُرْدُ

وَلَيْسَ لِكُلِّ النَّاسِ يُسْتَحْسَنُ الثَّنَا ... كَمَا لَيْسَ فِي كُلِّ الطُّلاَ يَحْسُنُ الْعِقْدُ

وقال الخفاجى [من الطويل]

وَلِي فِيكَ مِنْ غُرِّ الْقَوَافِي قَصَائِدٌ ... تُقَبِّلُ أَفْوَاهَ الرُّوَاةِ لَهَا رَشْفَا

وَمَا أَدَّعِي دُرَّ الْكَلاَمِ لأَنَّهُ ... صِفَاتُكَ إِلاَّ أَنَّنِي لاَ أُحْسِنُ الرَّصْفَا

وقال ابن المعلم [من البسيط]

أَخَذْتُ مِنْكَ الَّذِي أُثْنِي عَلَيْكَ بِهِ ... فَأَنْتَ لاَ أَنَا بِالنُّعْمَى مُؤَلِّفُهُ

فَمَا أَتَيْتُ بِشِعْرٍ بِتُّ أَنْظِمُهُ ... لِلْمَدْحِ فِيكَ وَلاَ شِعْرٍ أُصَنِّفُهُ

وقال الصفى الحلى : [من الخفيف]

لَيْسَ لِي فِي صِفَاتِ مَجْدِكَ فَضْلٌ ... هِيَ أَبْدَتْ لَنَا بَدِيعَ الْمَعَانِي

كُلَّمَا بَدَّعَتْ سَجَايَاكَ مَعْنًى ... نَظَمَتْ فِكْرَتِي وَخَطَّ بَنَانِي

وقال ابن قلاقس [من الوافر]

وَمِنْكَ وَفِيكَ تَنْتَظِمُ الْقَوَافِي ... وَمَنْ وَجَدَ الْمَقَالَ الرَّحْبَ قَالاَ

***

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والستون : [من البسيط]

٦٢ — دَعِ الْمَكَارِمَ لاَ تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا ... وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

على أن الطاعم والكاسى للنسبة : أى ذو كسوة وذو طعام

والبيت من قصيدة للحطيئة هجا بها الزبرقان بن بدر ، قال شارح ديوانه : هجاء الحطيئة للزبرقان
أى أنك ترضى بأن تشبع وتلبس ، يقال : كَسِيَ الرجل يَكْسَى إذا اكتسى ، ولما بلغ الزبرقان قول الحطيئة « دع المكارم — البيت » استعدى عليه عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، فقال ياأمير المؤمنين ، هجانى ، قال : أنشدنى الذى هجاك فأنشده الزبرقان قول الحطيئة هذا ، فقال عمر : ما أراه هجاك ولكنه مدحك ، فقال الزبرقان : اجعل بينى و بينه حسان بن ثابت ، فبعث عمر رضى الله عنه إلى حسان ، فلما أتاه أنشده قول الحطيئة ، فقال حسان : ياأميرالمؤمنين ماهجاه ولكن سلح عليه ، انتهى .

وقد ذكرنا فى الشاهد الرابع عشر بعد المائتين من شواهد شرح الكافية سبب هجو الحطيئة للزبرقان ، ومن هذه القصيدة

أَزْمَعْتُ يَأْسًا مُبِينًا مِنْ نَوَالِكُمُ وَلَنْ تَرَى طَارِدًا لِلْحُرِّ كَالْيَاسِ

وما أحسن هذا البيت :

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لاَ يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ لاَ يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاس

وترجمة الحطيئة تقدمت فى الشاهد التاسع والأربعين بعد المائة من شرح شواهد شرح الكافية .

الجمـــع

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثالث والستون ، وهو من شواهد سيبويه : [من الكامل]

٦٣ — عَنْ مُبْرِقَاتٍ بِالْبُرِينَ وَتَبْدُو بِالْأَكُفِّ اللاَّمِعَاتِ سُوُرْ

على أن ضم الواو لضرورة الشعر

وهذا نص سيبويه « وأما فُعُل فإن الواو فيه تسكن لاجتماع الضمتين والواو

فجعلوا الإسكان فيها نظيرا للهمزة فى الواو فى أدْؤُر وقَؤُول ، وذلك قولهم : عَوَانٌ وعُون ، ونَوَار ونُور، وقَؤُول ، وقوم قُولٌ ، وألزموا هذا الإسكان؛ إذ كانوا يسكنون غير المعتل نحو رُسْل وعَضْد ونحو ذلك ، ولذلك آثروا الإسكان فيها على الهمزة حيث كان مثالها يسكن للاستثقال ، ولم يكن لأدْؤُر وقؤول مثال من غير المعتل يسكن فيشبه به و يجوز تثقيله فى الشعر كما يضعفون فيه ما لا يضعف فى الكلام ، قال الشاعر وهو عدى بن زيد :

* وَفِى الأَكُفّ اللّامِعَاتِ سُوُرْ *

انتهى كلامه .

قال الأعلم : الشاهد فيه تحريك الواو من سُوُرْ بالضم على الأصل تشبيها للمعتل بالصحيح عند الضرورة ، فالمستعمل فى هذا تسكين الثانى تخفيفا ؛ إذ كان التخفيف جائزا فى الصحيح فى مثل الحُمْر والرُّسْل ، فلما كان فى الصحيح جائزا مع خفته كان فى المعتل لازما لثقله ، والسُّوُر : جمع سِوار ، وأراد بالأكف المعاصم فسماها باسمها لقربها منها ، انتهى .

وقال ابن جنى فى شرح تصريف المازنى : تثقيل مثل هذا إنما يجىء لضرورة الشعر كقوله : [من المتقارب]

أَغَرُّ الثَّنَايَا أَحَمُّ اللِّثَاتِ تَمْنَحُهُ سُوُكَ الإِسْحِلِ

وحكى أبو زيد رجل جواد وقوم جُوْدٌ وجُوُد ، قال : وقالوا رجل قوول من قوم قُوُل ، وقولهم سُوُر جمع سِوَار وسُوُك جمع سِواك ، ولم أسمع شيئاً من هذا مهموزا وهمزه جائز فى القياس لأن الضمة فى الواو لازمة ، فان كانوا قد أجمعوا على ترك همزه فإنما فعلوا ذلك لئلا يكثر تثقيل هذا الضرب فى كلامهم فيحتاجوا إلى همزه هرباً من الضمة فى الواو ، فحسموا المادة أصلا بأن ألزموه التخفيف فى الأمر العام لا غير ، انتهى .

والبيت من قصيدة لعدى بن زيد بن أيوب العبادى أولها :

قَدْ حَانَ إِنْ صَحَوْتَ أَنْ تُقْصِرْ   وَقَدْ أَتَى لما عهدتَ عُصُرْ
عَنْ مُبْرِقَاتٍ بِالْبُرِينَ وَتَبْدُو   البيت
بِيضٌ عَلَيْهِنَّ الدِّمَقْسُ وَفِي الْ   أَعْنَاقِ مِنْ تَحْتِ الأَكُفَّةِ دُر
كَالْبِيضِ فى الرَّوْضِ المنوِّر قد   أَفْضَى بِهِنَّ إِلى الكَثِيبِ نُهر
بِأَرج من أَرْدَانِهِنَّ مَعَ الْمِـ   سْكِ الزَّكِيِّ زنبق وقُطُر
جَارَيْتُهُنَّ فِي الشَّبَابِ وَإِذْ   قَلْبِى بِأَحْكَامِ الْحَوَادِثِ غِرّْ

قوله « قد حان » أى : قرب ، و إن : شرطية ، وجوابها محذوف يدل عليه ماقبلها ، وصحوت : خطاب لنفسه ، والصحو : الإفاقة من السكر ، وروى « لو صحوت » ولو للتمنى ، وقيل : شرطيةٌ ماقبلها دليل جوابها ، وقوله « أن تقصر » بفتح أنْ وهى مع ما بعدها فى تأويل مصدر مرفوع فاعل « حَانَ » وسكن الراء للوقف ، وقيل : إنها مهملة هنا ، وتُقْصر مرفوع ، وهى لغة لبعض العرب يُجْرونها مُجْرَى ما ، وتقصر من أقصر عن الشيء إذا كفَّ عنه وانزجر ، قال الجوهرى : أقصرت عنه كففت ونزعت مع القدرة عليه ، فإن عجزت قلت قَصَرْتُ بلا ألف ، وقوله « وقد أتى — الخ » جملة حالية من فاعل تقصر ، وقيل : جملة اعتراضية ، وعُصُر فاعل أتى ، وهو بضمتين بمعنى الْعَصْر بفتح فسكون ، واللام بمعنى على ، والمعنى أتى زمن الشيوخة على ماعهدت من زمن الشباب ؛ وقوله « عن مبرقات » متعلق بتقصر ؛ قال صاحب العباب : أبرقت المرأة إذا تحسنت وتزينت : ثم قال : و برقت المرأة إذا تحسنت وتعرضت مثل أبرقت ، وَالْبُرِين : جمع بُرَة — بضم الباء — وهى الْخَلْخَالُ يكون فى أرْجل النساء ، وهذا الجمع على

خلاف القياس (١) ، وتَبْدُو : تظهر ، وفاعله ضمير المبرقات ، والفعل معطوف على مُبْرِقات لأنه فى معنى يُبْرِقن ، والباء فى «بالأكف» بمعنى على متعلقة بمحذوف خبرمقدم ، وسُوُر : جمع سِوَار ، وهو ماتلبسه النساء فى سواعدهن ، مبتدأ مؤخر ، والجملة حال من فاعل تبدو المستتر ، والرابط إما محذوف : أى وعلى الأكف منها ، وإما «أل» فى الأكف ؛ لأنها عوض (٢) عن الضمير ، والأصل « وبأكفها » والمعنى قد مضى دَهْرٌ بعد شبابك ؛ فقد حان أن تكف عن النساء التى تتزين بزينتها وتظهر للرجال بها

وقد روى الأندلسى — وتبعه بعضهم — هذين البيتين كذا :

قَدْ آنَ لَوْ صَحَوْتَ أَنْ تَقْصِرْ وَقَدْ أَتَى لِمَا عَهِدْتَ عُصُرْ
عَنْ مُبْرِقَاتٍ بِالْبُرَى وَتَذَرْ وَفِى الْأَكُفِّ اللَّامِعَاتِ سُوُرْ

وقال : الْبُرَى بالقصر جمع بُرَة ، وهى الحلقة ؛ والمراد هنا الحلى ، والباء للتعدية ، وقوله «تذر» عطف على «تقصر» وقوله « وفى الأكف » يريد فى أذرع الأكف لأن السوار إنما يكون فى الذراع لا الأكف ، هذا كلامه

وقوله «بيض» جمع بَيْضَاء : أى حسناء ، وَالدِّمَقْسُ — بكسر الدال وفتح الميم — : الحرير الأبيض ، والأكفة : جمع كفاف بالكسر ، كأسْوِرَة جمع سِوار ، والكفاف : الخياطة الثانية ، والشل : الخياطة الأولى ، وقوله « كالْبَيْض » بالفتح جمع بيضة النعام ، والمنوِّر : بكسر الواو المشددة ، «ونُهُر» بضمتين : جمع نَهَر بفتحتين ، ويَأْدَج : يفوح ، «وقُطُر» بضمتين : العود الذى يتبخر به ، وقوله

---

(١) لأنه جمع كما يكون جمع المذكر السالم ، مع أن مفرده ليس علما ولا صفة لمذكر عاقل ، وأيضا لم يسلم بناء واحده ، فهو مخالف للقياس من وجهين : كون مفرده مما لا يجمع هذا الجمع ، وكون الجمع لم يسلم فيه بناء الواحد

(٢) نيابة أل عن الضمير إنما هو مذهب الكوفيين

« جاريتهنّ » التفات من الخطاب إلى التكلم ، « وغرّ » بكسر العين المعجمة ، يقال : رجل غر : أى غير مجرب للامور

وعدى بن زيد شاعر جاهلى تقدمت ترجمته فى الشاهد الستين من شرح شواهد شرح الكافية

***

وأنشد الجاربردى هنا (١) [من البسيط]

٤٩ — أَمَا أُقَاتِلُ عَنْ دِينِي عَلَى فَرَسِي   أَوْ هٰكَذَا رَجُلاً إلاَّ بِأَصْحَابِي

وتقدم شرحه فى الشاهد التاسع والأربعين

***

وأنشد بعده أيضا ، وهو الشاهد الرابع والستون [من الكامل]

٦٤ — مَا زِلْتَ تَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُمْ
خَيْلاً تَكُرُّ عَلَيْكُمُ وَرِجَالاَ

على أن « رِجَالا » فيه بمعنى رَجَّالَة بفتح الراء وتشديد الجيم جمع راجل ، هذا معناه ، وأما لفظه فهو جمع رَجُل ـ بفتح فضم ـ صفة مشبهة بمعنى راجل ، وكذا رجال فى قول الأخطل .

وَبَنُو غُدَانَةَ شَاخِصٌ أَبْصَارُهُمْ   يَسْعَوْنَ تَحْتَ بُطُونِهِنَّ رِجَالاَ

قال السكرى فى شرحه الرِّجَال المشاة الرَّجَّالة

مهاجاة جرير والأخطل

والبيت من قصيدة لجرير هجا بها الأخطل التغلبى النصرانى وكان الأخطل هجا جريراً قبل بقصيدة مطلعها :

كَذَبَتْكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطٍ   غَلَسَ الظَّلاَمِ مِنَ الرَّبَابِ خَيَالاَ

فعارضه جرير بهذه القصيدة ، وهى إحدى الملحمات ومطلعها :

---

(١) انظر شرح الجاربردى (ص ١٣١)

حَيِّ الغَدَاةَ بِرَامَةَ الأَطْلَالَا ... رَسْمًا تَقَادَمَ عَهْدُهُ فَأَحَالَا

إلى أن قال :

قَبَحَ الإِلَهُ وُجُوهَ تَغْلِبَ إِنَّهَا ... هَانَتْ عَلَيَّ مَعَاطِسًا وَسِبَالَا

عَبَدُوا الصَّلِيبَ وَكَذَّبُوا بِمُحَمَّدٍ ... وَبِجِبْرِيلَ وَكَذَّبُوا مِيكَالَا

لَا تَطْلُبَنَّ خُؤُولَةً مِنْ تَغْلِبِ ... الزِّنْجُ أَكْرَمُ مِنْهُمُ أَخْوَالَا

لَوْ أَنَّ تَغْلِبَ جَمَّعَتْ أَحْسَابَهَا ... يَوْمَ التَّفَاضُلِ لَمْ تَزِنْ مِثْقَالَا

وَالتَّغْلَبِيُّ إِذَا تَنَحْنَحَ لِلْقِرَى ... حَكَّ اسْتَهُ وَتَمَثَّلَ الأَمْثَالَا

إلى أن خاطبه وقال :

أَنَسِيتَ قَوْمَكَ بِالْجَزِيرَةِ بَعْدَمَا ... كَانَتْ عُقُوبَتُهُ عَلَيْكَ نَكَالَا

أَلَّا سَأَلْتَ غُثَاءَ دِجْلَةَ عَنْكُمُ ... وَالْخَامِعَاتِ تُجَزِّرُ الأَوْصَالَا

حَمَلَتْ عَلَيْكَ حُمَاةُ قَيْسٍ خَيْلَهُمْ ... شُعْثًا عَوَابِسَ تَحْمِلُ الأَبْطَالَا

مَا زِلْتَ تَحْسَبُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهَا ... خَيْلًا تَشُدُّ عَلَيْكُمُ وَرِجَالَا

زُفَرُ الرَّئِيسُ أَبُو الهُذَيْلِ أَتَاكُمُ ... فَسَبَا النِّسَاءَ وَأَحْرَزَ الأَمْوَالَا

وأشار بهذه الأبيات إلى ماجرى على تغلب بجزيرة ابن عمر (١) من القتل والسبي والنهب

وكان سبب هذه الوقيعة بهم أن بني تغلب لما قتلوا عمير بن الحباب في موضع قرب الثرثار من تكريت أتى أخوه تميم بن الحباب زفرَ بن الحارث وسأله الأخذ بثأره فكره ذلك، فشجعه ابنه الهذيل بن زفر، فرضي، فتوجه تميم بمن معه من

---

(١) قوله « ابن عمر » ليس هو ابن عمر بن الخطاب كما يظنه العوام بل هو ابن عمر من بلدة برقعيد، كذا في هامش نسخ الأصل، وفي معجم ياقوت : جزيرة ابن عمر بلدة فوق الموصل، بينهما ثلاثة أيام ولها رستاق مخصب واسع الخيرات، واحسب أن أول من عمرها الحسن بن عمر بن خطاب التغلبي اه

قيس حتى انتهوا إلى الثرثار، فوجه زفر زيد بن حُمْرَان فى خيل إلى بنى فَدَوْكس من تغلب فقتل رجالهم واستباح نساءهم ، و بعث ابنه الهذيل إلى بنى كعب بن زهير فقتلهم قتلا ذريعاً ، و بعث مسلم بن ربيعة إلى ناحية أخرى فأسرف فى قتلهم ، و بلغ ذلك بنى تغلب فارتحلوا يريدون عبور دجلة ، فلحقهم زفر بالكحيل ، وهو نهر على أسفل الموصل على عشرة فراسخ ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، وترجل أصحاب زفر أجمعون ، و بقى زفر على بغلة له ، فقتلوهم من ليلتهم ، و بقروا بطون النساء ، وكان من غرق فى دجلة أكثر ممن قتل بالسيف

وقوله « ألاَّ سأَلت غثاء دجلة » الْغُثَاء ـ بالضم والمد ـ : ما يطفو على الماء من حطب و زبد ونحوه ، يريد به من قتل من تغلب ، والخامعات ـ بالخاء المعجمة ـ : الضباع ، وتجزر : تقطع ، والأوصال : جمع وصل ـ بالكسر ـ وهو مفصل العضو ، يريد أنها تأكل قتلاهم ، وقوله « مازلت تحسب الخ » خطاب للأخطل ، وضمير « بعدها » للجزيرة وروى « بعدهم » فالضمير لقيس ومن معهم ، وتكر عليكم : تحمل عليكم ، وكذا « نشد » بمعناه ، وقد أخذ المتنبى هذا المعنى فقال [من البسيط]

وَضَاقَتِ الْأَرْضُ حَتَّى كَانَ هَارِبُهُمْ إِذَا رَأَى غَيْرَ شَيْءٍ ظَنَّهُ رَجُلاَ

وقد كرر جرير هذا المعنى فقال فى قصيدة أخرى (من الطويل)

وَلَوْ أَنَّهَا عُصْفُورَةٌ لَحَسِبْتَهَا مُسَوَّمَةً تَدْعُو عُبَيْدًا وَأَزْنَمَا

والمسومة : الخيل المعلمة فى الحرب ، وعبيد بالتصغير ، وأزنم بالزاى والنون : قبيلتان من يربوع ، قال صاحب مناقب الشبان ـ عند هذا البيت ـ نظيره قول جرير أيضا :

* مازلت تحسب كل شىء بعدهم * البيت

و يروى أن الأخطل لما سمع هذا البيت قال : قد استعان عليه بالقرآن ، يعنى قوله تعالى : (يحسبون كل صيحة عليهم) والمعنى فى الآية بأجل لفظ وأحسن

اختصار ، وقريب من هذا البيت وليس مثله قول الآخر (من الطويل)

إِذَا خَفَقَ الْعُصْفُورُ طَارَ فُؤَادُهُ   وَلَيْثٌ حَدِيدُ النَّابِ عِنْدَ الثَّرَائِدِ

انتهى .

وقد أنشده صاحب الكشاف عند تفسير (يحسبون كل صيحة عليهم) قال : ومنه أخذ الأخطل :

* مَا زِلْتَ تَحْسَبُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُمْ *

انتهى ، وصوابه ومنه أخذ جرير كما ذكرنا .

وترجمة جرير تقدمت فى الشاهد الرابع من شواهد شرح الكافية .

***

وأنشد بعده أيضا ، وهو الشاهد الخامس والستون [من الرجز]

٦٥ — فَتَسْتَرِيحَ النَّفْسُ مِنْ زَفْرَاتِهَا

على أن إسكان الفاء من زَفْرَاتها ضرورة ، والقياس فتحها ، قال ابن عصفور فى كتاب الضرائر فى فصل نقص الحركة للضرورة : ومنه قول ذى الرمة [من الطويل] .

أَبَتْ ذِكَرٌ عَوَّدْنَ أَحْشَاءَ قَلْبِهِ   خُفُوقًا وَرَفْضَاتُ الْهَوَى فِي الْمَفَاصِلِ

حكم لرفضات وهى اسم بحكم الصفة ، ألا ترى أن رفضات جمع رَفْضَة ، ورفضة اسم ، والاسم إذا كان على وزن فَعْلَة وكان صحيح العين فإنه إذا جمع بالألف والتاء لم يكن بد من تحريك عينه اتباعا لحركة فائه نحو جَفْنَة وَجَفَنَات ، و إذا كان صفة بقيت العين على سكونها ، نحو ضَخْمَة وضَخْمَات ، و إنما فعلوا ذلك فرقا بين الاسم والصفة ، وكان الاسم أولى بالتحريك لخفته ، واحتمل لذلك ثقل الحركة ، وأيضاً فان الصفة تشبه الفعل لأنها ثانية عن الاسم غير الصفة ؛ كما أن الفعل ثان عن الاسم ، فكما أن الفعل إذا لحقته علامة جمع نحو ضربوا و يضربون

لم يغير ، فكذلك لم تغير الصفة إذا لحقتها علامتا الجمع وهما الألف والتاء ، فكان ينبغي على هذا أن يقول: رَفَضَات ، إلا أنه لما اضطر إلى التسكين حكم لها بحكم الصفة فسكن العين ، ومما يبين لك صحة ماذكرته من أن تسكين العين إنما هو بالحمل على الصفة أن أكثر ما جاء من ذلك في الشعر إنما هو مصدر لقوة شبه المصدر باسم الفاعل الذي هو صفة ، ألا ترى أن كل واحد منهما قد يقع موقع صاحبه ، يقال : رجل عَـدْل : أي عادل ، فوقع المصدر موقع اسم الفاعل ، وقال تعالى (لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ) أي كذب ، فوقع كاذبة وهو اسم الفاعل موقع كذب وهو مصدر ، انتهى . وهذا البيت من رجز أوله :

عَلَّ صُرُوفَ الدَّهْرِ أَوْ دَوْلاَتِهَا   يُدِلْنَنَا اللَّمَّةَ مِنْ لَمَّاتِهَا
فَتَسْتَرِيحَ النَّفْسُ مِنْ زَفْرَاتِهَا   وَتَنْقَعَ الْغُلَّةَ مِنْ غُلاَّتِهَا

وفيه شواهد : الأول علّ بفتح اللام وكسرها ، استدل به البصريون على أن عَلّ أصله لَعَلّ واللام في أولها زائدة ، وردوا على الكوفيين في زعمهم أنها أصلية ، وقد ذكرنا مايتعلق به في الحروف المشبهة بالفعل من شرح شواهد شرح الكافية . الثاني : روى بجر «صروف» واستدل به على أن عَلّ حرف جر ، وقد تقدم الكلام عليه هناك . الثالث : نصب المضارع بأن بعد الفاء في جواب الترجي وهو نصب « تستريح » قال الفراء عند تفسير قوله تعالى (لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمٰوَاتِ فَأَطلع) بالرفع يرده على قوله « أبلغ » ومن جعله جوابا للعلى نصبه ، وقد قرأ به بعض القراء ، قال : وأنشدني بعض العرب * عَلَّ صُرُوفَ الدَّهْرِ * إلى آخر الأبيات الثلاثة الأول . وقال : فنصب على الجواب بلعل ، وأنشده أيضا في سورة «عَبَسَ» قال : قد اجتمع القراء على (فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى) بالرفع ، ولو كان نصبا على جواب الفاء للعلّ كان صوابا ، أنشدني بعضهم * علّ صروف الدهر * إلى آخر الأبيات الأربعة . ولم يذكر قائل الرجز في الموضعين .

وتبع ابن مالك الفراء لوروده في النظم والكلام الفصيح ، كما تقدم .

قال أبو حيان في الارتشاف : وذهب الكوفيون إلى أنه يجوز أن ينتصب الفعل بعد الفاء في جواب الرجاء ، وزعموا أن لعل يكون استفهاما ، وذهب البصريون إلى منع ذلك ، والترجي عندهم في حكم الواجب ، قيل : والصحيح مذهب البصريين لوجوده نظما ونثراً ، ومنه قوله تعالى (وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فَتَنْفَعَهُ الذكرى) في قراءة عاصم ، وهى [قراءة] من متواتر السبع ، ويمكن تأويل النصب ، انتهى .

وقد ذكر تأويله ابن هشام في الباب الرابع من المغني ، قال : وقيل في قراءة حفص (لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطَّلِعَ) بالنصب : إنه عطف على معنى لعلى أبلغ ، وهو لعلى أن أبلغ ، فإنَّ خبر لَعَلَّ يقترن بأنْ كثيرا ، نحو قوله عليه السلام : « فلعل بعضكم أن يكون أَلْحَنَ بحجته من بعض » ويحتمل أنه عطف على الأسباب على حد :

* وَلُبْسُ عَبَاءَةٍ وَتَقَرَّ عَيْنِي *

ومع هذين الاحتمالين يندفع قول الكوفي : إن في هذه القراءة حجة على جواز النصب في جواب الترجي حملا له على التمني ، انتهى .

وقوله « عَلَّ صروف الدهر » جمع صَرْفٍ كَفَلْسٍ وفُلُوس ، وهو الحادثة والنائبة المغيِّرة من حال إلى حال بالتصرف ، وضمير « دولاتها » لصروف الدهر ، والدَّوْلة : بفتح الدال وضمها ، قال الأزهرى : هى الانتقال من حال الضر والبؤس إلى حال الغبطة والسرور ، وقال أبو عبيد : الدولة بالضم : اسم الشيء الذى يُتَدَاوَلُ به بعينه ، والدَّوْلَةُ بالفتح : الفعل ، وقيل : الدولة في الحرب أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى ، يقال : كانت لنا عليهم الدَّوْلَة ، والدُّولة بالضم في المال ، يقال : صار الفيء دُولَةً بينهم يتداولونه مرة لهذا ومرة لهذا

ـذا فى العباب ؛ وقوله « يدِلْننا» هو مضارع أَدَالَهُ مسند إلى النون ضمير الصروف ، أو ضمير الدولات ، ونا : مفعوله كما تقول من أقام : إن النساء يُقمننا ، قال صاحب العباب : الإدالة : الغلبة ، يقال : اللهم أدِلْنِي على فلان وانصرنى عليه ، وتداولته الأيدى : أخذته هذه مرة وهذه مرة ، وقوله تعالى (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) أى : نديرها ، من دال : أى دار ، انتهى : وقال ابن الأثير فى النهاية : وفى حديث وفد ثقيف «نُدَال عليهم ويُدَالونَ علينا» الإدالة : الغلبة ؛ يقال : أُدِيلَ لنا على أعدائنا : أى نصرنا عليهم ، وكانت الدولة لنا ، والدولة : الانتقال من حال الشدة إلى حال الرخاء ، ومنه حديث أبى سفيان وهرقل « ندال عليه ويدال علينا » أى : نغلبه مرة ويغلبنا أخرى ، ومنه حديث الحجاج « يوشك أن تُدَالَ الأرض منا » أى تجعل لها الكرة والدولة علينا فتأكل لحومنا كما نأكل ثمارها وتشرب دماءنا كما نشرب مياهها ، انتهى كلامه . فعرف من هذا كله أن الإدالة متعدية إلى مفعول واحد صريحاً و إلى الثانى بحرف جر ، فضمير المتكلم مع الغير مفعوله وأما اللَّمَّة فمنصوبة على نزع الخافض : أى على اللمة ؛ ولم يصب العينى فى قوله : « واللمة مفعول ثان ليدلننا » انتهى . واللَّمة بفتح اللام ، قال الجوهرى : هى الشدة ، وأنشد هذا البيت . وفى النهاية لابن الأثير : وفى حديث ابن مسعود رضى الله عنه « لابن آدم لَمَّتان لَمَّة من الملك ولَمَّة من الشيطان » اللَّمة : الهمة والخطرة تقطع فى القلب ، أراد إلمام الملك أو الشيطان به والقرب منه ؛ فما كان من خطرات الخير فهو من الملك ، وما كان من خطرات الشر فهو من الشيطان ، انتهى وهذا المعنى أنسب ، وروى فى بعض الكتب « يُدَالِينَنا » بمثناة تحتية بعد اللام ، وهو مضارع أَدْلَى دَلْوَهُ فى البئر إدْلاَء : أى أرسلها ، وهذا لامناسبة له ، وهو تحريف من النساخ ، وقوله « من لماتها » متعلق بمحذوف حال من اللمة ، و يجوز أن يكون وصفاً لها لكون اللمة معرفة بلام الجنس فتكون قريبة من النكرة ،

وقال العينى صفة للمة تقديره اللمة الكائنة من لماتها ، هذا كلامه فتأمله [١] وقوله « فتستريح النفس » نصب تستريح بأن المقدرة بعد الفاء فى جواب الرجاء ، والنفس فاعل ، واللام عوض عن الياء : أى نفسى ، والزفرة ، الاسم من زَفَرَ يَزْفِرُ من باب ضرب زَفيراً ، والزفير : اغتراق النفس محركة بالشدة ، وأنشد الجوهرى هذا البيت هنا ونبه على أن تسكين الفاء ضرورة ، وقوله « وتنقع الغلة » بالنصب معطوف على تستريح ، والفاعل ضمير النفس ، والغلة مفعوله ، ونقع من باب نفع ، فى الصحاح : ونقع الماء العطش نقعا ونُقُوعاً : أى سكنه ، وفى المثل « الرشف أنقع » أى : أن الشراب الذى يترشف قليلا قليلا أقطع للعطش وأنجع وإن كان فيه بطء ، والغلة بضم المعجمة وهى حرارة العطش .

* * *

وأنشد بعده أيضا ، وهو الشاهد السادس والستون [من الطويل] :

٦٦ — * أخُو بَيَضَاتٍ رَائِحٌ مُتَأَوِّبٌ *

على أن بَيَضَاتٍ بفتح العين جاء على لغة هذيل ، فإنهم يفتحون العين فى جمع فعلة صحيحا كان أو معتلا .

وهذا صدر ، وعجزه :

* رفيقٌ بِمَسْحِ الْمَنْكِبَيْنِ سَبُوحُ *

قال بعض فضلاء العجم فى شرح أبيات المفصل : الرائح : الذى يسير ، والمتأوب الذى يسير [٢] ، يصف ظليما ، وهو ذكر النعامة ، شبه به ناقته ، فيقول : ناقتى فى سرعة سيرها ظليم له بيضات يسير ليلا ونهاراً ليصل إلى بيضاته رفيق بمسح المنكبين

---

(١) هو صحيح لا غبار عليه ، ولا ندرى كيف يلمز العينى فى ذلك مع أنه يقرر جواز كون الجار والمجرور صفة للمحلى بأل الجنسية .

(٢) كذا ، ولعله « الرائح : الذى يسير نهارا ، والمتأوب : الذى يسير ليلا »

عالم بتحريكهما فى السير سبوح حسن الجرى ، وإنما جعله أخا بيضات ليدل على زيادة سرعته فى السير لأنه موصوف بالسرعة ، وإذا قصد بيضاته يكون أسرع ، انتهى .

وهذا البيت لم أقف على تتمته ولا قائله ، والله أعلم ، وقد ذكرنا فى شرحه ما أمكننا فى الشاهد الثالث والتسعين بعد الخمسمائة من شرح شواهد شرح الكافية .

* * *

وأنشد الشارح المحقق ، وهو الشاهد السابع والستون ، وهو من شواهد سيبويه [من البسيط] :

٦٧ — * فى أَقْوُسٍ نَازَعَتْهَا أَيْمُنٌ شُمُلَا *

على أن شُمُلا بضمتين جمع شمال بالكسر ، قال سيبويه : وقالوا أَذْرُع وذراع حيث كانت مؤنثة ولا يجاوز بها هذا البناء ، وإن عَنَوْا الأكثر كما فعل ذلك بالأكف والأرجل ، وقالوا شِمال وأشمل وقد كسرت على الزيادة التى فيها فقالوا شَمَائِلَ كما قالوا فى الرسالة رَسَائل إذ كانت مؤنثة مثلها ، وقالوا شُمُلٌ فجاءوا بها على قياس جُدُد ، وقال الأزرق العنبرى :

طِرْنَ انْقِطَاعَةَ أَوْتَارٍ مُحَظْرَبَةٍ ... فِى أَقْوُسٍ نَازَعَتْهَا أَيْمُنٌ شُمُلَا

انتهى .

قال الأعلم : « الشاهد فى جمعه شِمَالاً على شُمُلٍ تشبيها بِجِدار وجُدُر ؛ لأن البناء واحد ، والمستعمل أشْمُل فى القليل ؛ لأن الشمال مؤنثة ؛ وشمائل فى الكثير ، وصف طيرا فشبه صوت طيرانها بسرعة بصوت أوتار انقطعت عند الجذب والنزع عن القوس ، وأوقع التشبيه على الانقطاع لأنه سبب الصوت المشبه به ؛ وأنث الانقطاع لتحديد المرة الواحدة منه ، والمحظربة : المحكمة الفتل الشديدة ، والأقوس : جمع قوس ، وقوله نازعتها أيمن شملا أى جذبت هذه إلى ناحية وهذه إلى ناحية أخرى لأن جاذب الوتر تخالف يمينه شماله فى جذبها وتُنَازعها » انتهى .

والحظربة بالحاء المهملة والظاء المعجمة — كالحضربة بالضاد المعجمة بدلها : شدة الفتل ووتر محظرب ومحضرب ، كذا فى العباب . وقوله « نازعتها » الضمير المؤنث ضمير الأوتار ، ونازع يتعدى إلى مفعول واحد ، يقال : نازعه فى كذا ، فأيمن فاعله ، وشُمُلاً مفعوله ؛ فتعديته إلى ضمير الأوتار من قبيل الحذف والايصال ، والتقدير نازعت اليمين شمالَها فى جذب الأوتار : أى غالبت الأيمن الأشمل فى جذبها ومدها ، يقال : نزع الرجل فى القوس أو الوتر ، إذا مد أحدها .

والأزرق العنبرى لم أقف على ترجمته ولا على أصل شعره هذا ، والله أعلم

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون [من الرجز]

٦٨ — * حَتَّى رَمَى مَجْهُولَهُ بِالْأَجْنُنِ *

على أن جمع جنين على أجنن شاذ ، والجنين : الولد مادام فى بطن أمه ؛ لأنه جُنَّ : أى ستر

قال السخاوى فى سفر السعادة : أجنن جمع جنين ، ويروى قول رؤبة : —

* إذا رمى مجهوله بالأجبُنِ * بالباء على أنه جمع جبين ، وبالنون على أنه جمع جنين ، فمن رواه بالباء فمعناه ينظرون ماقدامهم من بُعد الطريق ، ومن رواه بالنون فمعناه أنه يُسْقط الأجنة ، وذكر الروايتين العبدى وعَيْزر ، انتهى

وعلى الروايتين الجمع شاذ ؛ لأن كلا من المفردين مذكر ، والقياس فى أفعُل أن يكون جمع فعيل إذا كان مؤنثاً

وهذا البيت من أرجوزة طويلة مدح بها بلال بن أبى بُرْدَةَ وذكر فيها قطع المفاوز والقفار حتى وصل إليه ، قال :

تَفْتَرُّ طُولَ الْبَلَدِ الْمُفَنَّنِ ... إذَا رَمَتْ مَجْهُولَهُ بِالْأَجْبُنِ

وَخَلَّطَتْ كُلُّ دِلَاثٍ عَلْجَنِ ... غَوْج كَبُرْج الآجُرِ الْمُلَبَّنِ

بَلَّغْنَ أَقْوَالاً مَضَتْ لاَتَنْثَنِي   أَبْقَى وَأَمْضَى مِنْ حِدَادِ الْأَذْأَنِ

وصف إبله بشدة السير

قال شارح ديوانه : قوله « تمتن » يقول : تَشُقُّ هذا الطريق فى عُرض البلد وقوله : « الممتن » وهو الذى على غير جهة واحدة ، انتهى

وقوله : « إذارمت » هكذا رأيته فى نسختين صحيحتين من ديوانه ، وفاعل « رمت » ضمير الإبل ، وضمير « مجهوله » للبلد ، والطريق المجهول : الذى لا يسلكه أحد لعدم مائه ونباته ، فلا يكون فيه علامة يستدل بها و « الأجبن » — بالجيم والموحدة — كذا رأيته ، قال شارح ديوانه : هو جمع جبين ، يقول : قد استقبلته ثم رمته بوجوهها ، ومعناه على رواية « الأجنن » بالنون أن هذه النوق من شدة وخْدِهِنّ وفرط جَهْدهن يسقطن أجنتهن بمجهول هذا البلد ، ففيه قلب ، والأصل حتى رمت أجنتها بمجهوله ، والدِّلاَثَ بالكسر — : هى اللينة الأعطاف والعَلْجَن : الناقة المكتنزة اللحم ، والغوج — بفتح الغين المعجمة والجيم — اللينة الصدر ، قال شارحه : يقول : كأنها برج من آجر لبِن قد طبخ ، وقوله «بَلَّغْنَ» من التبليغ ، وأبقى وأمضى أفعل تفضيل صفة لأقوال ، وحِدَاد : جمع حديد بمعنى قاطع ، قال شارحه : يقال : أَزْأَنَ وَيَزْأَنَ وَأَزَنِى وَيَزَنِى ، منسوب إلى ذى يَزَن ، و « بلغن » جواب إذا

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون [من الطويل]

٦٩ — . . . وَمَا لَوْمِى أَخِى مِنْ شِمَالِيَا *

على أن شمالا بمعنى الطبع يكون واحدا وجمعا ، والمراد هنا الجمع : أى من شمائلى .

قال سيبويه : «وزعم أبو الخطاب أن بعضهم يجعل الشمال جمعا» وقال السيرافى

« هو فى هذا البيت جمع » وتبعه ابن جنى ، قال فى سر الصناعة : « وقالوا أيضاً فى جمع شمال ، وهى الخليقة والطبع : شمال ، قال عبد يغوث :

* وما لومى أخى من شماليا *

أى من شمائلى » انتهى .

وإنما قيدوا الشمال بمعنى الطبع للاحتراز عن الشمال بمعنى الريح المعروفة ، فإنها لم يقل أحد إنها تكون جمعا ومفردا ، وفى شينها الفتح والكسر ، بخلاف معنى الطبع فان شينها مكسورة لا غير ، وإنما جعلوه هنا جمعا لأجل من التبعيضية ، كما يأتى فى البيت الآتى وقد ذكر جمهور اللغويين أنه مفرد ، وجمعه شمائل ، قال [من الوافر]

هم قَوْمِى وَقَدْ أنْـكَرْتُ مِنْهُمْ شَمَائِلَ بَدَّلوهَا مِنْ شِمَالِى

وأجاز أبو على الفارسى فى الايضاح أن يكون ما فى البيت مفردا وجمعاً ، وغلب الإفراد ، قال أحد الشراح أبياته : ألا ترى أنه يسوغ أن يكون المعنى وما لومى أخى من طبعى ، فلذلك لم يجعله نصاً فى الجمعية ، والدليل على أنه قد يكون جمعا قول لبيد رحمه الله :

* هُمْ قَوْمِى وَقَدْ أنْـكَرْتُ مِنْهُم * — البيت

ومثل شمال « عِصَام » حكى أبو زيد أنه يكون واحدا وجمعاً ، والعصام : ما يُشَدُّ به الدَّلو والقربة ، ومثلهما دِلَاص وهِجان ، تقول : ناقة هجان ونوق هجان ، ودرع دلاص وأدرع دلاص ، إلا أن مجىء دلاص وهجان فى حال الجمع على صيغة المفرد أحسن من مجىء شمال وعصام فى حال الجمع على صيغة المفرد ، على أنهما صفتان ، وقيل : الصفة تكسر على فِعال ، نحو ظريف وظِرَاف ، وفِعَال أحق بفعيل ، ألا ترى أن كل واحد منهما ثلاثى

ثالثه حرف لين زائد لحسن تكسيره [تكسيرهُ] لذلك ، فأما قولهم رجل جُنُب ورجال جُنُب فليس من هذا الباب ، وإن كان فُعُل من أبنية الجمع ، بل من قبيل الوصف بالمصدر ؛ لأنك تقول : رجلان جُنُب ، فتصف به الاثنين ، ولا تقول ناقتان هجان ، ولا درعان دلاص ، وكذلك ما كان من الأسماء واقعاً على الواحد والجمع ، ولم يكن على وزن من أوزان الجموع ؛ ليس من باب دِلَاص نحو حَشَم ، تقول : هم حَشَمٌ لى ، وهذا الغلام حشم لى ، وهذا أسَدٌ عِنَاش ، ومن كلام عمرو بن معدى كرب يوم القادسية «يامعشر المسلمين ، كونوا أسُداً عِنَاشاً» بل نعتقد فى حشم أن يكون مفردا ، واسم جمع ، وأما عِنَاش فالوصف به من قبيل الوصف بالمصدر ، يقال : عانشه : أى عانقه ، فتقول على هذا : هما أسدان عِنَاش

وهذا المصراع من قصيدة طويلة لعبد يغوث الحارثى ، وهو جاهلى ، وقد شرحناها كاملة فى الشاهد الخامس عشر بعد المائة من شرح شواهد شرح الكافية ، وقبله :

أَلاَ لاَ تَلُومَانِى كَفَى اللَّوْمَ مَابِيَا   فَمَا لَكُمَا فِى اللَّوْمِ خَيْرٌ وَلا لِيَا

أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْمَلاَمَةَ نَفْعُهَا   قَلِيلٌ وَمَا لَوْمِى أَخِى مِنْ شِمَالِيَا

وقليل : ضد كثير ، ويستعمل بمعنى النفى ، وهو المراد هنا ، بدليل قوله « فما لكما فى اللوم خير ولا ليا »

يقول: اللوم على الفائت قليل نفعه لا يُجْدِى إسماعه ولا سمعه شيئا فلذلك طهرت منه شمالى وصنت عنه مقالى ، والخطاب لمن أسره ، وهو أبو عِصْمَةَ من تَيْم الرباب ، وقوله « وما لومى إلخ » جملة معطوفة على أنَّ وصلتها ، وساغ ذلك لأنها مصدرة بما النافية ، والجملة إذا كانت كذلك جاز تعليق فعل القلب الداخل

عليها ووقوعها موقع مفعوليه ، كما أن أنَّ وصلتها تقع موقعها ، وقد يجوز أن تكون معطوفة على قوله فى البيت قبله « فما لكما فى اللوم خير ولا ليا » ، ويكون قوله « ألم تعلما أن الملامة نفعها قليل » جملة اعترض بها بين المعطوف والمعطوف عليه ، ولا ينبغى أن تجعل معطوفة على قوله « ألم تعلما » لأن الجملتين ليستا لمقام واحد

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السبعون [من الرجز] :

٧٠ * — دَعْهَا فَمَا النَّحْوِىُّ مِنْ صَدِيقِهَا *

على أن صديقاً فيه جمع ؛ لأن من للتبعيض ، ولا يصح أن يكون النحوى بعض صديق ، بل يكون بعض الأصدقاء ، كأنه قال : دعها فما النحوى من أصدقائها ، كما تقول : دعنى فما أنت من أشكالى ، وفعيل من صيغ الجمع كالكليب والعبيد ، ومثله قول قَعْنَب ابن أم صاحب [من البسيط]

مَا بَالُ قَوْمٍ صَدِيقٍ ثُمَّ لَيْسَ لَهُمْ ... دِينٌ وَلَيْسَ لَهُمْ عَهْدٌ إِذَا ائْتُمِنُوا

وقول جرير : [من الطويل]

دَعَوْنَ الْهَوَى ثُمَّ ارْتَمَيْنَ قُلُوبَنَا ... بِأَعْيُنِ أَعْدَاءٍ وَهُنَّ صَدِيقُ

وحكى أبو حاتم عن أهل الحجاز أنهم يقولون : حدثنى بعض صديقى

والنحوى : العالم بصنعة الإعراب ، والنحوى أيضاً : المنسوب إلى نَحْو ، بطن من العرب ، وهو نَحْو بن شمس بن عمرو بن غالب بن الأزد

قال الصاغانى فى العباب : قال ابن دريد : أخبرنا أبو عثمان عن التَّوَّزِىّ ، قال : كان رؤبة يقعُد بعد صلاة الجمعة فى رَحْبة بنى تميم فينشد ، ويجتمع الناس إليه ، فازدحموا يوماً ، فضيّقوا الطريق ، فأقبلت عجوز معها شىء تحمله ، فقال رؤبة :

تَنَحَّ لِلْعَجُوزِ عَنْ طَرِيقِهَا ... قَدْ أَقْبَلَتْ رَائِحَةً مِنْ سُوقِهَا

دَعْهَا فَمَا النَّحْوِىُّ مِنْ صَدِيقِهَا

أى : من أصدقائها ، انتهى

وقال أحد شراح أبيات الإيضاح للفارسى : ولعل المخاطب على هذه الحكاية رجل من نحو بن شمس ، وقيل : إن المخاطب بقوله « دعها » يونس بن حبيب النحوى ، وذلك أن رؤبة كان يسير ومعه أمه إذْ لقيهما يونس ، فجعل يداعب والدة رؤبة ويمنعها الطريق ، فخاطبه رؤبة بهذه الأبيات ، وقيل : هـذا الشعر لامرأة من العرب خاطبت به أبا زيد الأنصارى ، قال ابن الأنبارى : مرت امرأة من العرب بأبى زيد النحوى وأصحابه ، وقد منعوا الطريق ، فلم يمكنها أن تجوز ، فخاطبته بالأبيات : أى أن هؤلاء إنما لازموك لصداقتهم ، وأنا لست كذلك ، فدعنى أسير

وينبغى أن يجعل الألف واللام فى « النحوى » للجنس ، كأنه قال : ماهذا الجنس من صديقها ؛ لأنك إن لم تجعل أل كذلك لزم أن يكون الظاهر واقعا موقع ضمير المخاطب فى غير نداء ولا اختصاص ، ألا ترى أنه يخاطب النحوى ، فكان ينبغى أن يقول : فما أنت من صديقها

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون [من البسيط]

٧١ — إنَّ مِنَ الْقَوْمِ مَوْجُودًا خَلِيفَتُهُ   وَمَا خَلِيفُ أَبِي وَهْبٍ بِمَوْجُودِ

على أن خليفا قد ورد بمعنى خليفة ؛ فيكون جمعُ خليف على خلفاء وجمع خليفة على خلائف

قال أبو حاتم : إنه يقال خليف ، وجمعه خلفاء ، واستشهد له بهذا البيت ، ولم يحفظ سيبويه ولا أبو عمرو خليفا ، بل جعلا خُلَفَاء تكسير خليفة من أجل أنه لا يقع إلا على مذكر ، فحمل على المعنى

قال أحد شراح أبيات الإيضاح للفارسى : إن كان لم يثبت خليف بمعنى خليفة إلا فى هذا البيت ، وهو الأظهر ، فلا حجة فيه ؛ لأنه يحتمل أن يكون مما رخم فى غير النداء ضرورة ، نحو قوله [من الرجز]

* لِيَوْمِ رَوْعٍ أَوْ فَعَالِ مَكْرُمِ *

يريد مكرمة ، انتهى

والبيت آخر أبيات خمسة لأوس بن حَجَر التميمى الجاهلى ، وهى :

يَا عَيْنُ جُودِى عَلَى عَمْرِو بْنِ مَسْعُودِ   أَهْلِ الْعَفَافِ وَأَهْلِ الْحَزْمِ وَالْجُودِ
أَوْدَى رَبِيعُ الصَّعَالِيكِ الأُلَى انْتَجَعُوا   وَكُلُّ مَا فَوْقَهَا مِنْ صَالِحٍ مُودِ
الْمُطْعِمُ الْحَىِّ وَالأَمْوَاتِ إِنْ نَزَلُوا   شَحْمَ السَّنَامِ مِنَ الْكُومِ الْمَقَاحِيدِ
وَالْوَاهِبُ الْمِائَةَ الْمِعْكَاءَ يَشْفَعُهَا   يَوْمَ النِّضَالِ بِأُخْرَى غَيْرَ مَجْهُودِ
إِنَّ مِنَ الْقَوْمِ مَوْجُودًا خَلِيفَتُهُ   البيت

وعمرو بن مسعود : ابْنُ عدى الأسدى ، وهو المقول فيه وفى خالد بن نضلة الأسدى [من الطويل] :

أَلاَ بَكَرَ النَّاعِى بِخَيْرَىْ بَنِى أَسَدْ   بِعَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدْ

قال ابن هشام فى السيرة : هما اللذان قتلهما النعمان بن المنذر اللخمى وبنى عليهما الْغَرِيَّيْنِ بظهر الكوفة .

وقال القالى فى الذيل : إن الذى قتلهما المنذر ، ومن أجلهما اتخذ يوم البؤس ويوم النعيم .

وقال ابن السيرافى فى شرح أبيات إصلاح المنطق : إن الذى قتلهما كسرى .

وأودى : هلك ، واسم الفاعل مُودٍ ، والصُّعْلُوك : الفقير ، والكوم : جمع

كَوْمَاء ، وهى الناقة السمينة ، والمَقَاحيد : جمع مِقْحَاد ، وهى الناقة العظيمة السنام ، والمِشْكاء — بكسر الميم والمد — الإبل الغلاظ الشداد ، والنِّضَال : المحاربة بالسهام . قال ابن حبيب : العرب تقول : فلان خليفة فلان ، إذا قام مقامه وفعل فعله ، وإن لم يستخلفه ، وأنشد هذه الأبيات ، وأبو وهب : كنية عمرو بن مسعود ، يقول الشاعر : إذا مات أحد خلفه من يقوم مقامه ويفعل مثل فعله ، إلا أبا وهب ؛ فإنه لم يخلفه أحد فى جوده وشجاعته .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والسبعون [من الرجز] :

٧٢ — * أَخذْتِ خَاتَامِى بِغَيْرِ حَقّ *

على أن خاتاما لغة فى خاتم ، وعليه جاء فى الجمع خواتيم .

وقال المبرد فى الكامل : فاعَالٌ نظيره من الكلام سَابَاطٌ وَخَاتَامٌ ، قال الراجز [من الرجز] :

يَا مَىُّ ذَاتَ الجَوْرَبِ المُنْشَقِّ أَخَذْتِ خَاتَامِى بِغَيْرِ حَقِّ

انتهى

وقال أبو الحسن الأخفش فيما كتبه عليه : « يقال خَاتَم بفتح التاء وكسرها ، وخَيْتَام على وزن دَيَّار ، وخاتام على وزن سَابَاط » انتهى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والسبعون [من الوافر] :

٧٣ — * وَمِثْلِى فِى غَوَائِبِكُمْ قَلِيلُ *

على أنه جمع غائب ، وهو جمع شاذ .

قال الشاطبي فى شرح الألفية : ذكر السيرافى أنه وجد غير ذلك ، قال عتيبة بن الحارث لجزء بن سعد [من الوافر] :

أُحَامِى عَنْ ذِمَارِ بَنِى أَبِيكُمْ وَمِثْلِى فِى غَوَائِبِكُمْ قَلِيلُ

فقال جَزْءٌ : نعم ، وفى شواهدنا ؛ قال : وهذا جمع غائب وشاهد من الناس ، انتهى .

وأحامى : من الحماية ، وهى الحفظ ، والذمار : بكسر الذال المعجمة ، قال صاحب الصحاح : وقولهم « فلان حامى الذمار » أى إذا ذُمِّرَ [(١)] وغَضِبَ حمى ، و« فُلان أمنع ذماراً من فلان » ويقال : الذِّمار : ما وراء الرجل مما يحقّ عليه أن يحميه ؛ لأنهم قالوا : حامى الذمار ، كما قالوا : حامى الحقيقة ، وسمى ذماراً لأنه يجب على أهله التذمر له ، وسميت حقيقة لأنه يحق على أهلها الدفع عنها ، و« ظل يتذمر على فلان » إذا تنكر له وأوعده .

***

وأنشد بعده ؛ وهو الشاهد الرابع والسبعون [من الكامل] :

٧٤ — وَإِذَا الرِّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمْ
خُضُعَ الرِّقَابِ نَوَاكِسَ الْأَبْصَارِ

على أن جمع ناكس على نواكس مما هو وصف غالب أصل ، وأنه فى الشعر شائع حسن ، قاله المبرد .

أقول : الذى قاله المبرد فى الكامل بعد إنشادهذا البيت إنما هو « وفى هذا البيت شىء يستطرفه النحويون ، وهو أنهم لا يجمعون ما كان من فاعل نعتاً على فَوَاعل ؛ لئلا يلتبس بالمؤنث ، لا يقولون : ضَارِب وضوارب ؛ لأنهم قالوا : ضاربة وضوارب ، ولم يأت هذا إلا فى حرفين : أحدهما فوارس ؛ لأن هذا مما لا يستعمل فى النساء ، فأمنوا الالتباس ؛ ويقولون فى المثل « هو هالك فى الهوالك » فأجروه على أصله لكثرة الاستعمال ؛ لأنه مثل ، فلما احتاج الفرزدق لضرورة الشعر أجراه على أصله ، فقال « نَوَاكس الأبصار » ولا يكون

---

(١) أى : استثير

مثل هـذا أبداً إلا ضرورة ، انتهى كلامه ، فتأمله مع ما نقلوه عنه ، وقد ذكرنا في الشاهد الثلاثين من شواهد شرح الكافية أن ما جمع من هذا النمط إحدى عشرة كلمة[1] ، وقد ذكرنا هناك — مما يتعلق بشرح البيت مستوفى ، وشرح القصيدة ، وذكر سببها ، مع ترجمة يزيد والفرزدق — ما فيه كفاية ؛ ويزيد هو يزيد بن المُهَلَّب بن أبي صفرة أحد الشجعان والكرماء ، كان والياً على خراسان من قبل بني أمية .

* * *

وأنشد بعده [من الهزج] :

لَقَدْ أغْدُو عَلَى أشْقَـرَ يَغْتَالُ الصَّحَارِيَا

وتقدم شرحه في الشاهد الواحد والأربعين من هذا الكتاب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون [من الوافر] :

٧٥ — * فَمَا وَجَدَتْ بَنَاتُ بَنِي نِزَارٍ
حَلَائِلَ أَسْوَدِينَ وَأَحْمَرِينَا

على أنه جمع أسود وأحمر جمع تصحيح لضرورة الشعر .

وحلائل : مفعول وجدت ، وهو جمع حليل ، وهو زوج المرأة .

والبيت من قصيدة لحكيم الأعور هجا بها قبائل مُضَر ، وتقدم الكلام عليه في الشاهد الرابع والعشرين من أوائل شرح شواهد شرح الكافية

* * *

(١) ذكرنا هذه الكلمات في شرحنا على الشافية عند الكلام على هذا البيت (ج ٢ ص ١٥٤)

وأنشد الجاربردى هنا ، وهو الشاهد السادس والسبعون [من الطويل] :

٧٦ — أَتَانِي وَعِيدُ الْحُوصِ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ
فَيَا عَبْدَ عَمْرٍو لَوْ نَهَيْتَ الْأَحَاوِصَا

على أن الأحوص بالنظر إلى كونه فى الأصل وصفا جمع على الحوص ، وبالنظر إلى الاسمية جمع على أحاوص

والبيت من قصيدة للأعشى ميمون هجابها عَلْقَمَةَ بن عُلاَثَةَ الصحابى ، وأراد بالحوص والأحاوص أولاد الأحوص بن جعفر ، وهم : عوف بن الأحوص، وعمرو بن الأحوص ، وشُرَيح بن الأحوص ، وربيعة بن الأحوص

والأحوص : اسمه ربيعة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وسمى الأحوص لضيق كان فى عينه ، قال صاحب الصحاح : والحَوَص بمهملتين مفتوحتين : ضيق فى مؤخر العين ، والرجل أحوص

وعلقمة هو عَلْقَمَة بن عُلاَثة بن عوف بن الأحوص المذكور ، وعبدعمرو هو ابن شريح بن الأحوص ، فهو ابن عم علقمة

وكان سبب هجو الأعشى أن علقمة كان تهدده بالقتل ، وقد شرحناه بقدر الكفاية فى الشاهد السادس والعشرين من شواهد شرح الكافية.

* * *

وأنشد بعده [من الرجز]

* مَا بَالُ عَيْنِي كالشَّعِيبِ الْعَيَّنِ *

وتقدم شرحه فى الشاهد الخامس والعشرين من هذا الكتاب

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسبعون [من الطويل]

٧٧ — * جَنَى النَّحْلِ فِي أَلْبَانِ عُوذٍ مَطَافِلِ *

على أن العرب جَوَّزُوا فى جمع مُفْعِلِ المؤنث زيادة الياء وتركها ، وعلى الترك

جاء مطافل ؛ فإنه جمع مُطْفِل : أى امرأة ذات طفل ، وجاء المطافيل أيضاً فى جمعه بزيادة الياء فى بيت بعده ؛ فإن المصراع من قصيدة لأبى ذؤيب الهذلى ، وهذان بيتان منها فى التغزل :

وَإِن حَدِيثاً مِنْكِ لَوْ تَبْذُلِينَهُ جَنَي النَّحْلِ فِي أَلْبَانِ عُوذٍ مَطَافِلِ
مَطَافِيلَ أَبْكَارٌ حَدِيثٌ نِتَاجُهَا تُشَابُ بِمَاءٍ مِثْلِ مَاءِ الْمَفَاصِلِ

يقول : إن حلاوة حديثك لو تفضلت به حلاوةُ العسل مَشُوبا باللبن

والجنى : أصله الثمر المجتَنَى ، فاستعاره ، والعوذ : الحديثات النِّتاج ، واحدها عائذ — بالعين المهملة والذال المعجمة — قال السكرى فى شرح أشعار الهذليين : « ألبان العوذ أطيب ؛ لأنها إذا عتقَ لبنها تغير ، يقول : حديثك كأنه العسل ممزوجاً بألبان الإبل ، وقال الإمام المرزوقى فى شرحه : مطافل جمع مُطْفِل وهى التى معها طفلها ، وإنما نكر قوله حديثاً منك ليبين أن موقع كلامها منه على كل وجه ذلك الموقع ، ودل بقوله لو تبذلينه على تمنعها وتعذر ذلك من جهتها» انتهى.

وقال ابن هشام فى شرح بانت سعاد : « العوذ : جمع عائذ ، وهى القريبة العهد بالنتاج من الظباء والإبل والخيل ، فاذا تجاوزت عشرة أيام من يوم نتاجها أو خمسة عشر فهى مطفل ، وسميت بذلك لأن معها طفلها ، وجمعها مطافل ، والمطافيل بالياء إشباع » انتهى .

وقال شارح ديوان الأعشى : « العوذ : الحديثات العهد بالنِّتاج قبل أن توفى خمس عشرة ليلة ، ثم هى مطفل بعده »

وقال ابن خلف : « هى الحديثة العهد بالنِّتاج كان معها ولدٌ أو لم يكن ، وهو جمع عائذ ، وهو جمع غريب ، ونظيره حائل وحُوْل ، وفاره وفُرْه » ، وقال الأعلم : « وسميت عائذا لأن ولدها يعوذ بها لصغره ، و بنى على فاعل لأنه على نية النسب ، لا على مايوجب التصريف ، كما قالوا عيشة راضية » انتهى . والبكر

— بالكسر — التى ولدت بطناً واحداً ، وخصها لأن لبنها أطيب الألبان ، والحديث : نقيض القديم ، والنِّتاج : اسم يجمع وضع جميع البهائم ، وقد خصّ بعضهم الغنم بالولادة ، ويُشاب : يخلط ، والمفاصل : الحجارة الصلبة المتراصفة ، وقيل : مابين الجبلين ، وقيل : مُنْفصَل الجبل من الرملة يكون بينهما رضراض وحصى صغار يصفو ماؤه ، وروى عن الأصمعى ، وقيل : ماء المفاصل هنا شىء يسيل من المفصلين إذا قطع أحدهما من الآخر ، شبيه بالماء الصافى ، قال أحد شراح أبيات الإيضاح للفارسى : « شبه ما بخلت به من حديثها بعسل مجعول فى ألبان هذه النوق ممزوجاً بماء شبيه فى الرقة والصفاء بماء المفاصل . واختار ابن يَسْعَوْنَ أن يراد بالمفاصل فى البيت الحجارة المتراصفة فى بطن المسيل لصفاء مائه وبرده ، قال : ويؤيده قول ذى الرمة [من الطويل] :

وَنِلْتُ سِقاطًا مِنْ حَدِيثٍ كَأَنَّه ... جَنَى النَّحْلِ مَمْزُوجاً بِمَاءِ الْوَقائِعِ

لأن الوقائع جمع وقيعة ، وهى منقع ماء فى الجبل ، وأن يراد بماء المفاصل فى البيت ما يسيل من بين المفصلين إذا قطع أحدهما من الآخر أحق وأخلق ، ويكون قد شبه الماء فى صفائه ورقته بماء المفاصل ؛ إذ لو أراد المعنى الأول لكان الوجه أن يجعله مشوباً بماء المفاصل لا بمثله ؛ لأن مايشبه من المياه بماء المفاصل دونه فى الصفاء والرقة ، فلما قال « بماء مثل ماء المفاصل » دل على أن المراد ماذكرته ، وقد قيل فى قول الشاعر [من الطويل] :

* عُقَارٌ كَمَاءِ النِّيءِ لَيْسَتْ بِخَمْطَةٍ *

إنه شبه الخمر بماء النِّيء فى الصفاء ، وقيل : فى الحُمْرة ، فيكون على أحد القوانين مثل قول أبى ذؤيب الهذلى » إلى هنا كلام شارح أبيات الإيضاح ، وقوله « مطافيلَ أبكار ... الخ » قال الإمام المرزوقى : « مطافيل بدل من قوله عوذ مطافل ، وأشبع الكسرة فى الفاء للزومها ، فحدثت الياء ، والأبكار : التى

وضعت بطناً واحداً ، لأن ذلك أول نتاجها ؛ فهى أبكار ، وأولادها أبكار ، وعلى هذا قالوا : باكورة الربيع ، وابنها أطيب وأشهى ؛ فلذلك خصه وجعله مزاجا وقوله تُشَاب فى موضع الصفة لألبان عوذ : أى مشوبة بماء متناهٍ فى الصفاء ، وقيل فى المفاصل : إنهـا المواضع التى ينفصل فيها السهل من الجبل حيث يكون الرضراض ، فينقطع المـاء به ويصفو إذا جرى فيه : وهذا قول الأصمعى وأبى عمرو ، واعترض عليه فقيل : هلا قال « بماء من مياه المفاصل » وما له يشبهه به ولا يجعله منه ؟ فقيل : هذا كما يقال : مثل فلان لايفعل كذا ، والمراد أنه فى نفسه لايفعل ، لاأنه أثبت له مثل ينتفى ذلك عنه ، ألا ترى أنه لو جعل ذلك لنظيره لـكان المدح لايعلق به ، وقد عُلم أن القصد إلى مدحه ، وعلى هذا قد حمل قوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) وقال أبو نصر : أراد بالمفاصل مفاصل الجبل حيث يقطر الوَشَلُ ، وذلك أصفى من مياه المناقع والعيون ، وقال بعضهم : أراد تشاب بماء كالدمع صفاء ؛ فالمفاصل شئون الرأس ، وهى تسمى مفاصل ومواصل ، والدمع منهـا يخرج ، وهذا كما يقال : جئتك بخمرة كماء العين وأصفى من الدمع ، فالتشبيه حاصل فى هذا الوجه ، وهو عندى حسن والمراد بماء العين الدمع لا غير ، وقال أبو سعيد : ماء المفاصل الدم ، وأراد بالمـاء الخمر ، وشبهها به ، وقال ابن الأعرابى : ماء المفاصل ماء اللحم النىء ، شبه حمرته بحمرته ، وعُهْدَة هذين القولين عليهما دونى » هذا كلام المرزوقى ، وحديث : بمعنى حادث ، والنِّتاج : الولادة ، وتُشَاب : من الشَّوْب وهو الخلْط والمَزْج ، والمفاصل : جمع مَفْصِل — بفتح الأول وكسر الثالث .

وأبو ذؤيب الهذلى شاعر مخضرم إسلامى تقدمت ترجمته فى الشاهد السابع والستين من شرح شواهد شرح الـكافية

***

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والسبعون [من الطويل] :

٧٨ — * مَعَ الصُّبْحِ رَكْبٌ مِنْ أُحَاظَةَ مُجْفِلُ *

على أن ركبا لفظه مفرد ، بدليل عود الضمير إليه من صفته مفردا ، وهو مُجْفِلٌ .

وهذا المصراع عجز ، وصدره :

* فَعَبَّتْ غِشَاشاً ثُمَّ مَرَّتْ كَأَنَّها *

وهو بيت من أبيات لامية العرب للشَّنْفَرَى ، فى وصف قطا وَرَدَتْ ماء وأنه سبقها إليه فشربت فضْلَتَهُ .

وقوله « فعبت غشاشا — الخ » العب : شرب الماء بلا مَصّ ، قال ثعلب : عَبَّ يعب ، إذا شَرب الماء فصبه فى الحلق صبا ، وفاعل « عَبَّتْ » ضمير القطا ، و« غِشَاشاً » بكسر الغين المعجمة بعدها شينان معجمتان — قال بعض أهل اللغة : معناه على عجلة ، وقال بعض آخر : أى قليلا أو غير مرىء ، يقول : وردت القطا على عجل ثم صدرت فى بقايا من ظلمة الفجر ، وهذا يدل على قوة سرعتها ، وقوله «من أحاظة» متعلق بمحذوف على أنه صفة لركب ، وأحاظة — بضم الهمزة بعدها حاء مهملة وظاء مشالة معجمة — قبيلة من الأزد فى اليمن ، ومجفل : صفة ثانية لركب ، وهو بالجيم اسم فاعل من أجفل بمعنى أسرع ، و « الركب » قال ابن قتيبة فى أدب الـكاتب : أصحاب الإبل ، وهم العشرة ونحو ذلك ، قال شارحه ابن ابن السِّيد : هـذا الذى قاله ابن قتيبة قاله غير واحد ، وحكى يعقوب عن عمارة ابن عقيل قال : لا أقول راكب إلا لراكب البعير خاصة ، وأقول : فارس وبَغَّال وحَمَّار ، ويقوى هذا الذى قاله قول قُرَيْطٍ العنبرى [من البسيط] :

فَلَيْتَ لِى بِهِمُ قَوْماً إذَا رَكِبُوا   شَنُّوا الإغَارَةَ فُرْسَاناً وَرُكْبَانَا

والقياس يوجب أن هذا غلط ، والسماع يعضد ذلك ، ولو قالوا إن هذا هو

الأكثر فى الاستعمال لكان له وجه ، وأما القطع على أنه لا يقال راكب ولا ركب إلا لأصحاب الإبل خاصة فغير صحيح ؛ لأنه لا خلاف بين اللغويين فى أنه يقال : ركبت الفرس ، وركبت البغل ، وركبت الحمار ، واسم الفاعل من ذلك راكب ، وإذا كثرت الفعل قلت : رَكَّاب ورَكُوب ، وقد قال تعالى : (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً) فأوقع الركوب على الجميع ، وقال امرؤ القيس [من المتقارب] :

* إذَا رَكِبُوا الْخَيْلَ وَاسْتَلْأَمُوا *

وقال زيد الخيل [من الطويل] :

* وَيَرْكَبُ يَوْمَ الرَّوْعِ فِينَا فَوَارِسٌ *

وهذا كثير فى الشعر وغيره ، وقد قال تعالى : (فَرِجَالاً أَو رُكْبَاناً) وهذا اللفظ لا يدل على تخصيص شىء بشىء ، بل اقترانه بقوله (فرِجَالاً) يدل على أنه يقع على كل ما يقع على الأرض ، ونحوه قول الراجز [من الرجز] :

بَنَيْتُهُ بِعُصْبَةٍ مِنْ مَالِيَا أَخْشَى رُكَيْباً أَوْ رُجَيْلاً عَادِيَا

فجعل الرَّكْب ضد الرَّجْل ، وضد الرَّجْل يدخل فيه راكب الفرس وراكب الحمار وغيرهما ، وقول ابن قتيبة أيضاً « إن الركب العشرة ونحو ذلك » غَلَطٌ آخر ؛ لأن الله تعالى قال : (والركب أسْفَلَ منكم) يعنى مشركى قريش يوم بدر ، وكانوا تسعمائة و بضعاً وخمسين ، والذى قال يعقوب فى الركب هم العشرة فما فوقها ، وهـذا صحيح ، وأظن أن ابن قتيبة أراد ذلك فغلط فى النقل ، انتهى كلام ابن السيد

وقد تكلمنا على هذا البيت بأبسط من هذا فى الشاهد السابع والخمسين بعد الخمسمائة من شرح شواهد شرح الكافية

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون [من الرجز]

٧٩ — * أَخْشَى رُكَيْبًا أَوْ رُجَيْلًا عَادِيًا *

على أن رَكْبًا اسم جمع ، ولفظه مفرد ، بدليل تصغيره على لفظه كما تصغر المفردات ، قال ابن جنى فى شرح تصريف المازنى : « جميع ما كان اسمًا للجمع تحقّره على لفظه ، أخبرنا أبو على أن أبا عثمان أنشده [من الرجز]

بَنَيْتُهُ بِعُصْبَةٍ مِنْ مَالِيَا أَخْشَى رُكَيْبًا أَوْ رُجَيْلًا عَادِيَا

فهذان تحقير رَكْب ورَجْل ، وهما اسمان للجمع بمنزلة ركّاب ورَجّالَة ، وكان أبو الحسن يقول فى تحقير ركب : رُوَيْكِبُون ؛ لأنه جمع كسر عليه راكب ، وقولهم « رُكَيْب » يدل على خلاف مذهبه ، وهو قول سيبويه ، وهو الصواب انتهى .

والشعر لأُحَيْحَة بن الْجُلَاح ، وهو هكذا :

بَنَيْتُ بَعْدَ مُسْتَظَلٍّ ضاحيا بَنَيْتُهُ بِعَصْبَةٍ مِنْ مَالِيَا
وَالشَّرُّ مِمَّا يَتْبَعُ الْقَوَاضِيَا أَخْشَى رُكَيْبًا أَوْ رُجَيْلًا عَادِيَا

وأنشد صاحب الكشاف البيت الأخير عند تفسير قوله تعالى : (حَرَسًا شَدِيدًا) من سورة الجن ، على أن الحرس اسم مفرد بمعنى الْحُرّاس كالْخَدَم بمعنى الْخُدّام وكالرَّجْل والرَّكْب فى البيت فإنهما بمعنى الرجالة والرُّكّاب

وقال شارح أبيات التفسير ين خضر الموصلى : هذا البيت كأنه فى وصف حِصْنٍ بناه ليمنعه من الحوادث لم أطلع له على خبر ، انتهى

أقول : أورد خبره الأصفهانى فى الأغانى ، قال : كان لأحيحة بن الْجُلَاح أُطُمان أُطُمٌ فى قومه يقال له المستظل ، وهو الذى تحصّن فيه حين قاتل تُبّعًا أبا كرب الحميرى ، وأطمه الضَّحْيَان بالعُصْبة فى أرضه التى يقال لها الغيابة ، بناه بحجارة سود بنى عليه مَنَارَة بيضاء مثل القَصّة ، ثم جعل عليها مثلها ، يراها الراكب من مسيرة ،

وكانت الآطام عِزَّهُمْ وحصونهم يتحرَّزُونَّ فيها من عدوهم ، ويزعمون أنه لمابناه هو وغلام له أشرف ثم قال : لقد بنيت حصنا حصينا مابنى مثله رجل من العرب أمنع منه ، ولقد عرفت موضع حجر منه لونزع لوقع جميعاً ؛ فقال غلامه : أنا أعرفه ، قال : فأرنيه يابنى ، قال : هوهذا ، وصرف إليه رأسه ، فلمارأى أحيحة أنه قد عرفه دفعه من رأس الأطم فوقع على رأسه فمات ، حتى لايعرف ذلك الحجر أحد ؛ ولما بناه قال :

* بَنَيْتُ بَعْدَ مُسْتَظَلٍّ ضَاحِياً * الأبيات الأربعة

قال : وكان أحيحة سَيِّدَ قومه الأوس ، وكان رجلا صَنَعاً للمال شحيحاً عليه يبيع بيع الربا بالمدينة ، حتى كاد يحيط بأموالهم ، وكانت لة تسع وتسعون بئرا كلها يُنْضَح عليها ، انتهى .

قال الزمخشري فى كتاب الأمكنة : عَصْبة : موضع بقباء ، وأنشد الشعر المذكور ، انتهى .

وقال السمهودى فى تاريخ المدينة المنورة : أطم يقال له مستظل عندبئر غرس كان لأحيحة ثم صار لبنى عبد المنذر ، انتهى .

وقال صاحب الصحاح : والأُطم [مثل الأجم (١)] يخفف ويثقل ، والجمع آطام ، وهى حصون لأهل المدينة ؛ والواحدة أطَمَةٌ بفتحات ، انتهى .

و« المستظل » معناه موضع الاستظلال ، و« الضَّحْيان » بمعنى الضاحى ، وهو البارز غير المستتر ، وكأنه سَمَّاه بهما ، ولما لم يستقم له فى الشعر الضَّحْيَان جاء بالآخر موضعه ، وعَصبَة بفتح العين وسكون الصاد المهملتين فباء موحدة ، وليس لهذه الكلمات ذكر فى معجم ما استعجم لأبى عبيد البكرى ، ولافى

(١) سقطت هذه الكلمة من بعض النسخ ، وهى ثابتة فى بعض

فى الصحاح ، ولما لم يقف ابن برى على هذا النقل ظن أن العصبة الرجال ، فقال فى شرح أبيات الإيضاح للفارسى : العصبة من الرجال نحو العشرة ، واستعارها للجزء من المال ، وعلى هذا تكون مِنْ صفةً للعصبة متعلقة بمحذوف ، ويجوز أن يريد بالعصبة الرجال ومِنْ متعلقة ببنيته : أى بنيته من مالى بعصبة ، والباء متعلقة بمحذوف : أى مستعيناً بعصبة ، ويروى « غاديا » بالغين المعجمة من الاغتداء ، هذا كلامه .

وقوله « والشر » هو ضد الخير ، أراد أن الشر يتبع الأمور المقضية المحتمة وقوله « أخشى ركيباً - إلخ » صغر الرَّكْب والرَّجْل للتقليل ، وإذا كان يخشاها مع قلتهما فخشيته مع كثرتهما من باب أولى ، والركب : اسم جمع راكب ، وقال صاحب المصباح : وراكب الدابة جمعه ركب كصاحب وصحب ، وكذا قال فى الرَّجْل ، قال : الراجل : خلاف الفارس ، وجمعه رَجْل ، مثل صاحب وصحب ، وكان ينبغى أن يقول : والراجل خلاف الراكب ، و « عاديا » صفة رجيلا ، وصفة « ركيباً » محذوفة لدلالة الثانى عليه ، وهو من عَدَا عليه يعدو عَدْوا وعُدْوَاناً وعَدَاء ، بالفتح والمد ، إذا ظلم وتجاوز الحد .

وأحيحة بن الجُلاَح جاهلى ، وأُحَيْحَة بضم الهمزة وفتح الحاءين المهملتين بينهما ياء تصغير ؛ والجُلاَح — بضم الجيم وتخفيف اللام وآخره حاء مهملة — وقد ذكرنا نسبه وترجمته فى شرح الشاهد السابع والعشرين بعد المائتين من شرح شواهد شرح الكافية .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون [من الرجز] :

٨٠ — * وَفَاضِحٍ مُفْتَضِحٍ فِي أَرْهُطِهْ *

على أن الأرهُط مفرد الأراهط ، والأرْهُط جمع رهط — بفتح فسكون — قال

الصاغانى فى العُباب : رَهْط الرجل : قومه وقبيلته ، يقال : هم رهطه دِنيةً ، والرهط : ما دون العشرة من الرجال لا تكون فيهم امرأة ، وليس له واحد من لفظه ، مثل ذَوْدٍ ، وقال بعضهم : الرَّهْط عند العرب : عدد يجمع من سبعة إلى عشرة ؛ قال ابن دريد : وربما جاوز ذلك قليلا ، وما دون السبعة إلى الثلاثة النفر ، وقد يحرك فيقال : الرَّهَط ، والجمع أرهط ، وأنشد الأصمعى :

* وَفَاضِحٍ مُفْتَضِحٍ فِى أَرْهُطِهْ *

انتهى .

وقد ورد فى رجز رؤبة بن العجاج أيضاً ، قال [من الرجز] :

* وَهْوَ الذَّلِيلُ نَفَرًا فِى أَرْهُطِهْ *

وبهذا يرد على أبى على الفارسى فى زعمه أن اسم الجمع كرَكْب ورَجْل ورَهْط وطَيْر لا يجمع جمع قلة ، وقد قالوا أيضاً : قوم وأقوام ؛ قال فى المسائل البغدادية : حكى سيبويه أطيار ، وحمله على أنه جمع طائر ، مثل صاحب وأصحاب ، وشاهِدٍ وأشهاد ، وفَلُوّ وأفلاء ؛ لأن فَلُوًّا مثل فاعل فى الزيادة والزنة [1] ، فان قال قائل : هلا حمله على أنه جمع طَيْر ؟ قيل له : لا يكون عنده إلا جمع طائر ؛ لأن طائراً زعم أنه جمع على طير مثل تاجر وتَجْر ، وإذا كان مثل تَجْر ورَكْب لم يجز جمعه ، ألا ترى أنه لم نُجز ذلك [2] فى جمع الجمع ؟ ويمتنع جمع هذا أيضاً من جهة القياس ؛ لأن تَجْراً وبابه يراد به الكثرة ، فحكمه إذا جمع أن يراد به التكثير ، وأفعَال لا يراد به الكثرة ، بل خلافها ؛ فإن قيل : فهلا جاز جمعه على أفْعَال كما جاز إبِلاَنِ ؟ قيل له : هذا قليل لا يقاس عليه ، فان قيل : فهلا جاز تكسيره كما جاز تحقيره ؟ حكى سيبويه رَجْلٌ ورُجَيْلٌ ، وكما

---

(١) يريد فى عدد الحروف دون الحركات

(٢) فى نسخة « لم نجز جواز ذلك »

قرأت على أبى بكر عن أبى العباس عن أبى عثمان قال : أنشدنى الأصمعى لأُحَيْحَةَ بن الْجُلاَح :

* أَخْشَى رُكَيْبًا أَوْ رُجَيْلاً عَادِيا *

قيل : لا ينبغى أن يجوز التكسير من حيث جاز التصغير ، وذاك أن هذا الاسم على بناء الآحاد ، والمراد به الكثرة ، فلو كسر كما صغر لكان فى ذلك إجراؤه مجرى الآحاد وإزالته عما وضع له من الدلالة على الكثرة ، إذ كان يكون فى ذلك مساواته له من جهة البناء والتكسير والتحقير والحديث عنه كالحديث عن الآحاد ، نحو ما أنشده أبو الحسن [من الطويل] :

* لَهُمْ جَامِلٌ لاَ يَهْدَأُ اللَّيْلَ سَامِرُهْ *

وهذا كل جهاته أو عامته ، فيجب إذا صغر أن لا يكسر فيكون بتولد تكسيره منفصلا مما يراد به الآحاد دون الكثرة ، ومتميزاً به منها ، على أن ركيبا فى البيت يجوز أن يكون محقراً على حذف الزيادة كباب أَزْهَرَ وزُهَير ،

فان قال قائل : أليس أشياء من باب رَكْب وَتَجْرٍ وجَامِلٍ ، وقد حدثكم أبو بكر عن أبى العباس قال علماؤنا عن الأصمعى قال : وقف أعرابى على خلف الأحمر ، فقال : إن عندك لَأَشَاوَى ؛ فكسر أشياء على أشاوى ، فما أنكرت أن يجوز جمع طير وبابه ؟

قيل له : هذا أشبه ، لأنه مكسر على بناء يكون للكثير ، وأطيار للقليل ، وهذا ردىء لخروجه إلى حيز الآحاد ، وهذه حكاية نادرة ، لا يجب القياس عليها

فان قيل : أليس ضأن من هذا الباب لأنه جمع ضائِن ، كما أن طيْراً جمع طائر ، فقد قيل : ضأن وضئين ، كما قالوا : عبد وعبيد ، وكلب وكليب ، فما أنكرت

أن يجوز تكسير طير وركب وبابه كما جاز تكسير ضأن إذ هو مثله ؟

قيل له : ليس ضئين عندنا جمع ضأن ، إنما هو جمع ضائن ، وليس ضائن بجمع ، إنما هو واحد ، ألا تراهم قالوا : ضائنة ، فأنثوا ، وقالوا : ضوائن ، فكسروا ؛ ولو كان جمعا لم يكسر كما لا يكسر ركب وجامل ونحوه ، هذا كلام أبى على

وقول الشاعر « وفاضح مفتضح — إلخ » الفضيحة : العيب ، وفَضَحه فَضْحاً من باب نفع ، كشف عيبه ، فتقديره : وكاشف عيب رهطه ومُنْكَشِف عيبُه فى رَهْطِهِ

وهذا البيت لم أقف على قائله ، ولا عَلَى تتمته ، والله أعلم

***

وأنشد بعده [من السريع] :

* فِى كُلِّ يَوْمٍ مَا وَكُلِّ لَيْلاَهْ *

وتقدم شرحه فى الشاهد الثامن والأربعين

***

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثمانون [من الرجز] :

٨١ * بِأَعْيُنَاتٍ لَمْ يُخَالِطْهَا الْقَذَى *

على أنه يجوز فى الشعر أن يجمع الجمع كما هنا ، فإنَّ أَعْيُنًا جمع عَيْن ، وقد جمع بالألف والتاء

والقذى : ما يسقط فى العين أو فى الشراب ، وَقَذِيَتْ عينه تَقْذَى قَذًى ، إذا سقطت فى عينه قَذَاة ، وقَذَتْ عينه تَقْذِى قَذْياً : أخرجت القذى ، وَأَقْذَيْت عينه : رميت فيها القذى ، وقذيتها تقذية : إذا أخرجت منها القذى

***

التقاء الساكنين

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثانى والثمانون [من الرجز] :

٨٢ — أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ زِيَادٍ كَالْخَرِفْ تَخُطُّ رِجْلَاىَ بِخَطٍّ مُخْتَلِفْ

* تُكَتِّبَانِ فِى الطَّرِيقِ لَامَ أَلِفْ *

على أن الشاعر نقل فتحة همزة ألف إلى ميم لام

وأورده الشارح المحقق فى شرح الكافية على أن مقصوده اللام والهمزة ، لاصورة « لا » ؛ فيكون معناه أنه تارة يمشى مستقيما فتخط رجلاه خطا شبيها بالألف ، وتارة يمشى معوجا فتخط رجلاه خطا شبيهاً باللام

وقد تقدم الكلام عليه هناك فى شرح الشاهد السابع من أوله بمالا مزيد عليه

وهذه الأبيات الثلاثة لأبى النجم ، وهو راجز إسلامى ، قال الصولى : كان لأبى النجم العجلى صديق يسقيه الشراب فينصرف من عنده ثملا ، وأنشد له هذه الأبيات .

وَالْخَرِف — بفتح الخاء المعجمة وكسر الراء — صفة مشبهة من خَرِفَ الرجل خَرَفاً من باب تعب ، إذا فسد عقله لكبره ، وخط على الأرض خطا : أعلم علامة ، و « كتب » بالتخفيف والتثقيل ، وتثقيله هنا لتكثير الفعل .

***

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون [من المتقارب] :

٨٣ — لَهَا مَتْنَتَانِ خَظَاتَا كَمَا أَكَبَّ عَلَى سَاعِدَيْهِ النَّمِرْ

على أن بعضهم جوز رد الألف مستشهدا بخظاتا ؛ فإنه يقال : خَظَا يخظو ، إذا تحرك ، وكان من حقه أن يقول : خَظَتَا ، كما يقال : غزَتَا ، تثنية غزَتْ ، إلا أنه رد الألف التى كانت سقطت لاجتماع الساكنين فى الواحد ، ولما تحركت

تاء التأنيث لأجل ألف التثنية رجعت الألف المحذوفة للساكنين ، وهـذا قول الكسائى .

وقال الفراء : أراد « خظاتان » ؛ فهو مثنى حذفت نونه للضرورة ، كما قال أبو دُوَاد [من الهزج] :

وَمَتْنَانِ خَظَاتَانِ كَزُحْلُوفٍ مِنَ الْهَضْبِ

قال ابن قتيبة فى أبيات المعانى : يقال : لحمه خَظًا بَظًا ، إذا كان كثير اللحم صلبه ، والزُّحْلُوف : الحجر الأملس ، وقال امرؤ القيس :

* لَهَا مَتْنَتَانِ خَظَاتَا * — إلخ

ويقال : هو خاظى البضيع ، إذا كان كثير اللحم مكتنزه ، وقوله « خظاتا » فيه قولان : أحدهما أنه أراد خظاتان كما قال أبو دُوَاد ، لحذفت نون الاثنين ، يقال : متن خظاة ومتنة خظاة ، والآخر أنه أراد خَظَتَا : أى ارتفعتا ، فاضطر فزاد ألفاً ، والقول الأول أجود ؛ وقوله « كما أكب على ساعديه النمر » أراد كان فوق متنها نمرا باركا لـكثرة لحم المتن » انتهى كلام ابن قتيبة .

وأيد ابن جنى قول الكسائى ؛ قال فى سر الصناعة : وأما قول امرىء القيس :

* لهـا متنتان خظاتا . . . البيت *

فإن الكسائى قال : أراد خَظَتَا ، فلما حرك التاء رد الألف التى هى بدل من لام الفعل ؛ لأنها إنما كانت حذفت لسكونها وسكون التاء ، فلما حركت التاء ردها ؛ فقال : خظاتا ، ويلزمه على هذا أن يقول فى قضتا وغزتا : قَضَاتَا وَغَزَاتَا ؛ إلا أن له أن يقول : إن الشاعر لما اضطر أجرى الحركة العارضة مجرى الحركة اللازمة فى نحو قولا و بيعا وخافا ، وذهب الفراء إلى أنه أراد خظاتان ؛ فحذف النون ، كما قال أبو دواد الإيادى

* وَمَتْنَانِ خَظَاتَانِ * كَزُحْلُوفٍ مِنَ الْهَضْبِ *

وأنشد الفراء أيضا : [من الرجز]

* ياحَبَّذَا عَيْنَا سُلَيْمَى وَالْفَمَا *

قال : أراد والفمان ؛ يعنى الفم والأنف ؛ فثناها بلفظ الفم للتجاور الذى بينهما ، وأجاز الفراء أيضا أن تنصبه على أنه مفعول معه ، كأنه قال : مع الفم ، ومذهب الكسائى فى «خظاتا» أقيس عندى من قول الفراء ؛ لأن حذف نون التثنية شىء غير معروف ، فأما « والفما » فقد يجوز أن ينصب بفعل مضمر ، كأنه قال : وأحب الفم ، ويجوز أن يكون الفما فى موضع رفع إلا أنه اسم مقصور بمنزلة عصا ، وعليه جاء بيت الفرزدق :

* هُمَا نَفَثَا فِىَّ مِنْ فَمَوَيْهِمَا *

فاعرفه ، ومما يؤيد عندى مذهب الكسائى أنه أراد خَظَتَا فلما حرك التاء وإن كانت الحركة عارضة غير لازمة رد الألف التى هى بدل من الواو التى هى لام الفعل ، كقولهم «لَحْمَر» فى الأحمر ، و«لَبْيَض» فى الأبيض ، ألا ترى أنهم اعتدوا بحركة الهمزة المحذوفة لما ألقوها على اللام المعرفة ، فأجروا ما ليس بلازم مجرى اللازم ؟ ونحو من ذلك قراءتهم (لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّى) وأصلها لكن أنا ، فلما حذفت الهمزة للتخفيف وألقيت فتحتها على نون لكن صار التقدير لكننا فلما اجتمع حرفان مثلان متحركان كره ذلك كما كره شَدَدَ وجَلَلَ ؛ فأسكنوا النون الأولى وأدغموها فى الثانية فصار لكنا ، كما أسكنوا الحرف الأول من شدَدَ وجَلَلَ ، وأدغموه فى الثانى فقالوا : شَدَّ وجَلَّ ، أفلا ترى أنهم أجروا المنفصل وهو لكن أنا مجرى المتصل فى شد وجل ، ولم يقرأ أحد لكننا مظهرا ؛ فهل ذلك إلا لاعتدادهم بالحركة وإن كانت غير لازمة ؟ وعلى هذا قالوا (سَلْ بَنِى إِسْرَائيل) وأصله أسأل ؛ فلما خففت الهمزة فحذفت وألقيت حركتها على السين قبلها اعتد بها فحذفت همزة الوصل لتحرك الحرف بعدها ، ونظائر هذا كثير ، ومنها قولهم فى تخفيف

رُؤْيا : رُيًّا ، وأصلها رُويَا ، إلا أنهم أجروا الواو فى رويا و إن كانت بدلا من الهمزة مجرى الواو اللازمة فأبدلوها ياء وأدغموها فى الياء بعدها ؛ فقالوا : رُيًّا ، كما قالوا : طويت طيًّا وشويت شيًّا ، وأصلهما طَوْيًا وشَوْيا ، ثم أبدلوا الواو ياء وأدغموها فى الياء فعلى هذا قالوا : رُيًّا ، ومن اعتد بالهمزة المنوية وراعى حكمها — وهو الأكثر والأقيس — لم يدغم فقال : رُوْيَا ، فهذا كله وغيره مما يطول ذكره ، يشهد باجرائهم غير اللازم مجرى اللازم ويقوى مذهب الكسائى ، إلا أن للفراء أن يحتج لقوله ببيت أبى دواد * ومتنان خظاتان * فهذا يقوى أن خظاتا تقديره خظاتان وأنشدوا بيتا آخر ، وهو قوله : [من الطويل]

لَنَا أَعْنُزٌ لُبْنٌ ثَلَاثٌ فَبَعْضُهَا ... لِأَوْلَادِهَا ثِنْتَا وَمَا بَيْنَنَا عَنْزُ

تقديره ثنتان ، لحذف النون » وهذا آخر كلام ابن جنى (١)

وبقى فى البيت قول ثالث ، وهو أن خظاتا مثنى حذفت نونه للاضافة إلى قوله « كما أكب » وهو قول أبى العباس المبرد ، نقل عنه ياقوت الحموى فى معجم الأدباء فى ترجمة أبى العباس أحمد الشهير بثعلب رحمه الرب ، ونقله عنه أيضا علم الدين السخاوى فى سفر السعادة ، وعبارتهما واحدة ، قالا : قال أحمد بن يحيى ثعلب : دخلت على محمد بن عبد الله فاذا عنده أبو العباس المبرد وجماعة من أصحابه وكتابه ؛ فلما قعدت قال لى محمد بن عبـــد الله : ماتقول فى بيت امرىء القيس

* لَهَا مَتْنَتَانِ خَظَاتَا . . . البيت *

قال : فقلت : أما الغريب فانه يقال: لحم خَظًا بَظًا ، إذا كان صُلْبا مكتنزا ، ووصفه بقوله « كما أُكب على ساعديه» أى فى صلابة النمر إذا اعتمد على يديه ، والمتن : الطريقة من عن يمين الصلب وشماله ، وأما الإعراب فإنه خَظَتَا ، فلما

---

(١) لو تصفحت كلام ابن جنى فى حرف النون من سر الصناعة لوجدت المؤلف لم ينقله بنصه الكامل بل تصرف فيه بعض التصرف من غير إخلال بالمقصود

تحركت التاء أعاد الألف من أجل الحركة والفتحة ، فأقبل بوجهه على المبرد ، فقال : أعزالله الأمير ، إنما أراد فى «خطاتا» الإضافة ؛ أضاف خطاتا إلى كما ، قال ثعلب فقلت له : ماقال هذا أحد !! فقال : بلى سيبويه يقوله ، فقلت لمحمد بن عبدالله : ماقال هذا سيبويه قط ، وهذا كتابه فليحضر ، ثم قلت : وماحاجتنا إلى الكتاب ؟ أيقال : مررت بالزيد بن ظريفى عمرو ، فيضاف نعت الشىء إلى غيره ؟ فقال محمد لصحة طبعه — : والله مايقال هذا ، ونظر إلى محمد بن يزيد ، فأمسك ولم يقل شيئا ، ونهض المجلس ، وزاد ياقوت فى آخر هذه الحكاية « لاأدرى لم لايجوز هذا ، وماأظن أحد ينكراً قول القائل : رأيت الفرسين مركوبى زيد ، ولاالغلامين عبدى عمرو ، ولا الثوبين درّاعتى[1] زيد ، ومثله مررت بالزيدين ظريفى عمرو ؛ فيكون مضافا إلى عمرو وهو صفة زيد ، وهذا ظاهر لكل متأمل » هذا كلامه

وأقول : هذه الأمثلة كلها أبدال لانعوت ؛ لعدم الربط

وهذا البيت من جملة أبيات فى وصف فرس من قصيدة لامرىء القيس قد شرحناها فى الشاهد العشرين بعد السبعمائة من شرح شواهد شرح الكافية

***

وأنشد بعده وهو الشاهد الرابع والثمانون : [من المنسرح]

٨٤ — لاَ تُهِينَ الْفَقِيرَ عَلَّكَ أَنْ   تَرْكَعَ يَوْمًا وَالدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهْ

على أن أصله « لا تهينن الفقير » فحذفت نون التوكيد الخفيفة لالتقاء الساكنين ، وبقيت الفتحة دليلا عليها

وهذا آخر أبيات للأضبط بين قريع السعدى ؛ وقبله :

قَدْ يَجْمَعُ الْمَالَ غَيْرُ آكِلِهِ   وَيَأْكُلُ الْمَالَ غَيْرُ مَنْ جَمَعَهْ

---

(١) الدراعة : ثوب لا يكون إلا من صوف ، وهو المدرعة أيضا ، ويقال : تمدرع ، إذا لبسه

فَاقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ   مَنْ قَرَّ عَيْنـاً بِعَيْشِهِ نَفَعَهْ
وَصِلْ حِبَالَ الْبَعِيدِ إِنْ وَصَلَ الْـ   ـحَبْلَ وَأَقْصِ الْقَرِيبَ إِنْ قَطَعَهْ

وهى أكثر من هـذا ، وقد شرحناها فى الشاهد الرابع والخمسين بعد التسعمائة من آخر شرح شواهد شرح الكافية

***

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون ، وهو من شواهد سيبويه [من الرجز] :

٨٥ — يَسْتَوْعِبُ الْبَوْعَيْنِ مِنْ جَرِيرِهِ   مِنْ لَدُ لَحْيَيْهِ إِلَى مُنْحُورِهِ

على أن أصله « من لَدُنْ » فحذفت النون

قال سيبويه : « فأما لدن فالموضع الذى هو أول الغاية ، وهو اسم يكون ظرفا ، يدلك على أنه اسم قولهم : من لدن ، وقد يحذف بعض العرب النون حتى يصير على حرفين ، قال الراجز غيلان * يستوعب البوعين . . . إلى آخر البيتين » *

قال الأعلم : «أراد أن لد محذوفة من لدن منوية النون فلذلك بقيت على حركتها ، ولو كانت مما بنى على حرفين للزمها السكون كعن ونحوها ، وصف بعيرا أوفرسا بطول العنق ؛ فجعله يستوعب من حبله الذى يوثق به ؛ مِقْدَارَ باعين ، فيما بين لحييه ونحره ، والمُنْحُور والنحر : الصدر ، واللحى : العظم الأسفل من الشدق ، وسمى بذلك لقلة لحمه ، كأن اللحم لحى عنه : أى قشر ، والبَوْع : مصدر بُعْت الشىء بوعا إذا ذرعته بباعك ، والجرير : الحبل » انتهى كلامه وقبلهما :

يَتْبَعْنَ شَهْماً لاَنَ مِنْ ضَرِيرِهِ   مِنَ الْمَهَارَى رُدَّ فِى حُجُورِهِ

قوله « يتبعن إلخ » أى : يتبع الإبل جملا «شهماً» : أى حديد النفس ذكى

القلب ، والضرير — بالضاد المعجمة — : النفس وشدتها ، يقال : ناقة ذات ضرير ، إذا كانت شديدة النفس بطيئة اللغوب ، والضرير من الدواب : الصبور على كل شيء ، كذا فى العباب . يريد أنه لأن شيء من شدة نفسه وامتناعه ، ولو كانت نفسه على ما كانت عليه من الصعوبة لشق عليها ، وقوله « من المهارى » أى : من الإبل المهارى نسبة إلى مهرة ، قال صاحب العباب : ومَهْرة بن حيدان أبو قبيلة من اليمن تنسب إليه الإبل المهرية ، والجمع المهارِىّ ، وإن شئت خففت الياء فقلت المهارِى والمهارَى كالصحارِى والصحارَى

وقوله « رد فى حجوره » أى : فى كرم أمهاته ، يريد أنه من نسل إبل كرام .

وقوله « يستوعب البوعين الخ » بفتح الموحدة ، قال صاحب العباب : قال الليث : البَوْع والباع لغتان . فلا حاجة إلى ما تكلفه الأعلم ، والجرير — بفتح الجيم — : الحبل ، يريد أن طول الحبل الذى هو مقوده من لَحْيَيْه إلى موضع نحره مقدارُ باعين ، يريد طول عنقه

وقوله « من لد لحييه » مثنى لَحْى — بفتح اللام وسكون الحاء المهملة — وهو العظم الذى ينبت عليه الأسنان ، والمُنْحُور : بضم الميم وبعد النون حاء مهملة ، كذا فى العباب ، وهو لغة فى النحر والمنحر ، ومعناه أعلى الصدر ، وهو الموضع الذى تقع عليه القلادة والموضع الذى ينحر فيه الهدى وغيره ، وصحفه الجوهرى فرواه بالخاء المعجمة ، وقال : المنخور لغة فى المنخر ، وأنشده ، وكذا رواه أيضاً فى مادة لدن ، ونبه ابن برى فى أماليه عليه . قال : « وصواب إنشاده كما أنشده سيبويه «إلى مُنْحوره» بالحاء ، والمنحور النحر وهو المنحر ، وصف هذا الشاعر فرساً بطول العنق فجعله يستوعب من حبله مقدار باعين من لحييه إلى نحره » انتهى . وكذا قال فى مادة (ل د ن) ، وصوابه يصف جملا كما ذكرنا ، وتبعه الصفدى فى حاشيته على

الصحاح ، وقال : هذا الذى عليه العلماء ، ولا معنى فيه لما قاله الجوهرى ، ورواه الصاغانى فى العباب بالوجهين : بالحاء المهملة ، والمعجمة ، فى المادتين ، قال : ويروى مُنْخُوره بالخاء المعجمة أيضاً ، ويروى حُنْجُوره ، فزاد رواية ثالثة ، وهى بضم الحاء المهملة وبعد النون جيم ، لغة فى الحنجرة كحَيْدَرة ، وهى الحلقوم

ونسب ابن برى أيضاً هذا الرجز إلى غيلان بن حريث الربعى ، وتقدم فى الشاهد الثالث والسبعين بعد السبعمائة من شرح شواهد شرح الكافية أنى لم أقف على ترجمة له ، والله أعلم به

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون : [من الرجز]

٨٦ — * وَحَاتِمُ الطَّائِيُّ وهَّابُ الْمِئِى *

على أنه حذف التنوين من حاتم لضرورة الشعر ، وقبله

* حَيْدَةُ خَالِى وَلَقِيطٌ وَعَلِى *

والبيتان من رجز لامرأة تفتخر بأخوالها من اليمن ، وأورده الشارح المحقق فى شرح الكافية على أن المِئِى أصله عند الأخفش المئين ، حذفت نون الجمع للضرورة .

وقد شرحناه مفصلا بما لامزيد عليه مع بقية الرجز فى الشاهد الرابع والأربعين بعد الخمسمائة هناك فارجع إليه

* * *

وأنشد بعده : [من الطويل]

عَجِبْتُ لِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ لَهُ أَبٌ وَذِى وَلَدٍ لَمْ يَلْدَهُ أَبَوَانِ

وتقدم الكلام عليه فى الشاهد العاشر من هذا الكتاب

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون ، وهو من شواهد سيبويه : [من الوافر]

٨٧ — فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلاَ كَعْباً بَلَغْتَ وَلاَ كِلاَبَا

على أن يونس سمعهم ينشدونه بفتح الضاد من قوله : فَغُضَّ ، قال سيبويه : « ومنهم من يدعه إذا جاء بالألف واللام على حاله مفتوحا ، يجعله فى جميع الأشياء كأَنَّ ، وزعم يونس أنه سمعهم يقولون :

* فَغُضَّ الطرف . . . . . البيت * » انتهى

ونسب الزمخشرى فى المفصل الفتح إلى بنى أسد ، قال : « ومنهم من فتح وهم بنو أسد ، قال : فغُضَّ الطرف ، ونمير بالتصغير : أبو قبيلة ، وهو نمير بن عامر ابن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفة ابن قيس بن عَيْلاَن بن مضر ، وكعب وكلاب أخوان ، وهما ابنا ربيعة بن عامر ابن صعصعة ، فنمير وربيعة أخوان وأمهما رقية بنت جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن ، قال ابن الكلبى فى الجمهرة : ولَدَ ربيعةُ بنُ عامر كلابا وإليه البيتُ ، وكعبا وإليه العقد ، كان إذا كان فى ولد ربيعة عقدُ جِوار تولوا هم ذلك دون ولد أبيهم ، ومن أولاد ربيعة كُلَيْب بالتصغير وعامر والحرث ، فهؤلاء الخمسة أولاد ربيعة لا غير

و«غُضَّ» فعل أمر من غض طرفه وصوته ، ومن طرفه وصوته ، غضا ، من باب قتل ، إذا خفضهما ، وغض الطرف : إرخاء الجفون ، والطرف : نظر العين ، يقول : لا تفتح عينيك بتحديق كنظر العزيز ، بل أنظر نظر الذليل بغض وتغميض ؛ فإن قبيلتك بنى نمير لم يشرفوا كشرف بنى أخى نمير ، وأنت خامل ، ولبنى عمك النباهة والذكر ، فلا نلت رتبة كعب فى السيادة ولا بلغت منزلة كلاب فى العز ، والتفضيل بين الأقارب عند العرب مُمِضٌّ مؤلم تأثيره أشد من الهجاء المقذع .

والبيت من قصيدة لجرير هجابها الراعى النميرى مطلعها :

أَقِلِّى اللَّوْمَ عَاذِلَ وَالعِتَابَا ... وَقُولِى إِنْ أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابَا

سبب هجاء جرير للراعى النميرى

وسبب هجوه أن الراعى كان شاعر مضر وذا سنها ، ولما قدم البصرة دخل بين جرير والفرزدق ، فقال : [من الكامل]

يَا صَاحِبَيَّ دَنَا الْأَصِيلُ فَسِيرَا غَلَبَ الْفَرَزْدَقُ فِي الْهِجَاءِ جَرِيرَا

فلقيه جرير ، فقال له : إنى وابن عمى الفرزدق نستب صباحا ومساء ، وما عليك من غلبة الغالب والمغلوب ، فإما أن تكف عنا ، وإما أن تُغَلِّبَنى ، فقال له الراعى : صدقت ، لا أبعدك [الله] من خير ، فبينما هما فى القول إذ رآهما جندل بن الراعى فأقبل على فرس له فضرب بغلة أبيه وقال له : مالك يراك الناس واقفا على كلب بنى كليب ، فصرفه عنه ، فقال جرير : أما والله لأثقلن رواحلك ، ثم أقبل إلى منزله وقال لراويته : زد فى دهن سراجك الليلة وأعد لَوْحًا ودواة ، ثم أقبل على هجاء بنى نمير ، فلم يزل يملى حتى ورد عليه قوله :

* فغض الطرف إنك من نمير . . . البيت *

فقال : حسبك أطفىء سراجك ونم ، فرغت منه

ثم إن جريرا أتم القصيدة بعد وسماها الدامغة حتى إذا أصبح ورأى الراعى فى سوق الابل أنشده إياها حتى وصل إلى قوله

أَجَنْدَلُ ، مَا تَقُولُ بَنُو نُمَيْرٍ إِذَا مَا الْأَيْرُ فِى اسْتِ أَبِيكَ غَابَا ؟

فقال الراعى : شرا والله تقول ، إلى أن قال :

إِذَا غَضِبَتْ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ رَأَيْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غِضَابَا
فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ . . . . البيت

قال ابن رشيق فى العمدة : « وممن وضعه ما قيل فيه من الشعر حتى أنكر نسبه وسقط عن رتبته وعيب بفضيلته : بنو نمير ، كانوا جمرة[1] من جمرات العرب إذا سئل أحدهم : ممن الرجل ؟ فخم لفظه ومدّ صوته وقال : من بنى نمير ، إلى أن صنع جرير قصيدته التى هجا بها الراعى فسهر لها فطالت ليلته إلى أن قال :

(١) الجمرة : القبيلة التى لا تحالف غيرها اعتدادا بنفسها

* فغض الطرف إنك من نمير البيت *

فأطفأ سراجه ونام ، وقال : والله قد أخزيتهم آخر الدهر ، فلم يرفعوا رأسا بعدها إلا نكس بهذا البيت ، حتى إن مولى لبنى باهلة كان يرد سوق البصرة ممتارا ؛ فيصيح به بنو نمير : ياجُوَاذِبَ[١] باهلة ؛ فقَصَّ الخبر على مَوَاليه ، وقد ضجر من ذلك ، فقالوا له : إذا نبزوك فقل لهم * فغض الطرف إنك من نمير * ومر بهم بعد ذلك فنبزوه ، وأراد البيت فنسيه ، فقال : غض وإلا جاءك ما تكره ، فكفوا عنه ولم يعرضوا له بعدها ، ومرت امرأة ببعض مجالس بنى نمير ، فأداموا النظر إليها فقالت : قبحكم الله يابنى نمير ، ماقبلتم قول الله عز وجل (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) ولا قول الشاعر :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ . . . . البيت

وهذه القصيدة تسميها العرب الفاضحة ، وقيل : سماها جرير الدامغة ، تركت بنى نمير بالبصرة ينتسبون إلى عامر بن صعصعة ويتجاوزون أباهم نميرا إلى أبيه هربا من ذكر نمير وفرارا مما وسم به من الفضيحة

وقد تكلمنا عليه بأبسط من هذا فى الشاهد الرابع من أول شرح شواهد شرح الكافية

وقد خبط خبط عشواء فى هـذا البيت بعض فضلاء العجم فى شرح أبيات المفصّل ، قال : « البيت لجرير يهجو به الفرزدق ؛ لأن نميراً أبو قبيلة من قيس وهو نمير بن عامر بن صعصعة ، وصعصعة بن مجاشع من أجداد الفرزدق ، وكعب وكلاب فى قريش » هذا كلامه ، وفيه خلل من وجوه : الأول أن المهجو نميرى والفرزدق تميمى ، الثانى أن صعصعة والدَ عامر ليس جد الفرزدق ، الثالث أن صعصعة جد الفرزدق ليس ابنَ مجاشع ، وإنما هو صعصعة بن ناجية بن عقال ابن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد

(١) فى الأصول « يا جؤداب » وهو تصحيف ، والجواذب : شسع النعل

مناة بن تميم ، الرابع أن صعصعة هذا ليس من أجداد الفرزدق ، وإنما هو جده الأقرب ؛ لأن الفرزدق ابنُ غالب بن صعصعة ، الخامس أن كعبا وكلابا فى البيت ليسا من قريش ، وإنما هما ابنا ربيعة أخى نمير ، والله أعلم

* * *

وأنشد الجاربردى هنا ، وهو الشاهد الثامن والثمانون [من الكامل] :

٨٨ — ذُمَّ الْمَنَازِلَ بَعْدَ مَنْزِلَةِ اللِّوَى
وَالْعَيْشَ بَعْدَ أُولَئِكَ الْأَيَّامِ

على أنه روى ذُمَّ بفتح الميم وكسرها

وهو من قصيدة لجرير ، مطلعها :

سَرَتِ الْهُمُومُ فَبِتْنَ غَيْرَ نِيَامِ ... وَأَخُو الْهُمُومِ يَرُومُ كُلَّ مَرَامِ

وأورده فى المفصل فى باب الإشارة أيضاً ، على أن « أولئك » يستعمل فى العقلاء وغير العقلاء ، كقوله تعالى : (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً) وأورده البيضاوى ـ بيَّض الله وجهه يوم تبيض وجوه ـ أيضاً عند الآية ، قال العينى : ويروى « الأقوام » بدل « الأيام » وحينئذ لا شاهد فيه ، وزعم ابن عطية أن هـذه الرواية هى الصواب ، وأن الطبرى غلط إذ أنشد « الأيام » وأن الزجاج اتبعه فى هذا الغلط ، انتهى

و« ذُمَّ » فعل أمر ، و« العيش » معطوف على المنازل ، والمعنى أنه تأسف على منزله باللِّوى وأيام مضت له فيه ، وأنه لم يتهنَّ بعيش بعد تلك الأيام ، ولا راق له منزل

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون [من الرجز] :

٨٩ — يَا عَجَبَا لَقَدْ رَأَيْتُ عَجَبَا ... حِمَارَ قَبَّانَ يَسُوقُ أَرْنَبَا
خَاطِمَهَا زَأَمَّهَا أَنْ تَذْهَبَا ... فَقُلْتُ : أَرْدِفْنِي ، فَقَالَ : مَرْحَبَا

على أن أبا زيد حكى عن أيوب السختيانى دأبَّة وشأبَّة وأنشد هذا الشعر

أقول : لم ينشد أبو زيد هذا الرجز ، لا فى نوادره ، ولا فى كتاب الهمز ، ولا نقل عن أيوب ، وإنما قال فى آخر كتاب الهمز : وسمعت رجلا من بنى كلاب يكنى أبا الأصنع يقول : هذه دأبّة ، وهذه شأبة ، وهى امرأة مَأَدَّة ، وهذا شأبّ ، ومأدّ ، فيهمز الألف فى كل هذه الحروف ، وذلك أنه ثقل عليه إسكان حرفين معاً وإن كان الأصل الآخر منهما التحريك ، كما استثقل بعض العرب فى الوقف إسكان الحرفين فى قولهم : اضرِبُهْ ، أكْرِمُهْ ، احبِسُهْ ، قال : [من الرجز]

* قَدْ قُلْتُ لِلسَّائِلِ قَدْهُ أَعْجِلُهْ *

انتهى .

وهذا آخر كتاب الهمز ، ويشهد لما قلنا كلام ابن جنى فى أكثر تآليفه ، قال فى شرح تصريف المازنى ومنه أخذ الشارح هذا الفصل : إن الألف إذا حركت صارت همزة ، كقراءة أيوب السختيانى (وَلاَ الضَّأَلِّين) لما حرّك الألف لسكونها وسكون اللام الأولى بعدها انقلبت همزة ، وحكى أبو العباس عن أبى عثمان عن أبى زيد أنه قال : سمعت عمرو بن عبيد يهمز (فَيَوْمَئِذٍ لاَ يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلاَ جَأْنٌّ) فظننته قد لحن إلى أن سمعت العرب يقولون (١) شأبّة ودأبّة ، قال أبو العباس : فقلت لأبى عثمان : أتقيس هذا ؟ قال : لا ولا أقبله ، وقال الراجز :

* خَاطِمَهَا زَأَمَّهَا أَنْ تَذْهَبَا *

وجاء فى شعر كثيّر « احْمَأَرَّتِ (٢) » يريد احْمَارَّتِ ، كما أراد الأول

---

(١) فى نسخة « تقول »

(٢) قد وردت هذه الكلمة فى بيت من الشعر لكثير عزة ، وذلك قوله :

وأَنْتَ ابْنَ لَيْلَى خَيْرُ قَوْمِكَ مَشْهَدًا   إِذَا مَا احْمَأَرَّتْ بِالعَبِيطِ الْعَوَامِلُ

زَامّها ، فهذه الهمزات فى هذا الموضع إنما وجبت عن تحريك الألف لسكونها وسكون ما بعدها ، انتهى

وقال فى سر الصناعة : « فأما إبدال الهمزة من الألف فنحوما حكى عن أيوب السختيانى أنه قرأ (ولا الضَّأَلّين) فهمز الألف ، وذلك أنه كره اجتماع الساكنين الألف واللام الأولى ، فحرك الألف لاجتماعهما ، فانقلب همزة ؛ لأن الألف حرف ضعيف واسع المخرج لا يحمل الحركة ، فإذا اضطروا إلى تحريكه قلبوه إلى أقرب الحروف منه وهو الهمزة ، وعلى ذلك ما حكاه أبو زيد فيما قرأته على أبى على فى كتاب الهمز عنه من قولهم : دأبّة وشأبّة ومأدة ، وأنشدت الكافة :

* ياعَجَبًا لَقَدْ رَأَيْتُ عَجَبَا *

إلى آخر الأبيات

يريد زامّها . وحكى أبو العباس ، عن أبى عثمان ، عن أبى زيد ، قال : سمعت عمرو بن عبيد يقرأ (إنْسٌ وَلاَ جَأْن) فظننته قد لحن ، حتى سمعت العرب تقول : دأبّة ، وشأبة ، قال أبو العباس : فقلت لأبى عثمان : أتقيس ذلك ؟ قال : لا ، ولا أقبلها . وقال آخر [من الطويل]

وَبَعْدَانْتِهَاضِ الشَّيْبِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ عَلَى لِمَّتِى حَتَّى اشْعَأَلَّ بَهِيمُهَا

وكان كثير كثيراً مايهمز ، وذلك نحو قوله أيضا :

لَمَتْ لِأَبِى بَكْرٍ لِسَانٌ تَتَابَعَتْ بِعَارِفَةٍ مِنْهُ فَخَصَّتْ وَعَمَّتِ

وَلِلْأَرْضِ أَمَّا سُودُهَا فَتَجَلَّلَتْ بَيَاضاً ، وَأَمَّا بِيضُهَا فَادْهَأَمَّتِ

ومن ذلك قوله أيضا :

تَأَرَّضَ أَخْفَافُ الْمُنَاخَةِ مِنْهُمُ مَكَانَ الَّتِى قَدْ بُعِّدَتْ فَازْلَأَمَّتِ

وازلأمت : أى ذهبت فمضت ، وقيل : ارتفعت فى سيرها

يريد اشْعَالّ ، من قوله تعالى (وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا) فهذا لا همز فيه ، وقال دُكَيْنٌ [من الرجز]

رَاكِدَةٌ مِخْلاتُهُ وَمَحْلَبُهْ وَجُلُّهُ حَتَّى ابْيَأَضَّ مَلْبَبُهْ

يريد ابْيَاضّ ، فهمز ، وقرأت على أبي الفرج على بن الحسين لـكُثَيِّر [من الطويل]

وَلِلأَرْضِ أَمَّا سُودُهَا فَتَجَلَّلَتْ بَيَاضاً وَأَمَّا بِيضُهَا فَادْهَأَمَّتِ

يريد ادْهَامّتْ ، وقد كاد يتسع هذا عنهم ، وحكى عنهم فى الوقف هذه حُبلأْ يريد حُبْلى ، ورأيت رَجُلأْ ، يريد رجلا ، فالهمزة فى رجلأ إنما هى بدل من الألف التى هى عوض من التنوين فى الوقف ، ولا ينبغى أن يحمل على أنها بدل من النون ؛ لقرب ما بين الهمزة والألف وبعد ما بينها و بين النون ، ولأن حبلى لاتنوين لها ، وحكى أيضا هو يَضْرِبُهَأْ ، وهذا كله فى الوقف ، فاذا وصلت قلت : هو يضربها ياهذا ، ورأيت حبلى أمس » انتهى كلامه .

وقال فى الخصائص فى باب شواذ الهمز : و إذا تحركت الألف انقلبت همزة ؛ من ذلك قراءة أيوب السختيانى (ولا الضَّأَلِّينَ) وحكى أبو العباس عن أبى عثمان عن أبى زيد ، قال : سمعت عمرو بن عبيد — إلى آخر الحكاية ، وأنشدوا قوله :

* يَاعَجَبًا لَقَدْ رَأَيْتُ عَجَبَا *

إلى آخر الأبيات.

وقال أيضاً فى المحتسب : «ومن ذلك قراءة أيوب السختيانى (وَلَا الضَّأَلِّينَ) ذكر بعض أصحابنا أن أيوب سئل عن هـذه الهمزة ، فقال : هى بدل من المدة لالتقاء الساكنين . واعلم أن أصل هـذا ونحوه الضالين ، وهو الفاعلون من ضَلَّ يضلّ ؛ فكره اجتماع حرفين متحركين من جنس واحد على غير الصور المحتملة فى ذلك ، فأسكنت اللام الأولى ، وأدغمت فى الآخرة ، فالتقى

ساكنان : الألف ، واللام الأولى المدغمة ، فزيد فى مدة الألف ، واعتمدت وطأة المد ، فكان ذلك نحواً من تحريك الألف ، وذلك أن الحرف يزيد صوتا بحركاته ، كما يزيد صوت الألف بإشباع مدته ، وحكى أبو العباس عن أبى عثمان عن أبى زيد قال : سمعت عمرو بن عبيد — إلى آخر الحكاية ، ثم أورد أمثلة كثيرة ، ونظائر عديدة ، وقال : وفيه أكثر من هذا ، ولولا كراهية الإملال لأتينا به ، على أنه مثبت فى أماكن من تآليفنا ، وقد ذكرنا من هذا الضرب فى كتابنا الموسوم بالخصائص ما فيه كافٍ من غيره »

وقال صاحب الصحاح : «وحمار قَبَّان دويبة ؛ وهو فَعْلَان ، من قبّ لأن العرب لا تصرفه ، وهو معرفة عندهم . ولو كان فعّالاً لصرفته ، تقول : رأيت قطيعاً من حمر قبان ، وقال :

يَاعَجَبًا وَقَدْ رَأَيْتُ عَجَبَا   حِمَارَ قَبَّانَ يَسُوقُ أَرْنَبَا »

انتهى

ولم يكتب عليه ابن برى شيئا فى أماليه ، ولا الصفدى فى حاشيته

وقال السيوطى فى ديوان الحيوان وهو مختصر حياة الحيوان : « حمار قَبَّان : دويبة مستديرة تتولد من الأماكن النَّدِية ، على ظهرها مثل المِجَنّ مرتفعة الظهر ، كأن ظهرها قبة ، إذا مشت لا يرى منها سوى أطراف رجليها ، وهى أقل سواداً من الخنفساء ، وأصغر منها ، على قدر الدينار ، ولها ستة أرجل ، تألف أماكن السباخ

وذكر الجاحظ فى التبيان أن رأسها لا يرى عند المشى ، ولا ترى إلا أن تنقلب على وجهها ، لأن أمام وجهها حاجزا مستديراً ، وأكثر ما تظهر بالليل ؛ قال : ومن حمار قبان نوع ضامر البطن غير مستدير ، والناس يسمونه أبا شحيمة ، والظاهر أنه صغار حمار قبان ، وأنه بعدُ يأخذ فى الكبر ، قال :

وأهل اليمن يطلقون حمار قبان على دويبة فوق الجرادة من نوع الفراش

وفى مفردات ابن البيطار : حمار قبان يسمى حمار البيت أيضاً ، ومن أمثالهم « هو أذَلُّ من حمار قَبَّانَ » انتهى كلام السيوطى

وقال الجوهرى فى مادة (زم) : تقول زَمَمْتُ النعل ، وزممت البعير ، خطمته وأنشد هذا الرجز ثانيا

والخطام : هو الزمام ، وخاطِمَها بالنصب : حال من حمار قبان ، والاضافة لفظية ، والتقدير خاطما إيَّاها ، ويجوز رفعه على أنه خبر مبتدأ محذوف : أى هو خاطمها ، وزامها مثل خاطمها ، لأنه تأكيد له ، وقوله « أن تذهبا » بتقدير اللام : أى لتذهب معه ، أو بتقدير مضاف هو صلة لخاطمها : أى خوف أن تذهب وتفر منه ، وقوله « فقلت أردفنى » أى : فقلت لحمار قبان : اجعلنى رِدْفاً لك أركب على الأرنب خلفك ، فقال : اركب مرحباً بك ، وقوله «ياعجبا» يا للتنبيه ، وعجباً منصوب على المصدرية : أى أعجب عجبا ، فهو منون ، ويجوز أن يكون يا للنداء ، وعجباً منادى ، والأصل ياعجبى ؛ فقلبت ياء المتكلم ألفاً ، وعلى هذا هو غير منون ، وهذا يشبه أن يكون من خرافات العرب ، ولم أقف على شرح له .

وقد رأيت البيت الشاهد فى رجز آخر ، قال السيوطى رحمه الله فى ديوان الحيوان فى الكلام على الضب : « قال أبو عمر الجَرْمى : سألت أبا عبيد عن قول الراجز :

أَهَدَمُوا بَيْتَكَ لاَ أَبَالَكَا وَأنَا أمْشِى الدَّأَلَى حَوَالَكَا

زعم العرب أن الضب خاطر الضفدع فقلت : لمن هذا الشعر ؟ قال : تقول العرب : هذا يقوله الضب لولده الحِسْل أيامَ كانت الأشياء تتكلم ، والعرب تقول : لما كان كل شىء يتكلم خَاطَرَ الضب الضِّفْدَعَ أيهما أصبر على الظمأ ، وكان للضفدع حينئذ الذنب ، وكان الضب ممسوح

الذنب ، قالوا : فصبر الضفدع يوماً ، ثم نادت : يا ضب ورداً ورداً . فقال الضب :

أَصْبَحَ قَلْبِي صَرِدًا لا يشتهى أن يَرِدا

إِلاَّ عَرَادًا عَرِدَا وَصِلِّيَانًا بَرِدَا

وعَنْـكَثًا مُلْتَبِدا .

فلما كان اليوم الثالث قالت الضفدع : يا ضب ورداً وردا ، فلم يجبها ، فلمـا لم يجبها بادرت إلى الماء ، وتبعها الضب ، فأخذ ذنبها ، وأنشد :

خَاطِبَهَا زَأْمَتُهَا أَنْ تَذْهَبَا وَجربَ الضَّبُّ فَقَالَ جَرِّبَا

ألا أرى لِى ذَنَبًا مُرَكَّبًا »

انتهى كلامه .

والدَّأْلى بفتحات ، قال صاحب العباب : «دأل يَدْأَلُ دَأْلاً ودَأَلاَنًا ودَأْلَى : أى ختل ، قال :

* وَأَنَا أَمْشِي الدَّأْلَى حَوَالَـكَا *

وقال أبو زيد : هى مشية شبيهة بالختل ومشى المثقل ، وذكـر الأصمعى فى صفةمشى الختل الدأَلاَنُ : مشى يقارب فيه الخطو ويُبْغى فيه ، كأنه مثقل من حمل » انتهى

وقوله « صَرِداً » بفتح الصاد المهملة وكسر الراء ، قال الجوهرى : صَرِد الرجل بالـكسر يَصْرَد صَرَدًا فهو صَرِد ومِصْرَاد ، يجد البرد سريعاً ، قال :

أَصْبَحَ قَلْبِي صَرِدَا لاَ يَشْتَهِى أَنْ يَرِدَا . انتهى

وقوله « إلا عَرَادًا عرِدَا » العراد بفتح العين المهملة وآخره دال : اسم نبت كذا فى الصحاح ، وأنشد البيت ، والعَرِد : وصف له من لفظه للتوكيد ، والمبالغة فى كلامهم كقولهم : شعر شاعر ، ولَيْلَة ليلاء . وقال خضر الموصلى فى شرح أبيات التفسيرين : العَرِد : الصلب من كل شىء ، وقيل : هو الجراد ، وهـذا

كلامه ، وقوله « وصِلِّيانًا بِردا » بكسر الصاد و للام المشددة بعدها مثناة تحتية ، قال السخاوى فى سفر السعادة : [و] صِلِّيَانٌ فِعْلِيان ، والواحدة صليانة ، وهى بقلة ، وهو مأخوذ من الصِّلَّة ، والصِّلة : واحدة الصِّلال ، وهى القطع من الأمطار المتفرقة التى يقع منها الشىء بعد الشىء ، وقيل للعشب الصِّلِّيان من ذلك ، سمى باسم المطر ، وقال الجرمى : الصليان : نبات ، ويقولون لمن يسرع فى اليمين ولا يتوقف « لقد جَذَّهَا جذَّ الصِّلِّيَانة » ؛ لأن العير إذا ارتعى جذ الصِّلِّيانة واقتلعها من أصلها ، وجَذَّ : مصدر مضاف إلى المفعول ، ويقولون : الصِّلّيان خبز الإبل ، انتهى . و « بَرِد » بمعنى بارد

وهذا البيت أورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى (ومِلْحٌ أُجَاج) على قراءة من قرأ (مَلِحٌ) بفتح الميم وكسر اللام ، على أنه تخفيف مالح كبَرِد فى البيت من بارد

وقوله « عَنْكثا ملتبدا » العنكث : بفتح العين المهملة و سكون النون و بعد الكاف ثاء مثلثة ، قال صاحب الصحاح : هو اسم نبت ، وأنشد البيت ، والملتبد : المجتمع بعضه فوق بعض ، يقال : التبد الشجر . إذا كثر ورقه ، وفى كل بيت أنشده الجوهرى من هذه الأبيات يقول : قال الساجع ، بناء على أن الرجز عنده سجع وليس بشعر ، وهو مذهب بعض العروضيين ، وأورد ابن برى الأبيات الخمسة فى مادة عنكث ، وقال : هذا مما تحكيه العرب على ألسنة البهائم ، زعموا أنه اختصم الضب والضفدع ، فقالت الضفدع : أنا أصْبرُ منك عن الماء ، وقال الضب : أنا أصبر منك ، فقال الضفدع : تعال حتى نرعى فيعلم أينا أصبر ، فرَعَيَا يومهما ، فاشتد عطش الضفدع ، فجعلت تقول : وِرْدًا يا ضب ، فقال الضب :
* أصْبَحَ قَلْبِى صَرِدَا * إلى آخر الأبيات ، فبادرت الضفدع إلى الماء ، إلى آخر الحكاية

تسمية الرجز سجعا

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التسعون [من الرجز]

٩٠ — يَادَارَ مَيٍّ بِدَكَادِيكِ الْبُرَقْ
صَبْرًا فَقَدْ هَيَّجْتِ شَوْقَ الْمُشْتَئِقْ

على أن أصله المشتاق فقلب الألف همزة وحركها بالكسر لأن الألف بد من واو مكسورة ، قال ابن جنى فى سر الصناعة : « أنشد الفراء :

* يَادَارَ مَيٍّ بِدَكَادِيكِ * إلخ

والقول فيه عندى أنه اضطر إلى حركة الألف التى قبل القاف من المشتاق ؛ لأنها تقابل لام مستفعلن ، فلمّا حركها انقلبت همزة ، إلا أنه حركهـا بالكسر لأنه أراد الكسرة التى كانت فى الواو المنقلبة الألفُ عنها ، وذلك أنه مُفْتَعِلٌ من الشوق ، وأصله مُشْتَوِق ثم قلبت الواو ألفا لتحركهـا وانفتاح ما قبلها ؛ فلما احتاج إلى حركة الألف حركها بمثل الكسرة التى كانت فى الواو التى هى أصل للالف ، ونحو هـذا ما حكاه الفراء أيضا عنهم من قولهم : رجل مَئِل ، إذا كان كثيرالمال ، وأصلها مَوِلٌ كحَذِر ، يقال : مال الرجل يمَال ، إذا كثر ماله ، وأصلها مَوِلَ يَمْوَل مثل خاف يخاف ، من الواو ، وقالوا : رجل خَافٌ كقولهم رجل مالٌ وأصلهما خَوِفٌ ومَوِلٌ ، انقلبت الواو ألفاً ، لتحركها وانفتاح ما قبلها ، فصار خافٌ ومالٌ ، ثم إنهم أتوا بالكسرة التى كانت فى واو مَوِلٍ فحركوا بها الألف فى مال فانقلبت همزة فقالوا مئل » انتهى كلامه

و« مىّ » اسم امرأة ، ودكاديك : جمع دكداك ، وهو الرمل المتلبد فى الأرض ولم يرتفع ، والبُرَق : جمع بُرْقَة بالضم وهى غلظ فى حجارة ورمل ، ورواه الجوهرى « بالدّكاديك البُرَقِ » بالوصف لا بالإضافة ، وقوله « صبرا » مفعول مطلق : أى اصبرى صبرا ، أو مفعول به لفعل محذوف : أى أعطينى صبرا ، وروى بدله

«سَقْيا» : أي سقاكِ الله سقياً ، دعاء لها بالسقى ، على عادة العرب فى طلب السقى لمنازل أحبابهم .

قال ابن المستوفى هذان البيتان أنشدهما الفراء لرؤبة ، ومثله [من الرجز] :

سُقِّيتِ مِنْ وَدْقِ (١) السَّحَابِ الْمُنْبَعِقْ (٢)

يَكَادُ قَلْبِي مِنْ هَوَاكِ يَحْتَرِقْ

كَذَا دُعَاءُ كُلِّ صَبٍّ مُشْتَئِقْ

الابتـــداء

أنشد فيه ، وهو الشاهد الحادى والتسعون [من الرجز] :

٩١ — * بِاسْمِ الَّذِي فِي كُلِّ سُورَةٍ سِمُهْ *

على أنه يقال : سِمٌ بدون همزة وصل

قال ابن جنى فى شرح تصريف المازنى : « روى بكسر السين وضمها ، والباء من « باسم » متعلق بأرسل فى بيت قبله ، وهو :

أَرْسَلَ فِيهَا بَازِلاً يُقَرِّمُهْ   فَهْوَ بِهَا يَنْحُو طَرِيقاً يَعْلَمُهْ

بِاسْمِ الَّذِي فِي كُلِّ سُورَةٍ سِمُهْ

وهذه الأبيات الثلاثة أوردها أبو زيد فى نوادره (٣) ، وقال : « هى لرجل زعموا أنه من كلب »

والضمير المستتر «فى أرسل» للراعى ، والبارز من «فيها» للابل ، و«البازل» : البعير الذى انشق نابه ، وهو فى السنة التاسعة ، و« يقرمه » : يتركه عن الاستعمال

---

(١) الودق : المطر : شديده وهينه ، والمراد هنا الشديد

(٢) المنبعق : المندفع بالماء

(٣) انظر النوادر (ص ١٦٦)

ليتقوى للفحْلة ، والمنى أرسل هذا الراعى باسم الذى فى كل سورة يذكراسمه هذا الفحلَ فى هـذه الإبل فهو أى البازل ينحو بها أى يقصد بالإبل المذكورة ، طريقا يعلمه لاعتياده بتلك الفعلة

وقال خضر الموصلى شارح شواهد التفسيرين : البيت من رجز لرؤبة بن العجاج ، أوله

* قُلْتُ لِزِيرٍ لَمْ تَصِلْهُ مَرْيَمُهْ * انتهى .

أقول : قد فتشت [1] هذه الأرجوزة مرارا فلم أجد فيها البيت الشاهد ، وقد تبعه شيخنا الشهاب الخفاجى فى حاشيته على البيضاوى ، ونقل ماسطره من غير مراجعة ، وأورد أبو زيد بعد تلك الأبيات ما نصه ، وأنشـدنى أعرابى [من البسيط]

أَنَا الْحُبَابُ الَّذِى يَكْفِى سُمِى نَسَبِى ... إِذَا الْقَمِيصُ تَعَدَّى وَسْمَهُ النَّسَبُ

الأصمعى : الوسم : تغير النجار ، وقال :

فَدَعْ عَنْكَ ذِكْرَ اللَّهْوِ وَاعْمِدْ لِمِدْحَةٍ ... لِخَيْرِ يَمَانٍ كُلِّهَا حَيْثُ انْتَمَى

لأَوْضَحِهَا وَجْهًا وَأَكْرَمِهَا أَبًا ... وَأَسْمَحِهَا كَفًّا وَأَعْلَنِهَا سُمَا

انتهى .

وسُمِى — بضم السين وكسرها ، والياء ضمير المتكلم — والنجار بكسر لنون بعدها جيم : الأصل ، وسُمَا فى البيت الثانى — بضم السين والقصر — لغة فى الاسم ، وهو أعدل شاهد فى هـذه اللغة ، وأنشده ابن جنى فى شرح تصريف المازنى ، وقال : ويروى « سِمًا » فمن كسر السين فالألف عنده للوصل بمنزله الألف فى قول آخر [من البسيط]

---

(١) وقد فتشنا أراجيز رؤبة فلم نجـد هذه الأبيات فى الأرجوزة التى ذكر الموصلى أولها

* يَا دَارَ عَمْرَةَ مِنْ مُحْتَلِّهَا الجَرَعَا * (١)

ولا يجوز أن تكون لام الفعل ؛ لأنا لا نعلمهم قالوا : هـذا سِمّى بوزن رِضاً ، وأما من ضم السين فعندى يحتمل أمرين : أحدهما ما عليه الناس ، وهو أن تكون ألف الوصل ، بمنزلتها فى قول من يكسر السين ، والوجه الآخر : أن تكون لام الفعل ، بمنزلة الألف فى القافية التى قبلها وهى «انتمى» ، ويكون هذا التأويلُ على قول من قال : هذا سُمًّى ، بوزن هدى ، إلا أنه حذف اللام لالتقاء الساكنين ، يريد أنه منصوب منون حذفت ألفه لالتقاء الساكنين ، انتهى .

وأقول : يرد على الوجه الأول أنه يبقى الشعر بلا رَوى ، وهو فاسد ، وأما قوله فى الوجه الثانى « إلا أنه حذف لالتقاء الساكنين وهذه الألف هى المبدلة من التنوين للوقف » فهذا فاسد أيضاً ؛ للزومه (٢) عدم الروى ، وقد حقق الشارح المحقق فيما يأتى فى الشاهد الثالث بعد المائة عن السيرافى أنه استدل على أن الألف لام الكلمة لمجيئها رَويا فى النصب

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والتسعون [من الطويل]

٩٢ — * وَقَالَ اضْرِبِ السَّاقَيْنِ إِمِّكَ هَابِلُ *

على أنه روى بكسر همزة « إمك » إتباعا لكسرة نون الساقين

والذى رواه ابن جنى فى أول المحتسب على غير (٣) هذا ، قال عند قراءة

(١) هذا صدر بيت هو مطلع قصيدة

* هَيَّجْتِ لِى الهَمَّ وَالأَحْزَانَ وَالوَجَعَا *

(٢) كذا ، وصوابه « لاستلزامه عدم الروى »

(٣) لا تنافى بين ماذكره ابن جنى وما ذكره الشارح المحقق ، بل الذى ذكره ابن جنى لا يتحقق إلا بعد أن يتحقق ما ذكره الشارح ، وذلك أن الشاعر لم يتبع الميم للهمزة إلا بعد أن أتبع الهمزة للنون ، فالبيت شاهد لهما جميعا

من قرأ (الحمْدِ لله) بكسر الدال إتباعا لكسرة اللام : ومثل هذا في إتباع الإعراب البناء ما حكاه صاحب الكتاب في قول بعضهم

* وَقَالَ اضْرِبِ السَّاقَيْنِ إِمِّكَ هَابِلُ *

كسر الميم لكسرة الهمزة ، انتهى كلامه

و« هابل » من هَبِلَتْه أمه : أي ثكلته وعدمته ، وفعله كفرح يفرح ، وهابل هنا على النسبة : أي ذات هَبَل ، كحائض وطالق ، و « اضرب » فعل أمر ، و « الساقين » مفعوله ، وجملة « إمك هابل » دعائية

وهذا المصراع لم أقف على تتمته ، ولا على قائله

* * *

وأنشد الجاربردي ، وهو الشاهد الثالث والتسعون [من الكامل] :

٩٣ — وَلَقَدْ لَحَنْتُ لَكُمْ لِكَيْمَا تَفْقَهُوا
وَاللَّحْنُ يَفْهَمُهُ ذَوُو الْأَلْبَابِ

اللحن في لغة العرب

على أن صاحب الكشاف قال : اللحن أن تَلْحَنَ بكلامك : أي تميله إلى نحو من الأنحاء ؛ ليفطن له صاحبك ، وأنشد البيت ، وأورده عند تفسير قوله تعالى (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ) وكذا أورده الجوهري ، قال : « واللَّحَن بالتحريك : الفطنة ، وقد لَحِن بالكسر ، وفي الحديث « ولَعَلَّ أحدكم أَلْحَنُ بحجته » أي أفطن لها من الآخر ، أبو زيد : لَحَنْتُ بالفتح لَحْناً ، إذا قلت له قولا يفهمه عنك ، ويخفى على غيره ، ولَحِنه هو عني بالكسر يَلْحَنه لَحَناً : أي فهمه ، وألحنته أنا إياه ، ولاحنت الناس : فاطنتهم ، قال الفزاري [من الخفيف]

وَحَدِيثٍ أَلَذُّهُ وَهْوَ مِمَّا يَنْعَتُ النَّاعِتُونَ يُوزَنُ وَزْنَا
مَنْطِقٌ رَائِعٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَا نًا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنَا

يريد أنها تتكلم وهي تريد غيره ، وتُعَرِّض في حديثها فتزيله عن جهته من فطنتها وذكائها ، كما قال تعالى (ولتعرفنهم في لحن القول) أي : في فَحْوَاه

ومعناه ، وقال القَتَّال الـكلابى [من الـكامل] :

وَلَقَدْ وَحَيْتُ لَـكُمْ لِـكَيْمَا تَفْهَمُوا ... وَلَحَنْتُ لَحْنًا لَيْسَ بِالْمُرْتَابِ

وكأن اللحن فى العربية راجع إلى هذا ؛ لأنه من العدول عن الصواب » انتهى كلامه

والوحى : الإشارة والـكتابة والرسالة والـكلام الخفى ، ولم يعرف خضر الموصلى شارح أبيات التفسيرين تتمة البيت ومنشأه ، ولم يزد على نفس كلام الجوهرى سوى ترجمة قائله

عمرو بن سلمة

وهو من قصيدة أوردها السكرى فى كتاب اللصوص قال : « كان عمرو ابن سلمة بن سكن بن قريط بن عبد بن أبى بكر بن كلاب قد أسلم رضى الله عنه ، ووفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فاستقطعه حِمًى بين الشقراء والسعدية ، وهما ماءان تسعة أميال فى ستة أميال ؛ فأقطعها إياه فأحماها إياه زمانا ، ثم هلك عمرو بن سلمة وقام بعده حُجْر بن عمرو [١] فأحماها ، ثم إن نفرا من بنى جعفر ابن كلاب فيهم أجدرُ بن بشر بن عامر بن مالك بن جعفر استرعوه خيلهم ؛ فأرعاهم ، فأرسلوا نعمهم مع خيلهم بغير إذنه ؛ فغضب حُجْر وأراد إخراجهم فقاتلوه بالعصى والحجارة ، وظهر عليهم حُجْر ، ثم إن القوم تداعوا إلى الصلح على أن يدع كل قوم ما فيهم من الجراحات ؛ فتواعدوا الصلح بالغداة وكان أخ لحُجْر يدعى سعيد بن عمرو متنحيا عن الحمى عند امرأة من بنى بكر تداويه من سِلْعة [٢] كانت بحلقه ، فبلغه الخبر وأقبل يريد أخاه حتى إذا كان فى المنتصف

(١) كان فى الأصل « جحوش ابن عمر » والتصويب عن ياقوت فى مادة (الشقراء) من معجم البلدان

(٢) السلعة ـ بكسر أوله ، أو فتحه ، مع سكون الثانى فيهما ، وبفتح أوله وثانيه ، وبكسر أوله وفتح ثانيه ـ : الخراج ، والغدة

ما بين رحلهم والحى غَدَر الجعفريون فاحتملوا عند المساء فمضوا وخلفوا ثلاثة فوارس : أحدهم قراد بن الأجدر بن بشر ، فلقوا سعيد بن عمرو ، فحمل قراد بن الأجدر عليه بالرمح فقتله ، فبلغ الخبر حُجْرا وأوقد نار الحرب واجتمع إليه جمع من بنى بكر ، فخرج يطلب جعفرا حتى لحقهم ، فقال بنو جعفر : ثأركم قراد ابن الأجدر ، وقد هرب ، وهذا أخوه جُنادة بن الأجدر ، قال : إنا لحاملون عليكم أو تعطونا وفاء حتى نرى رأينا ، فلما عرفوا منهم الجد اتقوهم بجُنادة وأمه ميسون بنت سهيل بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ، فدفعوه إلى حجر ، فسار بجُنادة قليلا فضرب عنقه بأخيه ، وكان القتّال أرسل إلى بنى جعفر أن لاتعطوهم رهينة فإنهم يقتلونه ، فلم يطيعوه ؛ فقال القتّال فى ذلك قصيدة ، وهذه أبيات منها بعد ثمانية عشر بيتاً :

وَلَقَدْ لَحَنْتُ لَكُمْ لِكَيْمَا تَفْهَمُوا ... وَوَحَيْتُ وَحْيًا لَيْسَ بِالْمُرْتَابِ (كلمة بيت الشاهد)

وَلَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمُ بِصَحِيفَةٍ ... عَرَبِيَّةٍ مِنِّى مَعَ ابْنِ عُقَابِ

وَمَعَ ابْنِ قَارِبَةَ السَّفِيرِ كَأَنَّمَا ... وَثِقُوا بِرَأْىِ عُتَيْبَةَ بْنِ شِهَابِ

أَمَّا ابْنُ مَيْسُونَ الْمُقَادُ فَإِنَّهُ ... رَدَّ الرِّجَالَ بِهِ عَلَى الْأَعْقَابِ

هَلَكَ الَّذِينَ تَمَالَئُوا فِى قَتْلِهِ ... وَنَجَوْتُ مِنْهُ طَاهِرَ الْأَثْوَابِ

يُسْقَوْنَ مَاءَ الْمُهْلِ كُلَّ عَشِيَّةٍ ... يُجْزَوْنَ مَا كَسَبُوا مَعَ الْكُتَّابِ

هَلَّا قَتَلْتُمْ قَاتِلًا بِقَتِيلِهِ ... فَيَكُونَ عِنْدَ اللهِ أَوْفَقَ بَابِ

بَعْدَ الَّذِى مَاحَلْتُمُ عَنْ نَفْسِهِ ... وَقَتَلْتُمُوهُ غَيْرَ ذِى أَسْبَابِ

وَيَكُونُ أَبْرَأَ لِلصُّدُورِ مِنَ الْجَوَى ... وَأَقَلَّ تَخْزَاءً غَدَاةَ عِتَابِ

لَنْ تُفْلِحُوا أَبَدًا وَلَوْ أَسْمَنْتُمُ ... وَرَعَيْتُمُ الْقَفِرَاتِ فِى الْأَعْشَابِ

وهذا آخر القصيدة

قال السكرى : ابن عُقاب ــ بالضم ــ : رجل من بنى جعفر بن كلاب ، وعُقابُ

أمه سوداء نوبية ، وابن قاربة : مولى لقريش كان وجّه به ، وعتيبة بن الحرث ابن شهاب اليربوعى كان فارس تميم كلها ، وكان ذا رأى فى الحرب وشجاعة ويُمْن نقيبة [١] ، وابن ميسون هو جُنادة بن أجدر ، وتمالئوا : اتفقوا ، والتخزاء — بالفتح — مصدر كالخزى بمعنى الفضيحة

والقتال هو أحد بنى بكر بن كلاب شاعر إسلامى فى الدولة المروانية ، وقد ترجمناه فى الشاهد الخامس بعد السبعمائة من شرح شواهد شرح الكافية

والبيتان اللذان أوردهما الجوهرى هما لمالك ابن أسماء بن خارجة بن حصين ابن حذيفة بن بدر الفزارى ، كان الحجاج تزوج أخته هنداً وولاه أصفهان ، ولهما خبر أورده الأصبهانى فى الأغانى قال « أخبرنا يحيى بن على بن يحيى المنجم قال : حدثنى أبى قال : قلت للجاحظ : إنى قرأت فى فصل من كتابك البيان والتبيين أن مما يستحسن من النساء اللحن فى الكلام فاستشهدت ببيتى مالك بن أسماء ، قال : هو كذلك ، فقلت : أما سمعت بخبر هند بنت أسماء بن خارجة مع الحجاج حين لحنت كلامها ، فعاب ذلك عليها ، فاحتجت ببيتى أخيها ، فقال لها : إن أخاك أراد أن المرأة فطنة ؛ فهى تلحن بالكلام غير الظاهر المعنى تستر معناه وتُوَرِّى عنه وتفهمه من أراد تعريفه بالتعريض ، كما قال تعالى (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ) ولم يرد الخطأ من الكلام ، والخطأ لا يستحسن من أحد ، فوجم الجاحظ ساعة ثم قال : لو وقع لى هذا الخبر لما قلت ما تقدم ، فقلت له : فأصلحه ، فقال : الآن وقد صار الكتاب فى الآفاق ؟ » انتهى .

الجاحظ يخطىء ويأبى إصلاح الخطأ

وقال العسكرى فى كتاب التصحيف : « أخبرنى محمد بن يحيى قال : حدثنى يحيى بن على المنجم قال : حدثنى أبى قال : قلت للجاحظ : مثلك فى علمك

---

(١) النقيبة : النفس ، والعقل ، والمشورة ، ونفاذ الرأى ، والأظهر هنا المشورة يريد أنه إذا أشار بشىء فاتبعوه عاد عليهم بالخير والبركة

ومقدارك من الأدب تقول : يستظرف من الجارية أن تكون غير فصيحة وأن يعترى منطقها اللحن ، وتقول : قال مالك بن أسماء فى بعض نسائه وكانت لاتصيب وربما لحنت * وخير الكلام ما كان لحنا * ؟ وتفسره على أنه أراد اللحن فى الإعراب ، وإنما وصفها بالظرف والفطنة وأنها تورى فى لفظها عن أشياء قال : قد فطنت لذلك بعد ، قلت : فغيره ، قال : كيف لى بما سارت به الركبان » انتهى .

ونقل هـذا الخبر عن العسكرى السيد المرتضى فى أول أماليه المسماة بغرر الفرائد ودرر القلائد وقال : « وقد تبع الجاحظَ على هذا الغلط ابنُ قتيبة فى كتابه المعروف بعيون الأخبار ، وأورد أبيات الفزارى ، واعتذر بها من لحن إن أصيب فى كتابه » وكذا نقل السهيلى تغليطَ الجاحظ وابن قتيبة فى غزوة الخندق من كتابه الروض الأُنُف

***

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون : [من الطويل]

٩٤ — إِذَا جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ سِرٌّ فَإِنَّهُ بِنَثٍّ وَتَكْثِيرِ الْوُشَاةِ قَمِينُ

على أن قطع همزة الإثنين شاذ فى ضرورة الشعر ؛

قال ابن عصفور فى كتاب الضرائر : ومنها قطع همزة الوصل فى الدرج إجراء لها مجراها فى حال الابتداء بها ، وأكثر ما يكون ذلك فى أول النصف الثانى من البيت ؛ لتعذر الوقف على الأنصاف التى هى الصدور ، نحو قول حسان رضى الله عنه [من البسيط] :

لَتَسْمَعُنَّ وَشِيكًا فِى دِيَارِكُمُ أَللهُ أَكْبَرُ يَا ثَارَاتِ عُثْمَانَا

وقال الآخر [من السريع]

لاَ نَسَبَ الْيَوْمَ وَلاَ خُلَّةً إِتَّسَعَ الْخَرْقُ عَلَى الرَّاقِعِ

وقد يقطع فى حشو البيت ، وذلك قليل ، ومنه قول قيس بن الخطيم :

إِذَا جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ سِرٌّ فَإِنَّهُ .... البيت

وقول جميل : [من الطويل]

أَلاَ لاَ أَرَى إِثْنَيْنِ أَحْسَنَ شِيمَةً ... عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ مِنِّى وَمِنْ جُمْلِ

وأنشد قدامة : [من الرجز]

يَا نَفْسُ صَبْرًا كُلُّ حَيٍّ لاَقِ ... وَكُلُّ إِثْنَيْنِ إِلَى افْتِرَاقِ

انتهى .

وقد أنشد أبو زيد (١) بيت جميل فى نوادره ، وكتب عليه أبو الحسن الأخفش : « أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد أنه لا اختلاف بين أصحابه أن الرواية * ألا لا أرى خِلّين * وهذه هى الرواية ، والأولى (٢) ليست بثَبَتٍ ، وإنما رواها أبو زيد والأخفش (٣) على الشذوذ فليسا يعتدان بها ، وكذلك أخبرنا فى البيت الذى يعزى إلى قيس بن الخطيم وهو :

إِذَا ضَيَّعَ الإِثْنَانِ سِرًّا فَإِنَّهُ ... بِنَثٍّ وَتَكْثِيرِ الْوُشَاةِ قَمِينُ

قال : الرواية * إذا جاوز الخلين سر * قال : وهذه أشياء ربما يخطر ببال النحوى أنها تجوز على بعد فى القياس ، فربما غير الرواية » انتهى .

وهذا غير جيد ؛ فإنه يقتضى عدم الوثوق برواية الثقات ، وهم مأمونون فيما ينقلونه

وقال ابن المستوفى : « وقال سيبويه فى بيت قيس بن الخطيم : إنما هو * إذا جاوز الخلين سر * ولكنه صنع ، والذى فى شعره الإثنين ، وهو أعم من الخلين وأتم فى الدعوى » انتهى .

ولا يخفى أن سيبويه لم يورد هذا البيت فى كتابه البتة ، وليس من دأبه

---

(١) انظر النوادر (ص ٢٠٤)

(٢) وقع فى أصول الكتاب « وهذه الرواية الأولى ليست بثبت » وفى النوادر « وهذه الرواية ، والأولى ليست بثبت »

(٣) المراد به أبو الخطاب الأخفش الكبير شيخ سيبويه ورصيف أبى زيد

الطعن فى الرواية كالمبرد ، وقدسها قلمه ، فنسب إلى سيبو به كلام المبرد

ومثله (١) قول الصّلتان العبدى : [من المتقارب]

وَسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ امْرِئٍ ... وَسِرُّ الثَّلَاثَةِ غَيْرُ الْخَفِىِّ

ومثله قول الآخر : [من الطويل]

فَلَا تَجْعَلَنْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ثَالِثًا ... وَكُلُّ حَدِيثٍ جَاوَزَ اثْنَيْنِ شَائِعُ

أقول : قد بالغ بعضهم فى كتم السر ، فقال : المراد من الاثنين الشفتان لا شخصان ، وقوله « فإنه بنث » ـ بفتح النون وتشديد المثلثة ـ مصدر نث الحديث ينثه نثا إذا أفشاه وروى « بيث » ـ بموحدتين ـ وعليها اقتصر الجاربردى فقال : يقال بث الخبر : أى نشره ، وروى أيضا « فإنه بنشر » وضمير فإنه للسر ، والباء متعلقة بقمين بمعنى جدير وخليق وحَرِىٌّ ولائق ، وكلها ألفاظ مترادفة ، وقوله « وتكثير » بالجر معطوف على نث ، وهو مصدر مضاف إلى المفعول : أى السر المجاوز اثنين يكثر الأعداء والوشاة ، وهو جمع واش ، وهو النمام الذى يزوق الكلام و يحسنه عند نقله على جهة الإفساد ، وقال بعض أفاضل العجم فى شرح أبيات المفصل : هو مصدر مضاف إلى الفاعل ، ومفعوله محذوف : أى وتكثير الوشاة ذلك السرّ كتمان السر

والبيت من أبيات لقيس بن الخطيم رواها اه القالى فى أماليه ، وهى : تكملة الشاهد

أَجُودُ بِمَضْنُونِ التِّلَادِ وَإِنَّنِى ... بِسِرِّكِ عَمَّنْ سَالَنِى لَضَنِينُ (٢)

إِذَا جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ سِرٌّ فَإِنَّهُ ... بِنَثٍّ وَتَكْثِيرِ الْوُشَاةِ قَمِينُ

---

(١) يريد فى هذا البيت والذى بعده أنهما مثل بيت الشاهد فى المعنى لا فى قطع همزة الوصل

(٢) سالنى مخفف سألنى مثل قول حسان :

سَالَتْ هُذَيْلٌ رَسُولَ اللهِ فَاحِشَةً ... ضَلَّتْ هُذَيْلٌ بِمَا قَالَتْ وَلَمْ تُصِبِ

وَإِنْ ضَيَّعَ الْإِخْوَانُ سِرًّا فَإِنَّنِي كَتُومٌ لِأَسْرَارِ الْعَشِيرِ أَمِينُ
يَكُونُ لَهُ عِنْدِي إِذَا مَا ضَمِنْتُهُ مَكَانٌ بِسَوْدَاءِ الْفُؤَادِ كَنِينُ

ويروى :

. . . . إِذَا مَا ائْتُمِنْتُهُ مَقَرٌّ بِسَوْدَاءِ الْفُؤَادِ كَنِينُ
سَلِي مَنْ جَلِيسِي فِي النَّدِيِّ وَمَأْلَفِي وَمَنْ هُوَ لِي عِنْدَ الصَّفَاءِ خَدِينُ
وَأَيَّ أَخِي حَرْبٍ إِذَا هِيَ شَمَّرَتْ وَمِدْرَهِ خَصْمٍ يَا نَوَارُ أَكُونُ
وَهَلْ يَحْذَرُ الْجَارُ الْغَرِيبُ فَجِيعَتِي وَخَوْنِي ، وَبَعْضُ الْمُقْرِفِينَ خَئُونُ
وَمَا لَمَعَتْ عَيْنِي لِغِرَّةِ جَارَتِي وَلَا وُدِّعَتْ بِالذَّمِّ حِينَ تَبِينُ
[أَبَا الذَّمَّ آبَاءٌ نَمَتْنِي جُدُودُهُمْ وَفِعْلِي بِفِعْلِ الصَّالِحِينَ مُعِينُ
فَهَذَا كَمَا قَدْ تَعْلَمِينَ وَإِنَّنِي لَجَلْدٌ عَلَى رَيْبِ الْخُطُوبِ مَتِينُ] (١)
وإِنِّي لَأَعْتَامُ الرِّجَالَ بِخُلَّتِي
إِلَى (٢) الرَّأْيِ فِي الْأَحْدَاثِ حِينَ تَحِينُ
فَأُبْرِي لَهُمْ صَبْرِي وأُصْفِي مَوَدَّتِي وَسِرُّكِ عِنْدِي بَعْدَ ذَاكِ مَصُونُ
أَمِرٌّ عَلَى الْبَاغِي وَيَغْلُظُ جَانِبِي وَذُو الْوُدِّ أَحْلُو لِي لَهُ وَأَلِينُ

هذا ما أورده القالى ، وهذا المقدار هو الموجود فى ديوانه ، والتلاد : كل مال قديم ، والمضنون : اسم مفعول من ضن بالشىء يضن من باب تعب ضنا وضِنّة ـ بالكسر ـ إذا بخل به فهو ضنين ، وأراد بالتلاد المضنون به ، وقوله «سالنى» بالألف وأصلها الهمزة ، والعشير : المعاشر ، وكنين : مكنون ، أى : مستور محفوظ ،

(١) سقط هذان البيتان من أصول الكتاب ، وهما ثابتان فى الأمالى (ح ٢ ص ١٧٧ طبع دار الكتب) ، وقد شرح المؤلف بعض ألفاظهما

(٢) كذا فى أصول الكتاب ، وعليها شرح المؤلف ، والثابت فى الأولى « أولى الرأى » أى : أصحاب الرأى ، فهو من وصف الرجال

والندى : المجلس ، والخدين : الصديق ، والمدره ـ بكسر الميم وآخره هاء ـ من دَرَه عن القوم يدرَه ـ بالفتح ـ إذا تكلم عنهم ودفع فهو مدره ، ونَوَار : اسم امرأة ، والفجيعة : المكروه ، والخُون : الخيانة ، والمقْرِفُ ـ بضم الميم وكسر الراء ـ : من أبوه غير أصيل ، ولمت : نظرت ، والغرة ـ بالكسر ـ : الغفلة ، ونمتنى : رفعتنى ، و « جدودهم » فاعله ، وأعتام : أقصد ، وهو من العيمة ، وأصله شدة شهوة اللبن ، والُخلَّة : ـ بالضم ـ الصداقة ، و « إلى » بمعنى مع ، وأُبْرِى : مضارع أبرأ إبراء بمعنى شفاه ، وقلب الهمزة ياء لانكسار ما قبلها ، و « أصْفِى مَوَدَّتِى » أجعلها صافية ، وأُمِرُّ من أمَرَّ الشيء : أى صار مرا ، وأُحْلَوْ لِى : أصير حلوا

وقيس بن الخطيم : شاعر جاهلى تقدمت ترجمته فى الشاهد الخامس بعد الخمسمائة من شرح شواهد شرح الكافية

***

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون ، وهو من شواهد سيبويه [من الكامل] :

وَلاَ تُبَادِرُ فِى الشِّتَاءِ وَلِيدَنَا ... أَلْقِدْرَ تُنْزِلُهَا بِغَيْرِ جِعَالِ

على أن قطع ألف « ألقدر » لضرورة الشعر

قال سيبويه : وتذهب ألف الوصل إذا كان قبلها كلام ، إلا أن تقطع كلامك ، وتستأنف به ، كما قالت الشعراء فى الأنصاف ؛ لأنها مواضع فصول ، فإنما ابتدأوا بعد قطع ، قال الشاعر :

* وَلاَ تُبَادِرِ فِى الشِّتَاءِ * البيت *

وقبل البيت :

يَا كَنَّةً مَا ، كُنْتِ غَيْرَ لَئِيمَةٍ ... لِلضَّيْفِ مِثْلَ الرَّوْضَةِ الْمِحْلاَلِ (كلمة الشاهد)

مَا إِنْ تُبَيِّتُنَا بِصَوْتٍ صُلَّبٍ ... فَيَبِيتُ مِنْهُ الْقَوْمُ فِى بَلْبَالِ

وَلاَ تُبَادِرُ فِى الشِّتَاءِ وَلِيدَنَا ... البيت

والكنة — بفتح الكاف وتشديد النون — امرأة الابن ، وما : زائدة أو إبهامية ، قال الزمخشري في تفسير (مَثَلاً مَا بَعُوضَةً) : ما إبهامية ، وهي التي إذا اقترنت بنكرة زاد إبهامها وشياعها ، كقولك : أعطني كتاباً ما ، تريد أي كتاب كان ، أو صلة للتأكيد ، كالتي في قوله تعالى (فَبِمَا نَقْضِهِمْ) انتهى . والإبهامية تؤكد ما أفاده تنكير الاسم قبلها : إما فخامة : أيْ كنة أيّ كنة ، أو حقارة نحو أعطه شيئًا ما ، أو نوعية نحو اضربه ضرباً مّا ، ويجوز أن تكون استفهامية خبرا لكُنْتُ : أي أيّ شيء كُنْتِ ، ويكون « غَيْرَ اثيمة » صفة لكنّة ، والروضة المحلال : التي تحمل المارّ بها على الحلول حولها للنظر إلى حسنها وبهجتها ، والصوت الصُّلَّب : الشديد ، بضم الصاد وتشديد اللام ، والبَلْبَال : الغم والحزن ، وتبادر : من « بَادَرَه » أي سبقه ، وفاعله ضمير الكنة ، و « وليدنا » مفعوله ، والمراد بالشتاء زمن القحط ؛ فإن الشتاء زمن الشدة عند العرب لعدم نبات الأرض ، والوليد : الصبي الصغير ، والخادم أيضاً ، والجِعَال — بكسر الجيم — الخرقة ينزل بها القدر ، يريد أنها لا شَرَهَ لها للطعام ، وهذا أمر ممدوح ، ويجوز في القدر رفعها ونصبها

ونسب ابن عصفور البيت إلى لبيد العامري الصحابي رضي الله تعالى عنه

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والتسعون [من الوافر] :

٩٦ — أَأَلْخَيْرُ الَّذِي أَنَا أَبْتَغِيهِ أَمِ الشَّرُّ الَّذِي هُوَ يَبْتَغِينِي

على أن همزة الوصل في الخير بين بين ، وقبله :

وَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ وَجْهاً أُرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي

قال الفراء عند تفسيرقوله تعالى (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ) قال : أيُّهما[1] وأما ذكر الخير وحده فلأنّ المعنى يُعَرِّف أن المبتغي للخيرمُتَّقٍ للشر ، انتهى

(١) يريد أي الشخصين أقرب إلى الخير : من كان على بينة من ربه ، ومن لم يكن

وسميت : قصدت ، والوجه : الجهة ، والخير والشر — بالرفع — بدل من قوله « أيهما ، ولهذا قرن بحرف الاستفهام

والبيتان آخر قصيدة للمثقّب العبدى ، وقد شرحناهما فى شرح الشاهد التاسع والتسعين بعد الثمانمائة من شرح شواهد شرح الـكافية

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون [من البسيط] :

٩٧ — * أَسْتَحْدَثَ الرَّكْبُ مِنْ أَشْيَاعِهِمْ خَبَرًا *

على أن همزة « أستحدث » للاستفهام ، وهمزة الوصل محذوفة ، ولا لبس لاختلاف حركتيهما ؛ فإن همزة الاستفهام تـكون مفتوحة ، وهمزةالوصل تـكون مكسورة ، فلما فتحت الهمزة من « أستحدث » علم أنها استفهامية لا همزة وصل ، والأصل أإستحدث ، فحذفت همزة الوصل

وهذا المصراع صدر ، وعجزه :

* أَوْ رَاجَعَ الْقَلْبَ مِنْ أَطْرَابِهِ طَرَبُ *

قال الجوهرى : واسْتَحْدَثْتُ خبرا : أى وجدت خبرا جديدا ، وأنشد هذا البيت :

وهو من قصيدة طويلة لذى الرُّمّة مطلعها :

مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ [كَأَنَّهُ مِنْ كُلَى مَفْرِيَّةٍ سَرِبُ]

و بعده أَسْتَحْدَثَ الركب . . . البيت

قال الأصمعى فى شرحه : أستحدث : استفهام ، يقول : بكاؤك وحزنك ألخبر حدث أم راجع قلبك طربٌ ؟ والطرب : استخفاف القلب فى فرَح كان أو فى حزن ، والأشياع : الأصحاب ، والرَّكب والرُّكبان : أصحاب الإبل ، راكب ورَكب مثل صاحب وصحب ، انتهى

قال ابن رشيق فى العمدة : ومن مليح ما رويته فى الموازنة والتعديل قول ذى الرمة :

أستحدث الركب من أشياعهم خبرا   أم راجع القلب من أطرابه طرب

[لأن قوله « أستحدث الركب »] [1] موازن لقوله « أم راجع القلب » . وقوله « عن أشياعهم خبرا » موازن لقوله ، « من أطرابه طرب »

وذو الرمة : شاعر فى الدولة الأموية ، عصرىٌّ الفرزدق وجرير وتقدمت ترجمته فى الشاهد الثامن من أول شرح شواهد الكافية

***

وأنشد بعده [من الرجز]

* فَبَـاتَ مُنْتَصْباً وَمَا تَـكَرْدَساَ *

وتقدم شرحه فى الشاهد التاسع من هذا الكتاب

***

وأنشد هنا الجار بردى ، وهو الشاهد الثامن والتسعون [من البسيط]

٩٨ — وَقُمْتُ لِلزَّوْرِ مُرْتَاعاً وَأَرَّقَنِى
فَقُلْتُ أَهْىَ سَرَتْ أَمْ عَادَنِى حُلُمُ

على أن سكون الهـاء من « أَهْىَ » عارض ، ولهذا لم يؤت بألف الوصل ، والإسكان مع همزة الاستفهام قليل ، وقيل : ضعيف .

والبيت من قصيدة للْمَرَّار العدوى ، وقبله :

زَارَتْ رُوَيْقَةُ شُعْثاً بَعْدَ مَا هَجَعُوا   لَدَى نَوَاحِلَ فِى أَرْسَاغِهَا الْخَدَمُ

يقول : زار خيالُ رويقة قوماً شُعْثاً غُـبْرًا بعد ما ناموا عند إبل ضوامر شدت فى أرساغها سيور القدِّ لشدة سيرها وتأثير الـكلال فيها .

والزَّوْر : مصدر من الزائر المراد به طيفها ، يريد أنى قمت لأجل الطيف

---

(١) سقطت هذه العبارة من أصول الكتاب ، وانظر (العمدة لابن رشيق : ٢ - ١٩ طبع المكتبة التجارية)

منتبهاً مذعوراً للقائه ، وأرقنى لما لم يَحْصُل اجتماع محقق ، ثم ارتبت لعدم الاجتماع : هل كان على التحقيق أو كان ذلك فى المنام ؟ ويجوز أن يريد فقمت للطيف وأنا فى النوم إجلالاً فى حال كونى مذعوراً لاستعظامها ، وأرقنى ذلك لما انتبهت فلم أجد شيئاً محققاً ، ثم من فرط صبابته شك أهى فى التحقيق سرت أم كان ذلك حلماً ، على عادتهم فى مبالغاتهم .

وقد تكلمنا عليه وعلى غالب القصيدة وترجمة قائلها فى شرح الشاهد التاسع والسبعين بعد الثلثمائة من شرح شواهد شرح الكافية .

الوقف

أنشد فيه ، وهو الشاهد التاسع والتسعون : [من المتقارب]

٩٩ — * وَآخُذُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ عُصُمْ *

على أن أصله عُصُما ، ووقف عليه فى لغة ربيعة بالسكون ، فإنهم يجيزون تسكين المنصوب المنون فى الوقف .

وهذا المصراع من قصيدة للأعشى ميمون مدح بها قيس بن معدى كرب ، وقبله : —

وَيَهْمَاءَ تعزِفُ جِنَّانُهَا ... مَنَاهِلُهَا آجِنَاتٌ سُدُمْ
قَطَعْتُ بِرَسَّامَةٍ جَسْرَةٍ ... عُذَافِرَةٍ كَالْفَنِيقِ الْقَطِمْ
إِلَى الْمَرْءِ قَيْسٍ أُطِيلُ السُّرَى ... وَآخُذُ مِنْ كُلِّ حَىٍّ عُصُمْ

قوله « ويهماء » الواو واو رب ، واليهماء — بفتح المثناة التحتية — : الفلاة التى لا يُهْتَدَى فيها ، وتعزف — بالعين المهملة والزاى المعجمة — أى : تصوتُ ، والجنان — بكسر الجيم — جمع جانّ ، والمنهل : المورد ، والآجن : الماء المتغير المطعم واللون ، والسدُم — بضم السين والدال المهملتين — وهى البئر المدفونة ، وقوله « قطعت » جواب رب المقدرة ، وهو العامل فى محل يهماء النصب ، والرسَّامة :

الناقة التى تؤثر فى الأرض من شدة الوطء ، والجُسْرة — بفتح الجيم — الناقة القوية ، ومثلها العُذافرة ، والفنيق — بفتح الفاء وكسر النون — الفحل المظيم الخلق ، والقطم — بفتح القاف وكسر الطاء — وصف من قطم الفحل بالكسر : أى هاج للضِّراب ، وهو فى هذه الحالة أقوى ما يكون ، وقوله « إلى المرء » أراد المرء المستغرق لخصائص أفراد الرجال ، وقيل : بدل منه أو عطف بيان ، والسرى : السير ، وهذه طريقة المتقدمين فى التخلص إلى المديح ، وهو أنهم يصفون الفَيَافى وقطعها بسير الإبل وذكر ما يقاسون من الشدائد فى الوصول إلى الممدوح ليوجبوا عليه ذمّة ويُجْزِل لهم الصلة والإكرام ، و « آخذ » معطوف على أطيل ، والحى : القبيلة ، والعُصُم : مفعول آخذ ، قال ابن جنى : هو بضمتين جمع عِصَام ، وعصام القربة : وكاؤها وعروتها أيضاً ، يعنى عَهْدًا يبلغ به ، وقال ابن هشام صاحب السيرة النبوية : هو بكسر ففتح جمع عِصْمة ، وهى الحبل والسبب ، وإنما كان يأخذ من كل قبيلة إلى أخرى عهدا لأن له فى كل قبيلة أعداء ممن هجاهم أو ممن يكره ممدوحه فيخشى القتل أو غيره فيأخذ عهداً ليصل بالسلامة إلى ممدوحه .

وقد تكلمنا عليه بأبسط من هذا فى شرح الشاهد الرابع والعشرين بعد الثلاثمائة من شرح شواهد شرح الكافية .

* * *

وأنشد هنا قول الشاطبى رحمه الله ، وبه تُوفّى المائة .

١٠٠ — وَفِى هَاءِ تَأْنِيثٍ وَمِيمِ الجَمِيعِ قُلْ
وَعَارِضِ شَكْلٍ لَمْ يَكُونَا لِيَدْخُلاَ

وَفِى الْهَاءِ لِلإِضْمَارِ قَوْمٌ أَبَوْهُمَا وَمِنْ قَبْلِهِ ضَمٌّ أَوِ الْكَسْرُ مُثِّلاَ
أَوِ أُمَّاهُمَا وَاوٌ وَيَاءٌ ، وَبَعْضُهُمْ يُرَى لَهُمَا فِى كُلِّ حَالٍ مُحَلِّلاَ

على أن ابن الحاجب ظن أن الشاطبى أراد بقوله « وبعضهم يرى لهما فى كل حال

محللا » كلّ حال من أحوال هاء التأنيث وميم الجمع وعارض الشكل وهاء المذكر ، كما وهم بعض شراح كلامه أيضا ، فأجاز ابن الحاجب بناء على هذا الوهم الرَّوْمَ والإشمام في الأربعة ، وإنما معنى قول « الشاطبي في كل حال » من أحوال هاء الضمير فقط .

أقول : شرح الجعبرى كما ذكره الشارح ، ثم نقل أن بعضهم جعله عاما في هذه الثلاثة وغيرها ، قال : وتوهم بعضهم في كل حال من أحوال الحرف الموقوف عليه ، ومنها النصب ، وهذا صرف للكلام إلى غير ما فرض ، وغلط في النقل ، انتهى .

وكذا شرح أبو شامة ، على ما ذكره الشارح المحقق ، وكذا شرح السمين ، لكنه عمم في آخر كلامه ، وهذه عبارته : قوله « وبعضهم يرى لهما في كل حال محللا » إشارة إلى أن بعض أهل الآراء حلل الروم والإشمام : أي جوزهما ؛ في هاء الإضمار في كل حال ، حتى في الحال التي منع فيها ، وهي ما إذا كانت الهاء مضمومة بعد ضمة أو واو مكسورة بعد كسرة أو ياء ؛ فيروم ويشم نحو (يعلمه) و (بمزحزحه) و (عقلوه) و (لأبيه) ، وممن ذهب إلى جواز الروم والإشمام مطلقا أبو جعفر النحاس ، وليس هو مذهب القراء .

وقد تحصل مما تقدم أن الأمر دائر في الرَّوْم والإشمام بين ثلاثة أشياء : استثناء هاء التأنيث وميم الجمع والحركة العارضة ، وهذا أشهر المذاهب ، الثاني استثناء هذه الثلاثة مع هاء الكناية بالشرط المتقدم عند بعض أهل الآراء ، الثالث عدم استثناء شيء من ذلك ، وهو الذي عبر عنه بقوله « وبعضهم يرى لهما في كل حال محللا » انتهى كلامه .

فقوله « وهذا أشهر المذاهب » يؤكد [(١)] ما حكاه ابن الحاجب من جوازهما في الثلاثة أيضاً ، وقول الشارح المحقق « لم أر أحداً من القراء ولا من النحاة ذكر أنهما يجوزان في أحد الثلاثة » وهمٌ ؛ فإن بعض القراء صرح بجوازهما في ميم

---

(١) في نسخة « يؤيد »

الجمع ، قال أبو شامة والسمين : وما ذكره الناظم من منع الرَّوْم والإشمام فى ميم الجمع هو المشهور ، وهو اختيار أبى عمرو الدانى وغيره ، وخالف فى ذلك مكى فجوزهما فيها ، قال [مكى] : ميم الجمع أغفل القراء الكلام عليها ، والذى يجب فيها على قياس شرطهم أن يجوز فيها الروم والإشمام ؛ لأنهم يقولون : لا فرق بين حركة الإعراب وحركة البناء فى جواز الروم والإشمام ، فالذى يُشِمُّ ويروم حركةَ النصِّ غير مفارق له ، والذى لا يروم حركةَ الميم خارجٌ عن النص بغير رواية ، اللهم إلا أن يوجد الاستثناء فيها منصوصاً ، فيجب الرجوع إليه إذا صح ، وليس ذلك بموجود ؛ ومما يقوى جواز ذلك فيها نَصُّهُم على هاء الكناية بالرَّوْم والإشمام ؛ فهى مثل الهاء لأنها توصل بحرف بعدها حركة ، كما توصل الهاء ، وتحذف ذلك الحرف فى الوقف كما تحذف مع الهاء ، فهى مثلها فى هذا ، غير أن الهاء أخفى منها ، فلذلك امتنعت الهاء من الرَّوْم والإشمام إذا كانت حركتها مثل حركة ما قبلها أو كان قبلها ساكن من جنس حركتها ، وهذا لا يكون فى الميم ؛ لأنها ليست بالخفية ، ولو كانت فى هذا مثل الهاء لم يجز الاشمام فى يقوم ويحكم ، وليس فى جوازه اختلاف ، وليس قول من يمنع ذلك لأن الميم من الشفتين بشىء ؛ لإجماع الجميع على الروم والإشمام فى الميم التى فى أواخر الأفعال والأسماء التى ليست للجمع ، ولو تم له منع الإشمام فيها لم يتم له منع الروم ، إلى آخر ما فصله .

قال السمين : فمكى جوز ذلك فيها لثلاثة أوجه : أحدها الدخول فى عموم نص القراء على جوازها فى المتحرك ، ولم يستثنوا من ذلك ميم الجمع ، فالمتمسك بذلك فيها غير خارج عن النص ولا مفارق له ؛ الثانى القياس على هاء الإضمار ، بل جعل الميم أولى بذلك لعدم خفائها ؛ الثالث إفساد علة من عَلَّلَ منعهما فيها بأنها من حروف الشفتين ، وقد أغلظ الدانى فى الرد على مكى ، وفرق بين ميم

الجمع وهاء الكناية ، ورُدَّ على الدانى فى ذلك كما فصله السمين

وقول الشاطبى: « وفى هاء تأنيثٍ » قال أبو شامة : هذا شروع فيما يمتنع فيه الروم والإشمام على رأى القراء ، والألف فى « يكونا » و « ليدخلا » يرجع إلى الروم والإشمام ، أى : لم يقعا فى هـذه المواضع الثلاثة حيث كانت ، انتهى ؛ ومفهومه أنهما يجوزان فى الثلاثة عند غير القراء

وقوله « وعارض شكل » قال السمين : أى عارض الحركة ، وذلك على قسمين : الأول ما عرض تحريكه لالتقاء الساكنين ، نحو : (ومن يُشَاقِّ الله) (وإن امرؤ) و (قالت اخرج) و (قل الله) والثانى ماعرض تحريكه بالنقل ، نحو : (من استبرق) و (من أجل ذلك) و (قد أفلح) وكلا القسمين ممتنع فيه الروم والإشمام ، ثم قال : واعلم أنهما يمتنعان فى حركة التقاء الساكنين ، إذا كان الساكنان من كلمتين ، نحو (ومن يشاق الله) و (عَصَوُا الرسول) أو من كلمة واحدة وأحدهما التنوين ، نحو يومئذ وحينئذ ، أما إذا كان الساكنان فى كلمة واحدة وليس أحدهما تنويناً فإن الرَّوْم والإشمام جائزان فى تلك الحركة وإن كانت حركة التقاء الساكنين ؛ لوجود علة الحركة وصلا ووقفاً ، وذلك نحو (وَمَنْ يُشَاقِّ الله) فالروم فيه غير ممتنع ؛ لأن الساكن الذى وجدت الحركة من أجله موجود فى الوصل والوقف ، بخلاف ما مر ؛ فإن الساكن الذى وجدت الحركة من أجله معدوم فى الوقف حيث كان بعضه من كلمة أخرى ، وفى بعضه تنويناً ، وبهذا يعلم أن إطلاق من أطلق منع دخول الروم والإشمام فى حركة التقاء الساكنين ليس بجيد ، انتهى

وهذا أيضا يرد على الشارح فى قوله « لم أر أحدا من القراء أجازهما فى أحد الثلاثة المذكورة »

وقول الشاطبى « وفى الهاء للاضمار » إلى آخر البيتين ، قال السمين : أخبر

عن قوم من أهل القرآن أنهم أَبَوْا أى امتنعوا من الرَّوْم والإشمام فى هاء الضمير بشرط أن يكون قبلها ضمة أو كسرة أو واو أو ياء ساكنة ، وذلك نحو (يعلمه) و (بمزحزه) و (عقلوه) و (ولأبيه) فكل هذه الأمثلة الأربعة وما أشبهها لا يدخل فيها روم ولا إشمام .

وقوله «وفى الهاء» الظاهر أنه متعلق بمقدر : أى أعنى فى الهاء ، ولا يجوز تعلقه بقوله « أبوها » لأن القاعدة تمنع من تقديم المعمول حيث لا يتقدم العامل عندهم ، و « أبوها » لا يجوز تقديمه على « قوم » ؛ لأنه صفة له أو خبر ، وعلى كلا التقديرين تقديمه ممتنع ؛ لأن الصفة لا تتقدم على موصوفها والخبر الفعلى لا يتقدم على مبتدئه[1]

وقوله «للاضمار» حال من الهاء أى كائنة للاضمار ، وقوله «قوم» مبتدأ ، وفى خبره قولان : أحدها أنه محذوف تقديره ومن القراء قوم ، و « أبوها » على هذا فى موضع النعت للمبتدأ ، والثانى أنه قوله « أبوها » وحينئذ يقال : ما المسوغ للابتداء بقوم ، وهو نكرة ؟ والجواب أن المسوغ له العطف ، وهو معدود من المسوغات ؛ والإباء : الامتناع ، وقوله « ومن قبله ضم » مبتدأ مؤخر قدم خبره عليه ، والهاء فى « قبله » فيها وجهان ذكرهما أبو شامة : أحدها أنه تعود على الإضمار ، وهذا وإن كان مساعداً له من حيث اللفظ إلا أنه غير ظاهر من حيث المعنى إذ الإضمار معنى من المعانى ، فلا يتحقق أن يكون قبله ضم ، والثانى أنها تعود على الهاء ، وهذا واضح : أىْ ومن قبل الهاء ضم ، قال أبو شامة : ولو قال قبلها لجاز على هذا ، وكان أحسن

---

(١) هذا الذى ذكره من أن الخبر الفعلى لا يتقدم على المبتدأ ليس على إطلاقه بل هو مخصوص بما إذا كان الفعل مسندا إلى ضمير الواحد نحو قولك « محمد حضر » فأما إذا كان الفعل مسندا إلى ضمير الاثنين نحو « المحمدان حضرا » أو إلى ضمير الجمع نحو « المحمدون حضروا » فانه يجوز التقديم فتقول : حضرا المحمدان ، وحضروا المحمدون .

لأنه أوضح ، والوزن مُواتٍ له ، والجملة من قوله « ومن قبله » ضم فى موضع الحال من الهاء : أى أبوهما فى الهاء للاضمار والحال أن قبلها ضماً أوكسراً ، وقوله «أو الكسر» عطف على «ضم» عطف معرفة على نكرة ، وأو للتنويع ، وقوله «مُثِّلَا» جملة فعلية فى موضع الحال أوفى موضع رفع ؛ فإن كانت حالا ففى صاحبها ثلاثة أوجه : أحدها أنه الكسر ، والثانى أنه الضم ؛ فإن قيل : كيف ساغ مجيئها من نكرة ؟ فجوابه أن سيبويه يرى ذلك ، أو نقول : العطف يسوغه كما سوغ الابتداء ، وقد ذكروا أن كل ما سوغ الابتداء بنكرة سوغ مجىء الحال منها ، والثالث أنه الضمير المستتر فى الخبر ، وهو قوله «ومن قبله» ، وهو فى الحقيقة راجع لأحد القولين المتقدمين ، فإن الضمير المستتر عائد على الضم أو الكسر ، وحيث جعلناه حالا من أحدهما فالحال فى الآخر مرادة ، وإنما استغنى عنها لدلالة المعنى ، ولأن العطف بأو ، وهو يقتضى الإفراد ، وإن كانت فى موضع رفع فهى صفة لقوله ضم ، وحينئذ يكون الحال من قوله «أو الكسر» لدلالة صفة الأول عليها ، فإنه لافرق بين الصفة والحال معنى ، والألف فى « مثلا » الظاهر أنها للاطلاق : لأن العطف بأو ، وجوز أبو شامة أن تكون للتثنية ؛ فتعود على قوله ضم أو الكسر ، ومعنى مُثِّلَ شُخِّصَ من مَثُلَ بين يديه : أى شَخَص ، ومنه قول العلماء : مثل له المسألة : أى شخصها له ، وقوله « أو أُماهما » أو عاطفة على ضم أو كسر ، فالضمير فى « أماهما » للضم والكسر ، ويعنى بأُمَّيْهما الواو والياء ، ولذلك بينهما بقوله « واو وياء » أى : أم الضم الواو وأم الكسر الياء ، فهو من باب اللف والنشر ؛ لأن كل واحد يليق بصاحبه للتجانس المعروف ، ونقل حركة همزة « أما هما » إلى واو « أو » فضمها ، وأسقط همزة «أما هما» على قاعدة النقل ، وأم الشىء : أصله ، وقوله « واو وياء » بدل من أما هما ، وقوله « أو أُماهما » بناء منه على المذهب الصحيح ، وهو أن الحرف أصل الحركة ، والحركة متَوَلِّدَة منه ؛ وقيل بالعكس

وقد سبق الناظم إلى هذه العبارة الحصرى فى قصيدته المشهورة حيث يقول [من الطويل] :

وَأَشْمِمْ وَرُمْ مَا لَمْ تَقِفْ بَعْدَ ضَمَّةٍ   وَلاَ كَسْرَةٍ أَوْ بَعْدَ أُمَّيْهِمَا فَادْرِ

وقوله « و بعضهم » مبتدأ ، والضمير للقراء ، للعلم بهم ، و « يُرَى » مبنى للمفعول ، ومرفوعه ضمير بعضهم ، و«لهما» ، و «فى كل حال» متعلقا منه بمحللا ، ومحللا : مفعول ثان للرؤية ، والمحلل : اسم فاعل من حَلَّلَ الشىء تحليلا : أى جعله حلالا ، ضد حرّمه ، إذا منعه : أى أن بعضهم أباح ذلك فى كل حال

ترجمة الشاطبى

والشاطبى : هو القاسم [1] بن فيرة بن خلف بن أحمد الرُّعَيْنى الشاطبى نسبة إلى شاطبة قرية بجزيرة الأندلس كان إماما فى القرآن والحديث والنحو واللغة فى شدة ذكاء ، وكراماته تلوح منه ، ولد آخر سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، فيكون عمره أقل من اثنتين وخمسين سنة [2] ، وهذه القصيدة فى القراءات السبع سماها حرز الأمانى ووجه التهانى ، ولها شروح تفوت الحصر ، وأجلها هذه الشروح الثلاثة ، وشرح الامام علم الدين السخاوى تلميذ المصنف ، وهو أول من شرحها ، وشرح أبى عبد الله الفاسى ، رحمهم الله تعالى ونفعنا بعلومهم

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الواحد بعد المائة [من الرجز]

١٠١ — * بَلْ جَوْزِ تَيْهَاءَ كَظَهْرِ الْحَجَفَتْ *

---

(١) فى الأصول « هو أبو القاسم » وليس صحيحا ، والتصويب عن بغية الوعاة للسيوطى

(٢) هذا التفريع غير ظاهر ، لأنه إنما يتم بعد ذكر سنة وفاته ، وجميع أصول الكتاب خالية من ذلك ، وقد توفى القاسم بن فيرة الشاطبى فى جمادى الأولى من عام ٥٩٠ تسعين وخمسمائة من الهجرة ، وانظر ترجمته فى البغية (٣٧٩)

على أنه يجوز الرّوم والإشمام عند من يقف بالتاء ، فيجوز فى « الحجفت » الروم دون الاشمام

قال السمين فى شرح الشاطبية : وفى قول الناظم رحمه الله تعالى « وفى هاء تأنيث » شبهة على أنه لو لم تبدل التاء هاء فى الوقف ، وذلك كما رسمت بعض التاءات بالتاء دون الهاء ، نحو (جَنَّتُ نَعِيمٍ) و (رحْمَتُ رَبِّك) و (بقِيَّتُ الله) فإن الروم والإشمام بعد خلاف تلك التاء لانتفاء العلتين المانعتين من روم الهاء وإشمامها ، أعنى كون الحركة فيها نفسها وكونها غير مشبهة ألف التأنيث ، وقد نص مكى على ذلك ، فقال : لم يختلف القراء فى هاء التأنيث أنهم يقفون عليها بالاسكان ، ولا يجوز الروم والاشمام فيها ؛ لأن الوقف على حرف لم يكن عليه إعراب إنما هو بدل من الحرف الذى كان عليه الاعراب ، إلا أن تقف على شىء منها بالتاء إتباعاً لخط المصحف ؛ فإنك تروم وتشم إذا شئت ، لأنك تقف على الحرف الذى كانت الحركة لازمة له فيحسن الروم والاشمام ، انتهى

وقال ابن جنى فى سر الصناعة : من العرب من يُجْرِى الوقف مجرى الوصل فيقول فى الوقف : هٰذَا طلحت ، وعليه السلام والرحمت ، وأنشدنا أبو على :

* بَلْ جَوْزِتَيْهَاءَ كَظَهْرِ الْحَجَفَتْ *

انتهى

وقال الصاغانى فى العباب : ومن العرب من إذا سكت على الهاء جعلها تاء ، وهو طيىء ، فقال : هذا طلحت ، وخبز الذُّرَتْ

وقال ابن المستوفى أيضاً : وجدت فى كتاب أنها لغة طيىء

وقوله « بل جوزتَيْهاَء » قال الصاغانى فى « بل » : ربما وضعوا بل موضع رب ، قال سؤر الذئب

* بَلْ جَوْزِتَيْهَاءَ كَظَهْرِ الْحَجَفَتْ *

أى : رب جوزتيهاء ، كما يوضع الحرف موضع غيره ، والجوز — بفتح الجيم وآخره زاى معجمة — الوسط ، وجوز كل شىء : وسطه ، والجمع أجواز ، والتيهاء — بفتح المثناة الفوقية — المفازة التى يتيه فيها سالكها : أى يتحير ، والحجفة — بفتح الحاء المهملة والجيم والفاء — الترس ، قال عبد القاهر : يقولون تيهاء كظهر المجنّ ، يريدون الملاسة ، وقال ابن المستوفى : شبه التيهاء بظهر المجن فى الملاسة ، والشىء قد يشبه بالشىء ويراد منهما معنى فيهما ، « كظهر الحجفت » إنما أراد أن التيهاء ملساء لاأعلام فيها كظهر الحجفة ملاسةً ، ولم يرد أنها مثله فى المقدار ، انتهى

وذكر الوسط ليدل على أنه توَسّط المفازة ليصف نفسه بالقوة والجلادة ، قال صاحب العباب : يقال للترس إذا كان من جلود ليس فيه خشب ولا عَقَب : حَجَفَة ، ودَرَقة ، وأنشد البيت لسُؤر الذئب ، وكذا قال الجوهرى ، وقال : قال الراجز :

مَا بَالُ عَيْنِى عَنْ كَرَاهَا قَدْ جَفَتْ   مُسْبِلَةً تَسْتَنُّ لَمَّا عَرَفَتْ
دَارًا لِلَيْلَى بَعْدَ حَوْلٍ قَدْ عَفَتْ   بَلْ جَوْزِتَيْهَاءَ كَظَهْرِ الْحَجَفَتْ

انتهى .

قال ابن برى فى أماليه على الصحاح : هذا الرجز لسؤر الذئب ، وصواب إنشاده :

مَا بَالُ عَيْنِى عَنْ كَرَاهَا قَدْ جَفَتْ   وَشَفَّهَا مِنْ حُزْنِهَا مَا كُلِفَتْ
كَأَنَّ عُوَّارًا بِهَا أَوْ طُرِفَتْ   مُسْبِلَةً تَسْتَنُّ لَمَّا عَرَفَتْ
دَارًا لِلَيْلَى بَعْدَ حَوْلٍ قَدْ عَفَتْ   كَأَنَّهَا مَهَارِقٌ قَدْ زُخْرِفَتْ
تَسْمَعُ لِلْحَلْىِ إِذَا مَا انْصَرَفَتْ   كَزَجَلِ الرِّيحِ إِذَا مَا زَفْزَفَتْ

مَا ضَرَّهَا أَمْ مَا عَلَيْهَا لَوْ شَفَتْ مُتَيَّماً بِنَظْرَةٍ وَأَسْعَفَتْ (١)
بَلْ جَوْزِ تَيْهَاءَ كَظَهْرِ الْحَجَفَتْ قَطَعْتُهَا إِذَا الْمَهَا تَجَوَّفَتْ
مَآرِقًا إِلَى ذُرَاهَا أَهْدَفَتْ (٢)

انتهى ما أورده

وقوله «مابال عيني» ما استفهامية مبتدأ ، و بال : خبره ، والبال : الشأن والحال ، وعن : متعلقة بجفت ، والكرى : النوم ، قال الخوارزمى : جفت أى انقطعت عن كراها ، انتهى . وهو بالجيم ، وهو من جفا الشيء عن كذا وتجافى عنه : أى نبا عنه وتباعد ، وجملة « قد جفت » حال من العين ، و « شفها » من شفه الهم يشفه : أى هزله وأنحله ، و« كُلِفت » بالبناء المفعول ، والعُوّار — بضم العين وتشديد الواو ، وهو ما يسقط فى العين فتدمع ، يقال : بعينه عُوّار : أى قذى ، ومثله العائر ، « وطُرِفت » بالبناء للمفعول ، من طَرَفْتُ عينه طَرْفاً — من باب ضرب — إذا أصبتها بشيء ، فدمعت . فهي مطروفة ، ومسبلة : أى تصب دمعها ، من أسبلت الماء : أى صببته ، وتَسْتَنّ : تجرى بدمعها ، من سَنَنْتُ الماء ، إذا أرسلته إرسالا من غير تفريق ، وقوله « دارا لليلى » مفعول عرفت ، وعفت : ذهبت آثارها وامحت معالمها ، وقوله « كأنها » أى كأن ليلى ،

---

(١) فى اللسان (ح ج ف) زيادة بيت بعد هذا البيت ، وهو
* قَدْ تَبَلَتْ فُؤَادَهُ وَشَغَفَتْ *

(٢) فى اللسان (ح ج ف - أرن) « مآرنا إلى ذراها - الخ » والمآرن : جمع إران على غير لفظه كمحاسن ومشابه ، أوجمع مئران ، وهو كناس الوحش ، وأصله على هذا الوجه مآرين ، كما قال جرير :

قَدْ بُدِّلَتْ سَاكِنَ الآرَامِ بَعْدَهُمُ وَالْبَاقِرِ الْخُنْسَ يَبْحَثْنَ الْمَآرِينَا

لحذف الياء كما حذفت فى قوله تعالى : (وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو) وكما قال الراجز وجمع عوارا :

* وَكَحَّلَ الْعَيْنَيْنِ بِالْعَوَاوِرِ *

والمهارق : جمع مُهْرَق ، وهى الصحيفة البيضاء يكتب [1] فيها ، شبهها بالكاغد لصقالته و بياضه ونعومته ، وزُخرفت : زينت بالذهب ، والزخرف : الذهب ، والحَلْي ـ بفتح فسكون ـ ما تتزين به المرأة كالخَلْخَال والسوّار ، وانصرفت : ذهبت فمشت ، وزَجلُ الريح : صوتها ، وهو بفتح الزاى والجيم ، وزفزفت ـ بزاءين معجمتين وفاءين — أى هبت بشدة ، وقوله « قَطَعْتُهَا » هو جواب رُبَّ المقدرة بعد بل ، والمها — بالفتح — : جمع مهاة ، وهى البقرة الوحشية ، والمآزق : جمع مَأزِق ، وهو المضيق ، وذَرَاها — بفتح الذال — أى : ناحيتها ، وأهدفت : قربت ، قال شمر : الإهداف الدنو من الشىء والاستقبال له

***

وأنشد الجاربردى بعد هــــذا البيت ، وهو الشاهد الثانى بعد المائة [من الرجز]

١٠٢ — * بَلْ مَهْمَهٍ قَطَعْتُ بَعْدَ مَهْمَهِ *

على أن رُبَّ بعد بل مقدرة ، والجر بها

والمهمه : المفازة البعيدة الأطراف ، ومفعول « قطعت » محذوف ، وهو ضمير المهمه : أى قطعتها وتجاوزتها

وهذا البيت نُسِبَ إلى رؤبة ، ورجعت إلى ديوانه فلم أجده فيه ، ونسب إلى والده العجاج ، قال العينى : لم أجده فى ديوانه ، والله تعالى أعلم

***

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد المائة [من الرجز] :

١٠٣ — وَرُبَّ ضَيْفٍ طَرَقَ الْحَىَّ سُرَى

صَادَفَ زَادًا وَحَدِيثـــاً مَا اشْتَهَى

---

(١) هو فارسى معرب ، وزنته كزنة اسم المفعول من الرباعى ، قال حسان :

كَمْ لِلْمَنَازِلِ مِنْ شَهْرٍ وَأَحْوَالِ ۔ لِآلِ أَسْمَاءَ مِثْلَ الْمُهْرَقِ الْبَالِى

* إنَّ الحَدِيثَ جَانِبٌ مِنَ القِرَى *

على أن السيرافى أستدلّ على كون الألف لام الكلمة فى الأحوال أنها جاءت رَوِيًّا فى النصب ، فألف « سرى » لام الكلمة ، لا أنها بدل من نون التنوين للوقف ، إذ لا يجوز أن تكون رويا مع الألف الأصلية كألف « اشتهى » و« القرى »

وبما حقق الشارح المحقق من مذهب سيبويه يُرَدُّ على ابن هشام اللخمى فى شرح المقصورة الدريدية عند قوله [من الرجز]

فَاسْتَنْزَلَ الزَّبَّاءَ قَسْرًا وَهْيَ مِنْ عُقَابِ لُوحِ الجَوِّ أَعْلَى مُنْتَمَى (١)

قال فى شرحه : قوله « منتمى » قد غلط فيه ؛ لأن العرب لا تقف بالتنوين ، ومنتمى هنا منصوب على التمييز ، والوقف فيه عند سيبويه على الألف المبدلة من التنوين ، هذا كلامه .

مذاهب العلماء فى المقصور المنون عند الوقف

وقال أبو حيان فى الارتشاف : « والمقصور المنون يوقف عليه بالألف ، وفيه مذاهب : أحدها أن الألف بدل من التنوين ، واستصحب حذف الألف المنقلبة ، وصلا ووقفا ، وهو مذهب أبى الحسن والفراء والمازنى وأبى على فى التذكرة ، والثانى أنها الألف المنقلبة ، لما حذف التنوين عادت مطلقا ، وهو مروى عن أبى عمرو والكسائى والكوفيين وسيبويه والخليل فيما قال أبو جعفر الباذش ؛ والثالث اعتباره بالصحيح ، فالألف فى النصب بدل من التنوين ، وفى الرفع والجر هى بدل من لام الفعل ، وذهب إليه أبو على فى أحد قوليه ، ونسبه أكثر الناس إلى سيبويه ومعظم النحويين ، انتهى .

وهذا من رجز أورده أبو تمام فى باب الأضياف والمديح من الحماسة ، قال : وقال الشماخ فى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب أخى أسد الله على كرم الله وجههما .

---

(١) لوح الجو — بضم اللام — أعلاه

إنَّكَ يا ابْنَ جَعْفَرٍ خَيْرُ فَتًى ... وَنِعْمَ مَأْوَى طَارِقٍ إذَا أَتَى
وَرُبَّ ضَيْفٍ طَرَقَ الحَىَّ سُرًى ... صَادَفَ زَادًا وَحَدِيثًا ما اشْتَهَى
إنَّ الحَدِيثَ طَرَفٌ مِنَ القِرَى ... ثُمَّ اللِّحَافُ بَعْدَ ذَاكَ فِى الذُّرَى

انتهى .

الشماخ وعرابة الأوسى

وفى الأغانى أن الشماخ خرج يوما يريد المدينة ، فلقيه عَرَابة بن أوس ، وكان سيداً من سادات قومه ، وجوادا ، فسأله عما أقدمه المدينة ، فقال : أردت أن أمتار لأهلى ، وكان معه بعيران ، فأوقرهما له برا وتمرا ، وكساه وبَرَّهُ وأكرمه ، فخرج عن المدينة وامتدحه بقصيدته التى يقول فيها [من الوافر]

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الأَوْسِيَّ يَسْمُو ... إلى الخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ القَرِينِ
إذَا مَا رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ ... تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِاليَمِينِ

ولما سمع ابن دَأْبٍ كلام الشماخ فى عبد الله بن عبد جعفر بن أبى طالب * إنَّكَ ياابن جعفر نعم الفتى * إلى آخر الأبيات ؛ قال : العجب للشماخ ، يقول هذا فى عبد الله بن جعفر ، ويقول فى عرابة بن أوس :

إذَا مَا رَايَةٌ رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

ابن جعفر كان أحق بهذا من عرابة ، انتهى .

قال عبد اللطيف البغدادى فى شرح نقد الشعر لقدامة قول الشماخ :

* رأيت عَرَابَةَ الأوسىّ * البيت ــ معناه علمته كذا وصح عندى ذلك منه ، ويجوز أن يكون هنا بمعنى أبصرته ، وهو الأمثل عندى ، ويكون « يسمو » حالا ، وذلك أن المشاهدة أدل شىء على صحة الأمر ، فلا دليل أقوى منها ، والخيرات هى : الأفعال المعتدلة المتوسطة بين طرفين هما شر ، فكأنه قال : شاهدت منه أفعال الخير والفضائل ، وقوله « إذا ماراية رفعت لمجد » هذا استعارة : أى إذا حدث أمر يقتضى فعل مكرمة ويفتقر فيه أن يضطلع به ربُّ فضيلة وشرف تلقّاها

عرابة باليمين : أى بقوة و بطش واجتهاد وانشراح صدر ، وفى قوله « تلقاها » مايشعر بهذا المعنى أشدّ ممن قوله أخذها ، وهذا البيت دل به على الأخلاق العتيدة والفضائل النفسية ، وأماالبيت الأول فدل به على الأفعال الحميدةوالخيرات المشاهدة ، فصار البيت الأول توطئة للثانى ، وكالدال عليه والمثبت له ؛ فإن الأفعال المشاهدة سابقة فى الإحساس لما فى النفس ودالة عليه ؛ فتلمح ذلك وأُعجب لشرف طباع هؤلاء كيف تسمو بهم جَوْدَةُ القريحة وصحة الفكرة والروية إلى مثل هذا ، انتهى كلامه .

ومثله للمبرد فى الكامل قال : قوله «تلقاها عرابة باليمين» قال أُصحاب المعانى معناه بالقوة ، وقالوا مثل ذلك فى قوله تعالى (والسموات مطويات بيمينه) وقال معاوية لعَرَابَة بن أوس الأنصارى : بم سُدْت قومك ؟ قال : لست بسيدهم ، ولكنى رجل منهم ، فعزم عليه ، فقال : أعطيت فى نائبتهم ، وحملت عن سفيههم وشَدَدْتُ على يَدَى حليمهم ، فمن فعل منهم مثل فعلى فهو مثلى ، ومن قَصَّر عنه فأنا أفضل منه ، ومن تجاوزنى فهو أفضل منى ، وكان سبب ارتفاع عرابة أنه قدم من سفر فجمعه الطريق والشماخ بن الضرار المُرِّىّ فتحادثا ، فقال له عَرَابَةَ : ما الذى أقدمك المدينة ؟ قال : قدمت لأمتار منها ، فملأ له عرابة رواحله برا و تمرا وأتحفه بغير ذلك ، فقال الشماخ * رأيتُ عَرَابة الأوسى يسمو * إلى آخر الأبيات انتهى .

سؤدد عرابة الأوسى

وأما عبد الله بن جعفر الطيار بن أبى طالب فقد قال ابن عبد ربه[1] فى العقد الفريد : أجواد أهل الاسلام أحد عشر رجلا فى عصر واحد لم يكن قبلهم ولا بعدهم مثلهم ؛ فأجواد أهل الحجاز ثلاثة فى عصر واحد : عبيد الله بن العباس ، و عبد الله بن جعفر ، وسعيد بن العاص ، إلى أن قال : ومن جود عبد الله بن جعفر أن عبد الرحمن بن

عبد الله بن جعفر الطيار

(١) انظر العقد الفريد لابن عبد ربه (١ : ١١٢)

عمار [1] دخل على نَخّاس يعرض قِيَاناً له ، فعلق واحدة منهن ، فشهر بذكرها حتى مشي إليه عطاء وطاووس ومجاهد يَعْذِلونه ، فكان جوابه [من البسيط]

يَلُومُنِي فِيكِ أَقْوَامٌ أجَالِسُهُمْ فَمَا أبَالِي أَطَارَ اللَّوْمُ أَمْ وَقَعَا

فانتهى خبره إلى عبد الله بن جعفر ، فلم يكن له همٌّ غيره ، فحج فبعث إلى مَوْلى الجارية ، فاشتراها منه بأربعين ألف درهم ، وأمر قيمة جواريه أن تزينها وتحليها ففعلت ، وبلغ الناس قدومه فدخلوا عليه ، فقال : مالى لاأرى ابن عمار [1] زارنا ؟ فأخبر الشيخ ، فأتاه مسلما ، فلما أراد أن ينهض استجلسه ، ثم قال : مافعل حب فلانة ؟ قال : فى اللحم والدم والمخ والعصب ! قال : أتعرفها لورأيتها ؟ قال [2] نعم ، فأمرها عبد الله أن تخرج إليه ، وقال له : إنما اشتريتها لك ، ووالله مادنوت منها ، فشأنك بها مباركا لك فيها ، فلما ولى قال : ياغلام ، احمل معه مائة ألف درهم ينعم بها معها ، فبكى عبد الرحمن وقال : ياأهل البيت ، لقد خصكم الله بشرف ماخص به أحداً قبلكم من صُلْب آدم ، فهنيئاً لكم هذه النعمة وبورك لكم فيها ؛ ومن جوده أيضاً أنه أعطى امرأة سألته مالا عظيما ، فقيل له : إنها لا تعرفك ، وكان يرضيها اليسير ، قال : إن كان يرضيها اليسير فإنى لا أرضى إلا بالكثير ، وإن كانت لاتعرفنى فأنا أعرف نفسى ، هذا ما أورده ابن عبد ربه .

وزعم الخطيب التبريزى فى شرح الحماسة ، وتبعه العينى ، أن المخاطب بقوله * إنك ياابن جعفر * إلى آخر الشعر ، هو عبد الله بن جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه ، وهذا لايصح ؛ فإن الشماخ صحابى وجعفر كان فى زمن هارون الرشيد ، والصواب أيضا أن يقول : جعفر الصادق بن محمد الباقر .

وقوله « خير فتى » أى الجامع لخصال المروءة ، وقوله « ونعم مأوى طارق »

---

(١) فى العقد « بن أبى عمار »

(٢) فى العقد « لو أدخلت الجنة لم أنكرها »

الطارق : الذى يأتى ليلا ، والمَأْوَى : اسم مكان من أوى إلى منزله يأوى ، من باب ضرب ، أو يًّا : أى أقام ، وهو فاعل « نِعْمَ » ؛ وجاء الفاعل هنا منكرا على قلة ، والكثير الغالب تعريفه باللام ، حكى الأخفش أن ناسا من العرب يرفعون بنعم النكرة مفردة ومضافة ، نحو نعم امرؤ زيد ، ونعم صاحبُ قوم عمرو ، وقد روى أيضاً :

إنَّكَ يا ٱبْنَ جَعْفَرٍ نِعْمَ الفَتَى   وَخَيْرُهُمْ لِطارِقٍ إذَا أَتَى

وقوله « طرق الحى سرى » الطرُوق : الإتيان ليلا ، والحى : القبيلة ، والسُّرَى : جمع سُرْيَة [1] بضم السين وفتحها ، يقال : سَرَيْنَا سَرْيَة من الليل بالضم والفتح ، قال أبو زيد : ويكون السُّرَى أولَ الليل وأوسطه وآخره ، وهو فى البيت على حذف : أى طروق سُرًى ، وقال الخطيب التبريزى ، وتبعه العينى : سُرًى أى ليلا ، لأن السرى لا يكون إلا ليلا ، وقوله « صادف » جواب رب ، وما : مصدرية ظرفية ، والقِرى : الضيافة ، والذرى — بالفتح : الكَنَفُ والناحية .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه [من الرمل] :

١٠٤ — وَقَبِيلٌ مِنْ لُكَيْزٍ شَاهِدٌ
رَهْطُ مَرْجُومٍ وَرَهْطُ ابْنِ الْمُعَلْ

على أنه قد يحذف الألف المقصورة فى ضرورة الشعر ، كما حذف الألف هنا من « الْمُعَلْ »

(١) الذى فى اللسان والقاموس أن السرى بمعنى السرية - بضم السين أو فتحها - والذى نراه أن سرى فى هذا البيت منصوب على أنه مفعول مطلق أو على أنه ظرف مثل قولك : أزورك قدوم الحواج

قال سيبويه لا يقولون فى جَمَل جَمْل ، أى بسكون الميم ؛ لأن الفتحة أخف عليهم والألفَ ، فمن ثمة لم تحذف الألف ، إن لم يضطر شاعر فيشبهها بالياء ، لأنها أختها ، وهى قد تذهب مع التنوين ، قال لبيد رضى الله عنه حيث اضطر :

وَقَبِيلٌ مِنْ لُكَيْزٍ شَاهِدٌ رَهْطُ مَرْجُومٍ وَرَهْطُ ابنِ الْمُعَلْ

قال الأعلم : الشاهد فيه حذف ألف الْمُعَلَّى فى الوقف ضرورة ، تشبيها بما يحذف من الياءات فى الأسماء المنقوصة ، نحو قاضٍ وغازٍ ، وهذا من أقبح الضرورة ، لأن الألف لا تستثقل كاستثقال الياء والواو ، وكذلك الفتحة ، لأنها من الألف ، انتهى .

وقال أبو على فى المسائل العسكرية : ومما حذف فى الضرورة مما لا يستحسن حذفه فى حال السعة الألف [1] من « الْمُعَلّ » فى القافية تشبيها بالياء فى قوله :

* وَبَعْضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لاَ يَفْرْ *

فكما حذفت الياء فى القوافى والفواصل كذلك حذف منه الألف ولم يكن [ليحذف [2]] لأن من يقول : (ما كنا نَبْغْ) يقول : (والليل إذا يَغْشَى) فلا يحذف ، كما أن الذين يقولون : « هذا عَمْرْو » يقولون : رأيت عَمْرًا ، إلا أن « المعلَّى » فى الضرورة لا يمتنع ؛ للتشبيه ، ويؤكد ذلك أن أبا الحسن قد أنشد [من الوافر] :

فَلَسْتُ بِمُدْرِكٍ مَا فَاتَ مِنِّى بِلَهْفَ وَلاَ بِلَيْتَ وَلاَ لَوَ انِّى

فقال « ليت » وهو يريد ليتنى ، فحذف النون مع الضمير للضرورة ، ثم

---

(١) فى الأصول « حذف الألف » وله وجه بعيد

(٢) زيادة لابد منها

أبدل من الياء الألف ، ثم حذف ؛ وقد يمكن أن يكون « يا ابْنَ أم » على هذا كأنه محذوف منه مثل قول من قال [من الرجز] :

* يا ابْنَةَ عَمَّا لاَ تَلُومِى وَاهْجَعِى *

فأبدل ثم حذف ، وعلى هـذا تأول أبو عثمان قول من قرأ : « يَا أَبَتَ لِمَ تَعْبُدُ » انتهى

أقول : ألف « يا ابن أم » وألف « يا أبتَ » كلمة ؛ لأنها ضمير المتكلم فهى مستقلة ، وليست كألف المُعَلى ؛ فإنها جزء كلمة ؛ فليست مثلها ، واعتبر ابن عصفور فى كتاب الضرائر حذف اللام الثانية مع الألف ، قال : وقد يحذف المشدد ويحذف حرف بعده ، ومن ذلك قول لبيد : * ورهط ابن المعل * يريد المعلى ، وقول النابغة : [من الوافر]

إذَا حَاوَلْتَ فِى أَسَدٍ فُجُورًا فَإِنِّى لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنْ

يريد منى ، انتهى

وعدُّ بيت النابغة من الضرورة غير جيد ؛ قال سيبويه فى « باب ما يحذف من الأسماء من الياءات فى الوقف التى لا تذهب فى الوصل [ولا يلحقها تنوين][1] : وتركها فى الوقف أقيس وأكثر ؛ لأنها فى هذه الحال ، ولأنها ياء لا يلحقها التنوين على كل حال ؛ فشبهوها بياء «قاضى» لأنها ياء بعد كسرة ساكنة فى اسم وذلك قولك : هذا غلام ، وأنت تريد هذا غلامى ، [وقد أسقانْ وأسقِنْ ، وأنت تريد أسقانى وأسقنى ؛ لأن نى اسم][1] و [قد][1] قرأ أبو عمرو (فَيَقُولُ رَبِّى أَكْرَمَنْ) و (رَبِّى أَهَانَنْ) على الوقف ، وقال النابغة : [من الوافر]

---

(١) ما بين القوسين ثابت فى كلام سيبويه ، ولكنه غير موجود فى الأصول التى بأيدينا . أنظر كتاب سيبويه (حـ ٢ ص ٢٨٩)

* فَإِنِّى لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنْ *

انتهى .

وقال الأعلم : الشاهد فيه حذف الضمير من قوله : « مِنّى » وهو جائز فى الكلام ، كما قرىء فى الوقف (أَكْرَمَنْ) و(أَهَانَنْ) يقول : هذا لعيينة بن حصنٍ الفزارى ، وكان قد دعاه وقومه لمقاطعة بنى أسد ونقض حِلْفهم ؛ فأبى عليه وتوعده ، وأراد بالفجور : نقض الحلف ، انتهى

وقال « وقبيلٌ من لُكَيْزٍ إلخ » قبيل : مبتدأ ، و « من لكيز » فى موضع الصفة له ، وشاهد : خبره ، والقبيل : العريف والكفيل ، وهذا هو المناسب هنا ؛ لأنه كما قال الأعلم : « وصف لبيد رضى الله عنه مقاما فاخر فيه قبائلَ ربيعة بقبيلته من مضر » انتهى

نسب لكيز بن أفصى وبنوه

ولا يناسبه أن يكون القبيل بمعنى الجماعة تكون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى من الزنج والروم والعرب ، وقال العينى : القبيل هنا بمعنى القبيلة ، ولم أره كذا فى كتب اللغة ، ولُكَيز — بضم اللام وفتح الكاف وآخره زاى معجمة — : أبو قبيلة ، وهو لكيز بن أفصى — بالفاء والصاد المهملة والألف — ابن عبد القيس بن أفصى بن دُعْمِيّ — بضم الدال وسكون المهملة وكسر الميم وتشديد الياء — ابن جَدِيلة — بالجيم — ابن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، وكان لكيز عاقا لأمه لَيْلى ، وكانت تحبه ، وكان شقيقه شَنٌّ بارا بها ، فحملها شَنٌّ ذات يوم فجعلت تقول : فَدَيْت لُكيزا ؛ فرمى بها شن من بعيرها ، وكانت عجوزا كبيرة ، فماتت ، فقال شَنٌّ : دونَكَ لُكيزُ جَعَرَاتِ[1] أُمِّك ؛ وقال : « يَحْمِلُ شَنٌّ و يُفَدَّى لُكَيْز » فذهبت مثلا ، فولد لكيز وديعة وصُبَاحا — بضم الصاد — ونُكْرة — بضم النون — وكل منهم بطن ، ثم

(١) الجعرات : جمع جعرة ، وهو ما يبس من العذرة فى الدبر

صار فى أولاد كل منهم بطون ، كذا فى جمهرة الأنساب ، وشاهد: بمعنى حاضر ، وبه روى أيضاً ، والرهط : قوم الرجل وقبيلته ، والرهط أيضاً : مادون العشرة من الرجال لا تكون فيهم امرأة ، ومرجوم : بالجيم ، قال ابن دريد فى الجمهرة : هو لقب رجل من العرب ، كان سيدا ففاخر رجلا من قومه إلى بعض ملوك الحيرة ؛ فقال له : « قد رَجَمْتُكَ بالشرف » ؛ فسمى مرجوما ، وأنشد هذا البيت ، وكذا فى التصحيف للعسكرى ، قال : «وفى فرسان عبد القيس مرجوم بن عبد القيس بعد الراء جيم ، قال الشاعر :

مرجوم ابن عبد القيس

* رَهْطُ مَرْجُومٍ وَرَهْطُ ابنِ المُعَلّ *

وإنما سمى مرجوما لأنه نافر رجلا إلى النعمان فقال له النعمان : « قد رَجَمَكَ بالشرف » فسمى مرجوما ، وإنما ذكرته لأن من لا يعرفه يصحفه بمرحوم — بحاء غير معجمة ، وأما مرحوم بن عبد العزيز — بالحاء غير المعجمة — فرجل من محدثى البصرة » انتهى

ورهط مرجوم : بالرفع خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير : هو رهط مرجوم ، ويجوز نصبه بتقدير أعنى ، وقال العينى : « رهط مرجوم بالرفع بدل من قبيل أو عطف بيان » هذا كلامه فتأمله(١).

وقال الأعلم : « مرجوم وابن المعل سيدان من لُكَيز » ، وهذه نسبة مرجوم من الجمهرة ، قال : « مرجوم هو ابن عبد عمرو بن قيس بن شهاب بن زياد بن عبد الله بن زياد بن عَصَر — بتحريك المهملات — بن عمرو بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز » ، وأما المعلى فقد قال ابن دريد فى الجمهرة : « هو جد الجارود بشر بن عمرو بن المعلى » انتهى

والجارود : اسمه بشر ، وسمى الجارود لبيت قاله بعض الشعراء [من الطويل]:

---

(١) الخطأ فى تجويزه عطف البيان ؛ لكون الثانى معرفة والأول نكرة ، وشرطه التوافق

* كَمَا جَرَّدَ الْجَارُودُ بَكْرَ بْنَ وَائِلِ * (١)

وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وابنه المنذر بن الجارود استعمله على بن أبى طالب رضى الله عنه على فارس ، وعبد الله بن الجارود كان رأس عبد القيس ، واجتمعت إليه القبائل من أهل البصرة وأهل الكوفة فقاتلوا الحجاج فظفر بهم ؛ فأخذه الحجاج فصلبه ، والحكم بن المنذر بن الجارود سيد عبد القيس (٢) مات فى حبس الحجاج الذى يعرف بالدّيماس ، وهذه نسبته من الجمهرة : الجارود : هو بشر بن حَنَش بن المعلى ، وهو الحارث بن يزيد بن حارثة بن معاوية بن ثعلبة بن جذيمة بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز المذكور ، ولم أقف على ما قبل البيت وما بعده حتى أورده .

ولبيد رضى الله عنه صحابى تقدمت ترجمته فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة من شرح شواهد شرح الكافية

***

وأنشد بعده وهو الشاهد الخامس بعد المائة وهو من شواهد سيبويه [من الرجز]

١٠٥ — خَالِى عُوَيْفٌ وَأَبُو عَلِجٍّ   الْمُطْعِمَانِ اللَّحْمَ بِالْعَشِجِّ

(١) فى اللسان (ج ر د) والجارود العبدى : رجل من الصحابة ، واسمه بشر ابن عمرو ، وسمى الجارود لأنه فر بأبله إلى أخواله من بنى شيبان وبابله داء ففشى ذلك الداء فى إبل أخواله فأهلكها ، وفيه يقول الشاعر :

* لَقَدْ جَرَّدَ الْجَارُودُ بَكْرَ بْنَ وَائِلِ *

ومعناه شئم عليهم ، وقيل : استأصل ماعندهم ، وللجارود حديث ، وقد صحب النبى صلى الله عليه وسلم وقتل بفارس فى عقبة الطين

(٢) وهو الذى عناه الشاعر بقوله :

يا حَكَمَ بْنَ الْمُنذِرِ بْنِ الْجَارُودْ   سُرَادِقُ الْمَجْدِ عَلَيْكَ مَمْدُودْ

وهو من شواهد سيبويه

وَبالْغَدَاةِ فِلَقَ الْبَرْنِجّ يُقْلَعُ بِالْوَدِّ وَبِالصِّيصِجّ

على أن بعض بنى سعد يبدلون الياء ، شديدة كانت أو خفيفة ، جيما فى الوقف ، كما فى قوافى هذه الأبيات ؛ فإن الجيم فى أواخر ما عدا الأخير بدل من ياء مشددة ، وأما الأخير فالجيم فيه بدل من ياء خفيفة ، كما يأتى بيانه

وإنما حركها الشاعر هنا لأنه أجرى الوصل مجرى الوقف ، قال سيبويه : « وأما ناس من بنى سعد فإنهم يبدلون الجيم مكان الياء فى الوقف ؛ لأنها خفية ، فأبدلوا من موضعها أبين الحروف ، وذلك قولهم : هذا تميمجٌ ، يريدون تميمىّ ، وهذا علج ، يريدون علىّ ، وسمعت بعضهم يقول : عربانجّ يريدون عربانىّ ، وحدثنى من سمعهم يقولون :

خَالِى عُوَيْفٌ وَأَبُو عَلِجِّ الْمُطْعِمَانِ اللَّحْمَ بِالْعَشِجِّ

* وَبِالْغَدَاةِ فِلَقَ الْبَرْنِجِّ *

يريدون بالعشى والبرنى ، فزعم أنهم أنشدوه هكذا » انتهى كلامه

ولم يذكر إجراء الوصل مجرى الوقف ، وذكره الزمخشرى فى المفصل ، وكلام ابن جنى فى سر الصناعة وغيره كـكلام سيبويه ، قال ابن المستوفى فى شرح أبيات المفصل : « ومتى خرج هذا الإبدال عن هذين الشرطين ، وهما الياء المشددة والوقف ، عدوه شاذا ، ولذلك قال الزمخشرى : وقد أجرى الوصل مجرى الوقف » انتهى .

وهذه الأبيات لبدوى ، قال ابن جنى فى سر الصناعة : « قرأت على أبى بكر ، عن بعض أصحاب يعقوب بن السكيت ، عن يعقوب ، قال : قال الأصمعى : حدثنى خلف ، قال : أنشدنى رجل من أهل البادية :

* عَمِّى عُوَيْفٌ وأَبُو عَلِجِّ *

إلى آخر الأبيات الأربعة

يريد أبو على وبالعشى والصيصية ، وهى قرن البقرة » انتهى .

وقال شارح شواهد أبى على الفارسى : «جاء به أبو على شاهداً على أن ناساً من العرب يبدلون من الياء جيا ، لما كان الوقف على الحرف يخفيه والإدغام فيه يقتضى الإظهار ويستدعيه أبدلوا من الياء المشددة فى الوقف الجيم ؛ لأنها أبين ، وهى قريبة من مخرجها ، وزعم أبو الفتح أنه احتاج إلى جيم مشددة للقافية ، فحذف الياء ثم ألحق ياء النسب كما ألحقوها فى الصفات مبالغة ، وإن لم يكن منسوباً فى المعنى نحو أحْمَرِىٌّ فى أحمر ، ثم أبدل من الياء المشددة جيا ، ثم قال : وما علمت أحداً تعرض لتفسيره قبلى ، سوى أبى على فيما أظن ، قال الشيخ : أقرب من هذا وأشبه بالمعنى أن يكون أراد الصيصاء ، وهو ردى التمر الذى لا يعقد نوًى ، ألحقه بقنديل فقال : صيصىء ، ثم أبدل من الياء جيا فى الوقف ، ثم أجرى الوصل مجرى الوقف فى هذا » انتهى كلامه

افتخر بخاليه أو بعميه ، والمطعمان : صفة لهما ، واللحم والشحم : مفعوله ، والعشى : قيل : ما بين الزوال إلى الغروب ، وقيل : هو آخر النهار ، وقيل : من الزوال إلى الصباح ، وقيل : من صلاة المغرب إلى العَتْمة ، كذا فى المصباح ، والغداة : الضحوة ، والفِلَق — بكسر الفاء وفتح اللام — جمع فِلْقَة ، وهى القطعة وروى « قِطَعَ » بدله ، وروى أيضاً « كُتَلَ البرنج » وهو جمع كُتْلَة — بضم الكاف — قال الجوهرى : الكتلة : القطعة المجتمعة من الصمغ وغيره ، والبَرْنِىّ — بفتح الموحدة — : نوع من أجود التمر ، ونقل السهيلى أنه عجمى ، ومعناه حمل مبارك ، قال : «بَرْ» حمل و«نِىّ» جيد ، وأدخلته العرب فى كلامها وتكلمت به ، كذا فى المصباح ، وأقول : «بَرْ» فى لغة الفرس ثمرة الشجرة أىّ شجرة كانت ، وأما حملها فهو عندهم «بارْ» بزيادة ألف ، والفرق أن «بَرْ» الثمر الذى يؤكل ، وأما «بارْ» فعام سواء كان مما يؤكل أم لا ، فصوابه أن يقول : « بَرْ » ثمر الشجر لا حملها ، وأما «نِى»

فأصله نيك ــ بكسر النون ؛ فعند التعريب حذفت الكاف وشددت الياء ، و« نيك» في لغة الفرس الجيد ؛ و يُقْلَع ، بالبناء للمفعول ، ونائب الفاعل ضمير البرنج ، والجملة حال منه ، وقال العيني : صفة له ، والود ، بفتح الواو ، لغة في وَتِدٍ ، والصيصِيَة بكسر الصادين وتخفيف الياء : القرن ، واحد الصِّيصِي ، والجمع الصياصِي ، وصياصِي البقر : قرونها ، وكان يقلع التمر المرصوص بالوتد و بالقرن ، قال ابن المستوفى : الصيصى : جمع صيصيَة ، وهي القرن ، كأنه شدد في الوقف على لغة من يشدد ثم أبدل ، وزادها أن أجرى الوقف مجرى الوصل ، كما قال [من الرجز] :

* مِثْلَ الْحَرِيقِ وَافَقَ الْقَصَبَّا *

وقال الزمخشري في الحواشي : « شدد ياء الصيصى في الوقف كما لو وقف على القاضي » انتهى

وقال ابن جني في شرح تصريف المازني : « الذي عندي فيه أنه لما اضطر إلى جيم مشددة عَدَل فيه إلى لفظ النسب ، و إن لم يكن منسوباً في المعنى ، كما تقول : أحمر وأحْمَرِيٌّ ، وهو كثير في كلامهم ، فإذا كان الأمر كذلك جاز أن يراد بالصيصج لفظ النسب ، فلما اعتزمت على ذلك حذفت تاء التأنيث؛ لأنها لا تجتمع مع ياء النسبة ، فلما حذفت الهاء بقيت الكلمة في التقدير صيصٍ بمنزلة قاضٍ ، فلما ألحقها ياء النسبة حذفت الياء لياء النسبة ، كما تقول في النسبة إلى قاض : قاضيٌّ ، فصارت في التقدير صيصيٌّ ، ثم إنها أبدلت من الياء المشددة الجيم ، كما فعلت في القوافي التي قبلها ، فصارت صيصجٌّ ، كما ترى ، فهذا الذي عندي في هذا ، وما رأيت أحَدًا عرض لتفسيره ؛ إلا أن يكون أبا علي فيما أظنه » انتهى

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس بعد المائة [من الرجز] :

١٠٦ — يَا رَبِّ إنْ كُنْتَ قَبِلْتَ حِجَّتِجْ

فَلاَ يَزَالُ شَاحِجٌ يَأْتِيكَ بِجْ

أَقْمَرُ نَهَّاتٌ يُنَزِّي وَفْرَتِجْ

على أنه أبدل الجيم من الياء الخفيفة ، وأصله حِجَّتِى وبِى ووَفْرَتِى ، بياء المتكلم فى الثلاثة

وأنشد أبو زيد هـذه الأبيات الثلاثة فى أوائل الجزء الثالث من نوادره ، قال : « قال المفضل : أنشدنى أبو الغول هذه لبعض أهل اليمن »

ولم يخطر ببال أبى على ولا على بال ابن جنى رواية هذه الأبيات عن أبى زيد فى نوادره ، ولهذا نسباها إلى الفراء ، وقالا : أنشدها الفراء ، ولو خطرت ببالهما لم يعدلا عنـه إلى الفراء البتة ؛ لأن لهما غراماً بالنقل عن نوادره ، ولو أمكنهما أن لا ينقلا شيئا إلا منها فعلا ، قال ابن جنى فى سر الصناعة : « وكان شيخنا أبو على يكاد يصلى بنوادر أبى زيد إعظاماً لها ، وقال لى وقت قراءتى إياها عليه : ليس فيها حرف إلا لأبى زيد تحته غرض ما ، وهو كذلك ؛ لأنها محشوة بالنكت والأسرار » انتهى كلامه رحمه الله

تقدير ابن جنى لنوادر أبى زيد

ولله در الشارح المحقق فى سعة اطلاعه ؛ فإنه لم يشاركه أحد فى نقل هذه الأبيات عن أبى زيد إلا ابن المستوفى

وقد ذهب ابن عصفور فى كتاب الضرائر إلى أن إبدال الياء الخفيفة جيما خاص بالشعر ، ولم أره لغيره ، قال : « ومنها إبدالهم الجيم من الياء الخفيفة ، نحو قول هِمْيَان بن قُحَافَة [من الرجز] (١)

* يُطِيرُ عَنْهَا الْوَبَرَ الصُّهَابِجَا *

يريد الصُّهابىّ ، فحذف إحدى الياءين تخفيفاً ، وأبدل من الأخرى جيما ؛ لتتفق القوافى ، وسهل ذلك كون الجيم والياء متقاربين فى المخرج ، ومثل ذلك قول الآخر ، أنشده الفراء :

---

(١) انظر سمط اللآلى فى شرح أمالى أبى على القالى (ص٥٧٢)

* يَا رَبِّ إنْ كُنْتَ قَبِلْتَ حِجَّتِجْ * إلى آخر الأبيات

يريد حجتى ، ويأتيك بى ، ويُنَزِّى وفرتى ، فأبدل من الياء جيما ؛
وقول الآخر [من الرجز] :

* حَتَّى إذَا مَا أَمْسَجَتْ وَأَمْسَجَا *

يريد أمْسَتْ وأمْسَى : لأنه رَدّها إلى أصلهما وهو أمْسَيَتْ وأمْسَيَا ، ثم أبدل الياء جيما لتقاربهما لما اضطر إلى ذلك » انتهى

وجعله ابن المستوفى من الشاذ ، قال : «ومن الإبدال الشاذ قوله ، وهو مما أنشده أبو زيد :

* يَا رَبِّ إنْ كُنْتَ قَبِلْتَ حِجَّتِجْ *

وهذا أسهل من الأول ؛ لأنه أورده الشاعر فى الوقف ، إلا أن الياء غير مشددة » انتهى

وقوله « يا رب إن كنت» أنشده الزمخشرى فى المفصل «لَاهُمَّ إن كنت» وكذا أنشده ابن مالك فى شرح الشافية ؛ والحجة — بالكسر — : المرة من الحج ، قال الفيومى فى المصباح : « حج حجا من باب قتل : قصد ، فهو حاج ، هذا أصله ، ثم قصر استعماله فى الشرع على قصد الكعبة للحج أو العمرة ، يقال : ما حج ولكن دَجّ ، فالحج : القصد للنسك ، والدجّ : القصد للتجارة ، والاسم الحج بالكسر ، والحجة المرة بالكسر ، على غير قياس ، والجمع حِجَجٌ ، مثل سِدْرَة وسِدَر ، قال ثعلب : قياسه الفتح ، ولم يسمع من العرب ، وبها سمى الشهر ذو الحجة بالكسر ، وبعضهم يفتح فى الشهر ، وجمعه ذَوَات الحجة » انتهى

والشاحج — بالشين المعجمة والحاء المهملة قبل الجيم — : البغل والحمار ، من شَحَجَ البغل والحمار والغُرَاب — بالفتح — يشحج — بالفتح والكسر — شَحِيجاً وشُحَاجاً ، إذا صوت ، وقال بعض أفاضل العجم فى شرح أبيات المفصل : « قال

صدر الأفاضل : أراد بشاحج حمارا : أى عَيْرًا ، قيل فى نسخة الطباخى بخطه : شبه ناقته أو جمله ، بالعَيْر » انتهى

وروى ابن جنى عن أبى على فى سر الصناعة « شامخ » أيضاً بالخاء المعجمة بعد الميم ، وقال : يعنى بعيرا مستكبرا ، انتهى . وهـذا لا يناسبه « أقْمَرُ نَهَّاتٌ » وقوله «يأتيك» يأتى بيتك بى ، والأقمر : الأبيض ، والنهّات : النهّاق ، يقال : نَهَتَ الحمار يَنْهِتُ — بالكسر — أى نهق ، ونَهَتَ الأسد أيضاً : أى زأر ، والنهيت : دون الزئير ، و يُنَزِّى — بالنون والزاى المعجمة — : أى يحرك ، والتنزيه : التحريك ، والوَفْرَة بالفاء : الشعر إلى شحمة الأذن ، قال ابن المستوفى : أى يحرك لسرعة مشيه ، وقال بعض أفاضل العجم فى شرح أبيات المفصل قيل : عبر بالوَفْرَة عن نفسه كما يعبر بالناصية ، تسمية للمحل باسم الحال ، يقول : اللهم إن قبلت حجتى هذه فلا تزال دابتى تأتى بيتك وأنا عليها محركٌ وَفْرَتى أوجسدى فى سيرها إلى بيتك : أى إن علمتُ أن حجتى هـذه مقبولة فأنا أبداً أزور بيتك

***

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد المائة [من الرجز] :

١٠٧ — اللهُ نَجَّاكَ بِكَفَّىْ مَسْلَمَتْ مِنْ بَعْدِ مَا وَبَعْدِ مَا وَبَعْدِ مَتْ

صَارَتْ نُفُوسُ الْقَوْمِ عِنْدَ الْغَلْصَمَتْ

وَكَادَتْ الْحُرَّةُ أَنْ تُدْعَى أَمَتْ

على أن هاء التأنيث فى نحو مَسْلَمَتْ وَالْغَلْصَمَتْ وأَمَتْ بعضُ العرب يقف عليها بالتاء كما هنا ، وأبو الخطاب من مشايخ سيبويه ، وهذا الـكلام نقله عنه سيبويه فى كتابه بدون هذا الشعر ، وهذا نصه (١) : « أما كل اسم مُنَوَّن فإنه

---

(١) انظر كتاب سيبويه (٢ : ٢٨١) تعلم أنه لم ينقل العبارة بحروفها، ولـكنه تصرف فيها

يلحقه فى حال النصب فى الوقف الألف ؛ كراهية أن يكون التنوين بمنزلة النون اللازمة للحرف ، ومثل هذا فى الاختلاف الحرف الذى فيه تاء التأنيث ؛ فعلامة التأنيث ـ إذا وَصَلْته ـ التاءُ ، وإذاوقفت ألحقت الهاء ، أرادوا أن يفرقوا بين هذه التاء والتاء التى هى من نفس الحرف نحوتاء القَتّ[1] وما هو بمنزلة ماهو من نفس الحرف نحو تاء سَنْبَتة[2] وتاء عِفْريت ؛ لأنهم أرادوا أن يلحقوها ببناء قحطبة وقنديل ، وكذلك التاء فى بنْتٍ وأُخت ؛ لأن الاسمين ألحقا بالتاء ببناء عُمْر وعِدْل ، وفرقوا بينها و بين منطلقات لأنها كأنها منفصلة من الأول ، وتاء الجميع أقرب إلى التاء التى بمنزلة ما هو من نفس الحرف من تاء طلحة ؛ لأن تاء طلحة كأنها منفصلة ، وزعم أبو الخطاب أن نَاساً من العرب يقولون فى الوقف : طَلْحَتْ ، كما قالوا فى تاء الجميع قولاً واحدا فى الوقف والوصل » انتهى كلام سيبويه

وقال ابن جنى فى سر الصناعة : « فأما قولهم قائمة وقاعدة فإنما الهاء فى الوقف بدل من التاء فى الوصل ، والتاء هى الأصل ؛ فإن قيل : وما الدليل على أن التاء هى الأصل وأن الهاء بدل منها ؟ فالجواب أن الوصل ما يُجْرَى فيه الأشياء على أصولها ، والوقف من مواضع التغيير ، ألا ترى أن من قال فى الوقف : هذا بَكُرْ ، ومررت بِبَكِرْ ، فنقل الضمة والكسرة إلى الكاف فى الوقف ، فإنه إذا وصل أجرى الأمر على حقيقته ، وكذلك من قال فى الوقف هذا خالِدّ ، وهو يجعلّ ، فإنه إذا وصل خفف الدال واللام ، على أن من العرب من

---

(١) القت : اسم للكذب ، ومنه الحديث « لايدخل الجنة قتات » هو النمام أو المتسمع أحاديث الناس

(٢) هذا التمثيل فى نص كلام سيبويه ، وقد اعترضه أبوسعيد السيرافى بأن هذا المثال مما يوقف عليه بالهاء لا التاء فكان ينبغى أن يمثل بسنبت ونحوه مما يوقف عليه بالتاء

مجرى الوقف مجرى الوصل ، فيقول فى الوقف : هذا طلحتْ ، وعليه السلام والرحْمتْ ، وأنشدنا أبو على [من الرجز] :

* بَلْ جَوْزِ تَيْهاءَ كَظَهْرِ الحَجَفَتْ *

وأخبرنا بعض أصحابنا يرفعه بإسناده إلى قُطْرُب أنه أنشد [من الرجز] :

اللهُ نَجَّاكَ بِكَفَّىْ مَسْلَمَتْ مِنْ بَعْدِمَا وَبَعْدِمَا وَبَعْدِ مَتْ

صَارَتْ نُفُوسُ القَوْمِ عِنْدَ الغَلْصَمَتْ

وَكَادَتِ الحُرَّةُ أَنْ تُدْعَى أَمَتْ

فلما كان الوصل مما يُجْرَى فيه الأشياء على أصولها فى غالب الأمر ، وكان الوقف مما يغير فيه الأشياء عن أصولها ، ورأينا علم التأنيث فى الوصل تاء نحو قائمتان وقائمتكم ، وفى الوقف هاء نحو ضاربَهْ ؛ علمنا أن الهاء فى الوقف بدل من التاء فى الوصل ، وأما قوله « و بعد مت » فأصله « و بعدما » فأبدل من الألف فى التغيير هاء ، فصارت « و بَعْدِمه » كما أبدلها الآخر من الألف فقال فيما أخبرنا به بعض أصحابنا يرفعه بإسناده إلى قُطْرُب [من الرجز المجزوء] :

قَدْ وَرَدَتْ مِنْ أَمْكِنَهْ مِنْ هاهُنَا وَمِنْ هُنَهْ

يريد « ومن هنا » فأبدل من الألف فى الوقف هاء ، فصار التقدير على هذا « من بعدِما وبعدِما و بعدِمَهْ » ثم أبدل الهاء تاء ليوافق بقية القوافى التى تليها ، ولا تختلف ، وشجعه على ذلك شبه الهاء المقدرة بهاء التأنيث فى طلحة وحمزة ، ولما كان يراهم يقولون فى بعض المواضع فى الوقف : هذا طَلْحَتْ ، قال هو أيضا : « و بعد مَتْ » فأبدل الهاء المبْدلة من الألف تاء تشبيهاً لفظيًا ، وأما ما قرأته على محمد بن الحسن من قول الآخر [من المتقارب] :

إِذَا اعْتَزَلَتْ مِنْ مَقَامِ القَرِينِ فَيَاحُسْنَ شَمْلَتِها شَمْلَتَا

فقال فيه : إنه شبه هاء التأنيث فى « شملة » بالتاء الأصلية فى نحو بَيْت وصوت ، فألحقها فى الوقف عليها ألفاً ، كما تقول : رأيت بيتاً ، فشَمْلَتَا على هذا

منصوب على التمييز ، كما تقول : ياحُسْنَ وجهها وَجْهًا : أى مِنْ وجه » انتهى كلام ابن جنى باختصار .

فقول الشارح المحقق « والظاهر أن هؤلاء لايقولون فى النصب رأيت أَمَتَا » يريد أنهم لايقولون فى الاختيار ، وأما فى الضرورة فقد قيل ، كما نقله ابن جنى فى « شَمْلَتَاه» .

وروى ابن عصفور الشعر فى كتاب الضرائر بالهاء على الأصل ، قال : « ومنه إبدال ألف « ما » و « هاهنا » هاء فى الوقف عند الاضطرار إلى ذلك نحو قوله :

اللهُ نَجَّاكَ بِكَفَّىْ مَسْلَمَهْ ... مِنْ بَعْدِمَا وَبَعْدِمَا وَبَعْدِمَهْ

يريد « و بعدما » وقوله :

قَدْ وَرَدَتْ مِنْ أَمْكِنَهْ ... مِنْ هٰهُنَا وَهٰهُنَهْ

يريد « وهاهنا » وسهل ذلك كون الألف والهاء من مخرج واحد » انتهى . وهذا الشعر لم أقف على قائله .

وقوله « الله نجاك — الخ » الله : مبتدأ ، وجملة « نجاك » خبره ، ونجاه من الهلاك تنجية : أى خلَّصَه ، ويقال : أنجاه ، أيضاً ، وبه رواه ابن هشام فى شرح الألفية ، و « بكَفَّىْ » الباء متعلقة بنجاك ، وكفى : مثنى كف ، قال الأزهرى : الكف الراحة مع الأصابع ، سميت بذلك لأنها تكف الأذى عن البدن ، وأراد بالكف اليد ، من إطلاق الجزء على الكل ، واليد : من المنكب إلى أطراف الأصابع ، والمراد من اليد هنا الدفع ، يقال : مالى بهذا الأمر يد ، ولا يدان ؛ لأن المباشرة والدفاع إنما تكون باليد ، فكأن يَدَيْه معدومتان لعجزه عن الدفع ، وإنما ثنى لأن كمال الدفع بهما ، قال ابن الأثير فى النهاية : « فى الحديث « عليكم بالجماعة فإن يد الله عليها » كناية عن الحفظ والدفاع عن أهل الضر ، كأنهم خصوا بواقية الله وحسن دفاعه ، ومنه الحديث الآخر « يَدُ الله على الجماعة » أى أن الجماعة المتفقة من أهل الإسلام فى كَنَفَ الله ووقايته »

ومَسْلَمة — بفتح الميم واللام — الظاهر أنه مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، وقوله « من بعدما » الأصل من بعدما صارت نفوس القوم ، فكرر « من بعدما » ثلاث مرات للتهويل ، وأبدل ألف ما الثالثة هاء فتاء للقافية ، وقوله « صارت نفوس القوم » متصل فى التقرير ببعدما الأولى ، ويقدر للثانية والثالثة مثلها ، أو لايقدر ؛ لأنهما كررا لمجرد التهويل ، و « ما » قيل : هى كافة لبعد عن الإضافه ومهيئتها للدخول على الجملة الفعلية ، وقيل : مصدرية ، وهو الأولى ؛ لأن فيه إبقاء « بعد » على أصلها من الإضافة ، ولأنها لو لم تكن مضافة لنونت ، كذا قال ابن هشام فى المغنى ، والنفوس : جمع نفس ، وهى الروح ، يقال : جاد بنفسه ، وخرجت نفسه ، وهى مؤنثة ، قال تعالى : (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) وإن أريد بها الشخص فمذكرة ، كذا فى المصباح ، والغَلْصَمَة — بالفتح : رأس الحلقوم ، وهو الموضع النّاتىء فى الحلق ، والجمع غلَاصم ، كذا فيه أيضا ، و « كادت » معطوف على صارت ، والحرة : خلاف الأمة ، والحر : خلاف العبد ، وأصل الحر الخالص من الاختلاط بشىء غيره ، فالحر والحرة مأخوذان منه ؛ لأنهما خلصا من الرق ، يقول : كاد الأعداء يُسْبُوْنَ فتصير الحرة أمة ، و « تدعى » بالبناء للمفعول : أى تسمى ، وجاءت أن فى خبر كاد على أحد الجائزين

***

وأنشد الجار بردى هنا ، وهو الشاهد الثامن بعد المائة [من الرجز]

١٠٨ — لَوْ كُنْتُ أَدْرِى فَعَلَىَّ بَدَنَهْ
مِنْ كَثْرَةِ التَّخْلِيطِ أَنِّى مَنْ أَنَهْ

على أنه يوقف على « أنا » بالهاء قليلا ، كما فى البيت

قال ابن جنى فى سر الصناعة : « فأما قولهم فى الوقف على « أَنَ فَعَلْتُ » : أنَا ، وَأَنَهْ ؛ فالوجه أن تكون الهاء فى « أَنَهْ » بدلاً من الألف فى « أنا » لأن الأكثر فى الاستعمال إنما هو أنا بالألف ، والهاء قليلة جدا ، فهى بدل من الألف ، ويجوز

أن تكون الهاء أيضا فى «أَنَهْ» أُلحقت لبيان الحركة كما أُلحقت الألف ، ولا تكون بدلا منها ، بل قائمة بنفسها » انتهى

والبدنة : ناقة أو بقرة أو بعير ، ولا تقع على الشاة ، وقال بعض الأئمة : البدنة هى الإبل خاصة ، وإنما أُلحقت البقرة بالإبل بالسُّنَّة ، وقوله « من كثرة » متعلق بالفعل المنفى ضمنا : أى ماأدرى من كثرة التخليط ، والتخليط فى الأمر : الإفساد فيه ، و « أَنِّى » بفتح الهمزة ، ومَنْ : مبتدأ ، وأَنَهْ : خبره ، وقيل بالعكس ، والجملة فى محل رفع خبر أنّى ، وجملة « أنّى من أنه » فى محل نصب سادة مسد مفعولى أدرى ، وروى صدره الشارح المحقق رحمه الله فى شرح الكافية « إنْ كُنْتُ أَدْرِى » بإن الشرطية

وهذا البيت لم أقف على أثر منه

* * *

وأنشد هنا ، وهو الشاهد التاسع بعد المائة [من الوافر] :

١٠٩ — أَنَا سَيْفُ الْعَشِيرَةِ فَاعْرِفُونِى ‌‌ حُمَيْدًا قَدْ تَذَرَّيْتُ السَّنَامَا

على أن إثبات ألف « أنا » فى الوصل لضرورة الشعر ، كما فى البيت ، والقياس حذفها فيه

وتقدم مايتعلق به فى الشاهد الثامن والسبعين بعد الثلاثمائة من شرح شواهد شرح الكافية

وَ «حُمَيْدًا» روى مصغرا ومكبرا ، وهو بدل من الياء فى « فاعرفونى » لبيان الاسم ، أو هو منصوب على المدح بتقدير أعنى ، وَ«تَذَرَّيْتُ السنام » بمعنى علوته ، وهو من الذروة بالكسر والضم ، وهو أعلى السنام ، وحقيقته علوت ذروة السنام ، وقائله حُمَيْد بن بَحْدَل الكلبى ، وتقدمت ترجمته هناك

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العاشر بعد المائة [من الرمل]

١١٠ — يَاأَبَا الْأَسْوَدِ لِمْ خَلَّيْتَنِي
لِهُمُومٍ طَارِقَاتٍ وَذِكَرْ

على أنه سكن الميم من « لِمْ » إجراء للوصل مجرى الوقف

وتقدم أيضا مايتعلق به فى الشاهد السادس عشر بعد الخمسمائة من شرح شواهد شرح الكافية

و « لِمْ » معناه لأجل أى شيء ، وَخَلَّيْتَنِي : تركتنى ، وروى « أَسْلَمْتَنِي» وروى أيضا « خَذَّلْتَنِي » ؛ والطُّروق : المجيء ليلا ، وإنما جعل الهموم طارقات لأن أكثر مايعترى الإنسان فى الليل حيث يجمع فكره ويخلو بالُهُ فيتذكر مافيه من الهموم المؤلمة ، و « ذِكَر » بكسر ففتح جمع ذكر على غير قياس

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر بعد المائة [من الوافر] :

١١١ — عَلَى مَاقَامَ يَشْتِمُنِى لَئِيمٌ كَخِنْزِيرٍ تَمَرَّغَ فِى دَمَانِ

على أن بعض العرب لايحذف ألف « ما » الاستفهامية المجرورة

وتقدم أيضا مايتعلق به فى الشاهد السادس والثلاثين بعد الأربعمائة من شرح شواهد شرح الكافية

وصواب العجز :

* كخنزير تَمَرَّغَ فى رماد * (١)

لأن القافية دالية ، وهو من أبيات لحسَّان بن ثابت شرحناها هناك

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى عشر بعد المائة [من الرجز] :

١١٢ — * قَالَتْ سُلَيْمَى اشْتَرْ لَنَا سَوِيقَا *

(١) هذا هو الموجود فى نسخ الشارح التى بأيدينا

على أن الشاعر سكن الراء ، وهى عين الفعل ، وكان حقها الكسر . كأنه توهم أنها لام الفعل فسكن للأمر [١]

وأبو الخطاب : من مشايخ سيبويه ، وما نقله عنه الشارح هو فى كتاب سيبويه ، وليس فيه هذا الشعر ، وهذا نصه : « وزعم أبو الخطاب أن ناسا من العرب يقولون : أُدْعِه ، من دعوتُ ، فيكسرون العين ، كأنها لما كانت فى موضع الجزم توهموا أنها ساكنة ؛ إذ كانت آخر شىء فى الكلمة فى موضع الجزم ، فيكسرون حيث كانت الدال ساكنة ؛ لأنه لايلتقى ساكنان ، كما قالوا : رُدِّ يا فتى ، وهذه لغة رديئة ، وإنما هو غلط ، كما قال زهير [من الطويل]:

بَدَالِىَ أَنِّى لَسْتُ مُدْرِكَ مَامَضَى   وَلاَ سَابِقٍ شَيْئًا إِذَا كَانَ جَائِيًا »

انتهى .

وأورده ابن عصفور فى الضرائر الشعرية ، قال : « فإن كانت الضمة والكسرة اللتان فى آخر الكلمة علامتى بناء اتفق النحويون على جواز حذفهما فى الشعر تخفيفا ، نحو قول أبى نُخَيْلَة [من الرجز] :

إِذَا اعْوَجَجْنَ قُلْتُ صَاحِبْ قَوِّمِ   بِالدَّوِّ أَمْثَالَ السَّفِينِ العُوَّمِ

وقال العُذَافِرُ الكندى [من الرجز]

قَالَتْ سُلَيْمَى اشْتَرْ لَنَا دَقِيقَا   وَهَاتِ خُبْزَ الْبُرِّ أَوْ سَوِيقَا

وقال الآخر [من الرجز]

فَاحْذَرْ وَلاَ تَكْتَرْ كَرِيًّا أَهْوَجَا   عِلْجًا إِذَا سَاقَ بِنَا عَفَنْجَجَا

وقال الآخر [من الوافر] :

وَمَنْ يَتَّقْ فَإِنَّ اللهَ مَعَهْ   وَرِزْقُ اللهِ مُؤْتَابٌ وَغَادِى

ألا ترى أن الأصل : صاحبْ قَوِّمِ ، واشْتَرِ ، ولا تَكْتَرِ كَرِيًّا ، ومن يتّقِ

---

(١) فى نسخة « فسكن اللام » وما هنا أدق

فإن الله معه ، إلا أنه أسكن إجراء للمتصل مجرى المنفصل أو إجراء للوصل مجرى الوقف ، كما تقدم فى تسكين المرفوع والمخفوض ؟ فأما قراءة من قرأ (ويَخْشَ اللهَ ويَتَّقْهِ) فسكن القاف يريد ويتقهِ بكسرها ، فإن التسكين فيها أحسن من التسكين فى اشتر لنا وأمثاله ؛ لشدة اتصال الضمير بما قبله » انتهى

وقال شارح شواهد أبى على الفارسى : « لما كانت الياء فى هذا الفعل حرف علة ، وكانت تحذف فى حالتى الجزم والأمر وتبقى الكسرة فى الراء قبلها دالة عليها ؛ اغتفر هذا الشاعر كونها منتهى الكلمة لحذفها للأمر ، شبّه الوصل بالوقف ، أو شبّه المتصل بالمنفصل ، وهذا أشبه «أشْرَبْ[1]» ؛ لأنه لم يخل بإعراب ؛ لأن اتصال اللام بمتعلقها أشد من اتصال غيره ، أو حذف الياء تخفيفا كما حذفها من لا أدْرِ ولا أُبَالِ ، ثم أدخل الجازم ، ولم يعتد بما حذفه فأسكن للجزم كما أسكن لم أُبَلْهْ قبل أن يحرك لالتقاء الساكنين » انتهى كلامه

والبيت الأول من الأربعة من شواهد سيبويه قال الأعلم : « الشاهد تسكين باء صاحِبْ ضرورة ، وهو يريد يا صاحبُ — بالضم — وهذا من أقبح الضرورة ، والدوّ : الصحراء ، وأراد بأمثال السفين : رواحل محملة تقطع الصحراء كقطع السفن البحر » انتهى .

والبيت الشاهد من رجز أورده أبو زيد فى نوادره لرجل من كندة يقال له العذافر ؛ وهو :

قَالَتْ سُلَيْمَى اشْتَرْ لَنَا سَوِيقَا ... وَهَاتِ بُرَّ الْبَخْسِ أَوْ دَقِيقَا
واعْجَلْ بِلَحْمٍ نَتَّخِذْ خَرْدِيقَا ... واشْتَرْ وَعَجِّلْ خَادِماً لَبِيقَا
واصْبُغْ ثِيَابِى صَبْغاً تَحْقِيقَا ... مِنْ جَيِّدِ الْعُصْفُرِ لاَ تَشْرِيقَا

---

(١) يشير إلى قول امرىء القيس

فَالْيَوْمَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ ... إِثْماً مِنَ اللهِ وَلاَ وَاغِلِ

الخرديق : المرقة باللحم ، وتشريقا : مشرق قليل الصبغ ، واصْبَغْ واصبُغ : لغتان» انتهى .

وزاد بعدها أبو محمد الأعرابى ضالّة الأديب سبعة أبيات ، وهى :

يَا سَلْمُ لَوْ كُنْتُ لِذَا مُطِيقَا
لَمَا جَعَلْتُ عَيْشَكُمْ تَرْمِيقَا
فَارْضَيْ بِضَيْحِ الرَّائِبِ الْمَمْذُوقَا
وارْضَىْ بِحَبِّ الْحَنْظَلِ الْمَدْقُوقَا
فَبَرَّقَتْ وَصَفَّقَتْ تَصْفِيقَا
ثُمَّ غَدَتْ تَلْتَحِمُ الطَّرِيقَا
نَحْوَ الْأَمِيرِ تَبْتَغِى التَّطْلِيقَا

وقال : هــــذه الأبيات لسُكَيْن بن نضرة عبدٍ لِبَجيلة ، وكان تزوج بصرية فكلفته عيش العراق

والسويق : مايجعل من الحنطة والشعير ، معروف ، والبر — بالضم — الحنطة والقمح ؛ والبخس — بفتح الموحدة وسكون الخاء المعجمة وآخره سين مهملة — : أرض تنبت من غير سقى ، ورواه أبو محمد الأعرابى كذا :

* وهَاتِ خُبزَ الْبُرِّ أوْ دَقِيقَا *

والُخرديق — بضم الخاء المعجمة وسكون الراء المهملة — قال أبو الحسن فيما كتبه على نوادر أبى زيد : الُخرْديق بالفارسية : المرقة مرقة الشحم بالتابل ، واللّبيق : الحاذق ، واللباقة : الحذاقة ، واصْبُغْ — بفتح الباء وضمها — من بابى نفَع وقتَل وفى لغة من باب ضرب ، والصَّبَغ — بفتحتين — لغة فى سكون الباء ، وقوله « يا سَلْمُ » هو مرخم سَلْمى ، وكنتُ — بضم التاء — والترميق : ضيق المعيشة ، وفلان مُرَمَّق العيش : أى ضيقه ، ويروى : تَرنيقا — بالنون موضع

الميم — وهو التكدير ، قال ابن الأعرابي : رنّق الماء ترنيقا : أى كدره ، والضَّيْح — بإعجام الأول وإهمال الآخر — وهو اللبن الرقيق من كثرة الماء ، والمذق · الخلط ، وارْضَيْ : أمر بالرضا فى الموضعين ، ورقت : أى عينها ، وتلتحم الطريق : أى تسده بكثرة الناس عليها من صياحها وشرها

***

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث عشر بعد المائة [من الوافر] :

١١٣ — وَمَنْ يَتَّقْ فَإِنَّ اللهَ مَعْهُ وَرِزْقُ اللهِ مُؤْتَابٌ وَغَادِي

لما تقدم قبله من تسكين الآخر ، والقياس كسر القاف ، وقد أورده الجوهرى فى موضعين من صحاحه : فى مادة (أوب) قال : آب رجع ، وأْتَابَ مثل آب فَعَلَ وافْتَعَلَ بمعنى ، وأنشد البيت ، وأورده ثانياً فى مادة الوقاية فأصل مؤتاب بهمز الواو ؛ لأن الهمزة فاء الكلمة ، والألف مبدلة من واو هى عين الكلمة .

ولم أقف على تتمته ، ولا على قائله ، ولم يكتب ابن برى ولا الصفدى عليه شيئاً فى الموضعين ·

* **

وأنشد الجار بردى ، وهو الشاهد الرابع عشر بعد المائة [من الرجز] :

١١٤ — يَا رَبِّ يَا رَبَّاهُ إِيَّاكَ أَسَلْ عَفْرَاءَ يَارَبَّاهُ مِنْ قَبْلِ الأَجَلْ

* فَإِنَّ عَفْرَاءَ مِنَ الدُّنْيَا الأَمَلْ *

على أن إلحاق هاء السكت فى الوصل لضرورة الشعر ، وحرّكها بالكسر ، ورُوى ضمها أيضاً .

وقد تكلمنا عليه فى الشاهد الثانى والثلاثين بعد الخمسمائة من شرح شواهد شرح الكافية .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس عشر ، وهو من شواهد سيبويه : [من الكامل]

١١٥ — وَلَأَنْتَ تَفْرِى مَا خَلَقْتَ وَبَعْـــضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لاَ يَفْرْ

على أن أصله يفرى ؛ فحذفت اليـاء ، وسكنت الراء ، للوقف على القافية ، ولا يبالون بتغير وزن الشعر وانكساره .

قال سيبويه : [1] « واعلم أن الياءات والواوات اللاتى هن لامات إذا كان ماقبلها حرف الروى فُعل بها ما فُعل بالياء والواو اللتين أُلحقتا للمد فى القوافى ؛ لأنها تكون فى المدة بمنزلة الملحقة ؛ ويكونُ ما قبلها رَوِيًّا ، كما كان ما قبل تلك رَوِيًّا ، فلما ساوتها فى هذه المنزلة أُلحقت بها فى المنزلة الأخرى ، وذلك قولهم لزهير :

* وَبَعْـــضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لاَ يَفْرْ *

وكذلك « يغزو » لو كانت فى قافية كنت حاذفها إن شئت ، وهذه اللامات لا تحذف فى الكلام ، وما حذف منهن فى الكلام فهو هاهنا أجدر أن يحذف ؛ إذ كنت تحذف هنا مالا يحذف فى الكلام » انتهى كلامه .

قال الأعلم [1] : « الشاهد فيه حذف الياء فى الوقف من قوله يَفْرِى فيمن سكن الراء ، ولم يطلق القافية للترنم ، وإثبات الياء أكثر وأقيس ؛ لأنه فِعل لا يدخله التنوين ويعاقب ياءه فى الوصل؛ فيحذف لذلك فى الوقف كقاض وغاز وما أشبههما» انتهى .

وقال شارح شواهد أبى على الفارسى : « جاء شاهداً على أن مثل هذه الياء فى الفواصل والقوافى حُذِف : حذف الياء لثقلها ، ثم أسكن الراء للوقف ، كما يفعل ذلك فى الفواصل من كتاب الله ، ولا يفعلون ذلك فى الألف لخفتها إلا فى ضرورة الشعر ، كما قال [من الرمل] :

---

(١) انظر كتاب سيبويه (٢ : ٢٨٩)

رَهْطُ مَرْجُومٍ وَرَهْطُ ابْنِ المُعَلْ

أراد المعلّى ، فحذف ، وشبه الألف بالياء ضرورة » انتهى كلامه .

والبيت من قصيدة لزهير بن أبى سُلْمى مدح بها هَرِمَ بن سِنان المرى ، وقد شرحنا ثلاثة أبيات من أولها فى الشاهد السابع والستين بعد الأربعمائة من شرح شواهد شرح الكافية .

وقوله « ولأنت تفرى الخ » هذا مثل ضربه لممدوحه ، وهو هَرِم بن سنان المرى ، والمراد العزم ، و « تفرى » بالفاء تقطع ، يقال : فريت الأديم ، إذا قطعته على وجه الاصلاح ، وأفريته — بزيادة ألف — إذا قطعته على وجه الإفساد ، والخَلْق : أحد معانيه التقدير ، وهو المراد هنا ، يقال : خلقت الأديم ، إذا قدرته لتقطعه ، فضربه هنا مثلا لتقدير الأمر وتدبيره ثم إمضائه وتنفيذ العزم فيه ، والمعنى أنك إذا تهيأت لأمر مضيت له وأنفذته ولم تعجز عنه ، و بعض القوم يقدر الأمر و يتهيأ له ثم لا يعزم عليه ولا يمضيه عجزاً وضعف همة :

* * *

وأنشد بعده

* رَهْطُ مَرْجُومٍ وَرَهْطُ بْنِ المُعَلْ *

على أن أصله ابن المعلّى فحذفت الألف ، لضرورة الشعر ، وهو عجز وصدره :

* وَقَبِيلٌ مِنْ لُكَيْزٍ شَاهِدٌ *

وتقدم شرحه فى الشاهد الثالث بعد المائة من هذا الكتاب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس عشر بعد المائة [من الكامل] :

١١٦ — وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ مِنْ أُسَامَةَ إِذْ
دُعِيَتْ نَزَالِ وَلُجَّ فِى الذُّعْرْ

على أنه حذف الياء من « لا يَفْرِ » فى البيت السابق تبعاً لحذف اليـاء من « الذُّعْر » فى هـذا البيت ، والياء فى « الذعر » إذا أطلقت القافية ولم تسكن تنشأ من كسرة الراء ، فهى زائدة حصلت من الإشباع ، بخلاف « يفرى » فإنها لام الـكلمة .

وهذا البيت قبل البيت السابق فى القصيدة ، وليس البيت فى شعر زهير كما أنشده ، فإن المصراع الأول أجنبى ، وإنما قوله :

وَلَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرْعِ أَنْتَ إِذَا دُعِيَتْ نَزَالِ وَلُجَّ فِى الذُّعْرْ

وذاك المصراع إنما هو للمسيَّب بن عَلَس ، وهو قوله من قصيدة [من الـكامل] :

وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ مِنْ أُسَامَةَ إِذْ يَقَعُ الصُّرَاخُ وَلُجَّ فِى الذُّعْرْ

فالبيت مركب من شعرين ، تبع فيه صاحب الصحاح ، وقد حققنا الكلام فيه وفى القصيدتين فى الشاهد السابع والستين بعد الأربعمائة .

وأسامة — بضم الهمزة — معرفة علم للأسد ، و «دعيت» بالبناء للمفعول ، و « نزال » فى محل رفع نائب الفـاعل ، ونزال بالـكسر : اسم فعل أمر بمعنى انزل ، وقد استدل الشارح المحقق وغيره بهـذا البيت على أن فَعَالِ الأمرىّ مؤنث ، ولهذا أنث لها الفعل المسند إليها ، ومعنى دعاء الأبطال بعضهم بعضاً بنزال أن الحرب إذا اشتدت بهم وتزاحموا فلم يمكنهم التطاعن بالرماح تَدَاعَوْا بالنزول عن الخيـــل والتضارب بالسيوف ، ومعنى « لُجَّ فى الذعر » بالبناء للمفعول : تتابع الناس فى الفزع ، وهو من اللّجاج فى الشىء ، وهو التمادى فيه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع عشر بعد المائة [من الطويل] :

١١٧ — وَقَدْ كُنْتُ مِن سَلْمَى سِنِينَ ثَمَانِياً
عَلَى صِيرِ أَمْرٍ مَا يُمِرُّ وَمَا يَحْلُ

على أنه حذف الواو من « يَحْلُ » للوقف ، وهى لام الكلمة ، كما حذفت واو الإشباع من « الثقل » فى البيت الذى هو بعده .

وهو مطلع قصيدة لزهير بن أبى سلمى مدح بها سنان بن أبى حارثة المرى .

وصحا : أفاق : أى رجع عقله إليه ، وأقفر : صار قفرا لا أنيس به ، والتعانيق : موضع ، وكذا الثقل — بكسر المثلثة وسكون القاف — موضع ، يقول : أفاق قلبى من حُبّ سلمى لبعدها منه ، وقد كان لا يفيق من شدة التباس حبها به ، وقوله : و « قد كنت من سلمى — إلخ » الصِّير — بكسر الصاد المهملة — : الإشراف على الشىء والقرب منه ، يقال : أنا من حاجتى على صِيرٍ : أى على طرف منها ، وإشراف من قضائها ، وفى الصحاح : « وأمَرَّ الشىء : صار مرا ، وكذلك مَرَّ الشىء يَمَرُّ بالفتح مَرَارة ، وأمَرَّه غيره ومَرَّه » انتهى .

وأنشد العسكرى هذا البيت فى كتاب التصحيف ، وقال : « على صِير أمْرٍ » على منتهاه ، ويقال : صِيره وصَيْرُورَتُه ، قال أبو عمرو : أى على شَرَف أمرٍ ، والياء من يُمِرُّ مضمومة ؛ لأن اللغة العليا أمر الشىء يُمر إمراراً ، وهو مذهب البصريين وابن الأعرابى ، وأهل بغداد يقولون : مَرَّ الشىء ، قالوا : من العرب من يقول : مَرَّ الشىء يَمَرّ مَرَارة ، انتهى .

و « يحلو » مضارع حَلاَ الشىء : أى صار حلوا ، وأما أحْلَى فمعناه أن يجعله حُلوا ، يقال : فلان لا يحلو ولا يُمر : أى لا يأتى بحلو ولا مر ، وقوله « ما يمر وما يحلو » أى : لم يكن الأمر الذى بينى و بينهما مرا فأيأس منه ، ولا حلوا فأرجوه ، وهذا مثل ، وإنما يريد أنها كانت لا تصرمه فيحمله ذلك على اليأس والسلو ولا

تواصله كل المواصلة فيهون أمرها عليه ويشفَى قلبه منها ، يقول : كنت فى هــذه السنين بين يأس وطمع ، ولم أيئس منها فيمِر عيشى ولم أطمع أن تصلنى فيحلو ،

* * *

وأنشد بعده ، وهذا الشاهد الثامن عشر بعد المائة [من الطويل]

١١٨ — صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَقَدْ كَادَ لاَ يَسْلْ

وَأَقْفَرَ مِنْ سَلْمَى التَّعَانِيقُ فَالثِّقْلْ

على أنه حذفت واو الإطلاق من « الثقل » فسكن اللام للوقف ، وهذه الواو ناشئة من إشباع ضمة اللام ، وقد تقدم شرحه

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد التاسع عشر بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه : من الرجز]

١١٩ — دَايَنْتُ أَرْوَى وَالدُّيُونُ تُقْضَى

فَمَطَلَتْ بَعْضًا وَأَدَّتْ بَعْضَا

على أن الألف لايجوز حذفها فى الوقف

قال سيبويه : « وأما يخشى ويرضى ونحوها فإنه لايحذف منهن الألف ؛ لأن هذه الألف لما كانت تثبت فى الـكلام جعلت بمنزلة ألف النصب التى تـكون فى الوقف بدلا من التنوين ، فـكما تبيَّن تلك الألف فى القوافى فلا تحذف ، كذلك لاتحذف هذه ، فلو كانت تحذف فى الـكلام ولا تمد إلا فى القوافى لحذفت ألف يخشى كما حذفت ياء يقضِى ، حيث شبهتها بالياء التى فى «الأيَامِى» ، فإذا ثبتت التى بمنزلة التنوين فى القوافى لم تـكن التى هى لام أسوأ حالا منها ، ألا ترى أنه لايجوز لك أن تقول [من الطويل] :

* . . . . . . لَمْ يَعْلَمْ لَنَا النَّاسُ مَصْرَعْ *

فتحذف الألف ؟ ؛ لأن هذا لايكون فى الـكلام ؛ فهو فى القوافى لايكون ؛

فإنما فعلوا ذلك بيقضى و يغزو لأن بناءها لايخرج نظيره إلا فى القوافى ، وإن شئت حذفته فإنما ألحقتا بما لايخرج فى الـكلام ، وألحقت تلك بما يثبت على كل حال ؛ ألا ترى أنك تقول :

دَايَنْتُ أرْوَى وَالدُّيُونُ تُقْضَي فَمَطَلَتْ بَعْضًا وَأَدَّتْ بَعْضَا

فـكما لا تحذف ألف بعضاً كذلك لا تحـذف ألف تقضى » (١) انتهى . وقوله « فى الأيَّامِى » هو قطعة من بيت لجرير عليه رحمة ربه القدير ، وهو : [من الـكامل]

أَيْهَاتَ مَنْزِلُنَا بِنَعْفِ سُوَيْقَةٍ كَانَتْ مُبَارَكَةً مِنَ الْأَيَّامِى

وقوله : « لم يعلم لنـا الناس الخ » فهو أيضا قطعة من بيت ليزيد بن الطثرية (٢) ، وهو : [من الطويل]

فَبِتْنَا تَحِيدُ الْوَحْشُ عَنَّا كَأَنَّنَا
قَتِيلاَنِ لَمْ يَعْلَمْ لَنَا النَّاسُ مَصْرَعَا

---

(١) انظر كتاب سيبويه (حـ ٢ ص ٣٠٠)

(٢) فى الأغانى (حـ ٨ ص ١٥٥ طبع دار الكتب) : « والطثرية أمه فيما أخبرنى به على بن سليمان الأخفش عن السكرى عن محمد بن حبيب ، امرأة من طثر (بفتح فسكون) وهم حى من اليمن عدادهم فى جرم ، وقال غيره : إن طثراً من عنز ابن وائل إخوة بكر بن وائل ... وزعم بعض البصريين أن الطثرية أم يزيد كانت مولعة باخراج زبد اللبن فسميت الطثرية ، وطثرة اللبن : زبدته » اه وفى القاموس (ط ث ر) « والطثرية محركة : أم يزيد بن الطثرية الشاعر القشيرى » ، ولم يخالفه المرتضى فى شرحه . وفى ابن خلكان (٢ : ٢٩٩) « والطثرية : بفتح الطاء وسكون الثاء وبعدها راء ثم ياء النسب وهاء ، وهى أم يزيد ينسب إليها ، وهى من بنى طثر بن عنز بن وائل ، والطثر : الخصب وكثرة اللبن ، يقال : إن أمه كانت مولعة بأخراج زبد اللبن » اه

وَ« أَرْوَى » بالقصر اسم امرأة .

يقول : أسلفتها محبة ووُدًّا توجب المكافأة عليها فلم تجازنى على فعلى

وهذا مطلع أرجوزة لرؤبة بن العجاج ، إنما هى غزل وافتخار ، قال الأصمعى : هى من رجز رؤبة القديم ، و بعدها :

وَهْىَ تَرَى ذَا حَاجَةٍ مُؤْتَضًّا ذَا مَعَضٍ لَوْلاَ تَرُدُّ الْمَعْضَا

فَقُلْتُ قَوْلاً عَرَبِيًّا غَضًّا لَوْ كَانَ خَرْزًا فِي الْكُلاَ مَا بَضَّا (١)

قال الجوهرى : يقال أَضَّنِي إليك كذا وكذا يَؤُضُّنِي و يَئِضُّنِي : أى ألجأنى واضطرنى ، وائْتَضَّنِي إليه ائتضاضاً : أى اضطرنى إليه ، قال الراجز :

* وَهْىَ تَرَى ذَا حَاجَةٍ مُؤْتَضًّا *

انتهى .

وقوله « ذا مَعَضٍ الخ » هو بالعين المهملة ، قال الجوهرى : مَعِضْتُ من ذلك الأمر أمْعَضُ مَعَضاً . وامتعضت منه ، إذا غضبت وشق عليك ، قال الراجز :

* ذا مَعَضٍ لَوْلاَ تَرُدُّ الْمَعْضَا *

انتهى .

يريد أن فعله من باب فرح ، وجاء فى مصدره تسكين العين أيضاً ، كما فى البيت ، وترد بالبنا للفاعل ، والغض — بالغين المعجمة — : الطرىّ .

وقوله : « لو كان خَرْزاً فى الكُلا » مرادهُ ما بضّ منها بلل : أى لم يسل لإحكامه .

تتمه : لم يذكر الشارح المحقق حكم ألف الإطلاق التى لم يلحقها التنوين ، وحكمُها جواز حذفها سواء كانت فى اسم أم فعل ، وقد ذكرها سيبويه ، قال : « إذا أنشدوا ولم يترنموا فعلى ثلاثة أوجه : ثالثها أن يُجرُوا القوافى مُجْراها لو كانت

(١) انظر هذه الأبيات فى ديوان رؤبه (ص ٧٩)

فى الكلام ولم تكن قوافى شعر ، جعلوه كالكلام حيث لم يترنموا وتركوا المدة [لعلمهم أنها فى أصل البناء] (١) ، سمعناهم يقولون لجرير : [من الوافر]

* أقِلِّى اللَّوْمَ عَاذِلَ وَالْعِتَابْ *

وللأخطل : [من البسيط]

* وَاسْأَلْ بِعَصْمَلَةِ الْبَكْرِىَّ مَافَعَلْ *

وكان هذا أخف عليهم ، ويقولون : [من الرجز]

* قَدْ رَابَنِى حَفْصٌ فحَرِّكْ حَفْصَا *

يثبتون الألف ؛ لأنها كذلك فى الكلام » انتهى .

قال الأعلم : « الشاهد فيه حذف الألف من «مافعلا» حيث لم يرد الترنم ، وهذا فى المنصوب غير المنون جائز حسن ، مثله فى الكلام ، ولا فرق بينه و بين المخفوض والمرفوع فى الحذف والسكون ، مالم يريدوا التغنى ، وقوله « قد رابنى حفص الخ » : «الشاهد فيه إثبات الألف فى قوله «حفصا» لأنه منون ولا يحذف فى الكلام إلا على ضعف كالمُمَلّ » انتهى .

***

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العشرون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه : [من البسيط]

١٢٠ — لاَ يُبْعِدِ اللهُ إِخْوَانًا تَرَكْتُهُمُ
لَمْ أَدْرِ بَعْدَ غَدَاةِ الْبَيْنِ مَاصَنَعْ

على أن أصله « صنعوا » فحذفت واو الضمير للوقف ، و إن كان ينكسر الشعر بحذفها ؛ فإنهم لا يبالون للوقف .

قال سيبويه : « وزعم الخليل أن ياء يقضى وواو يغزو إذا كانت واحدة منهما

(١) الزيادة من كتاب سيبويه (ج ٢ ص ٢٩٩)

حرف الروى [لم تحذف ؛ لأنها ليست بوصل حينئذ ، وهى حرف روى] كما أن القاف فى :

* وقَاتِمِ الأعماقِ خَاوِى المُخْتَرَقْ *

[حرف الروى] ؛ وكما لا تحذف هذه القاف لا تحذف واحدة منهما ، وقد دعاهم حذف ياء يقضى إلى أن حَذَفَ ناسٌ كثير من قيس وأسد الواوَ والياء اللتين هما علامة المضمر ، ولم تكثر واحدة منهما فى الحذف ككثرة ياء يقضى ؛ لأنهما تجيئان لمعنى الأسماء ، وليستا حرفين بنيا على ما قبلهما ، فهما بمنزلة الهاء فى قوله : [من الطويل]

* يا عَجَبًا للدَّهْرِ شَتَّى طَرَائِقُهْ *

سمعت ممن يروى هذا الشعر من العرب ينشده [من البسيط] :

لاَ يُبْعِدِ اللهُ أَصْحَابًا تَرَكْتُهُمُ لَمْ أَدْرِ بَعْدَ غَدَاةِ الْبَيْنِ مَا صَنَعْ

يريد ما صنعوا . وقال [من الكامل]

* يَادَارَ عَبْلَةَ بِالْجِوَاءِ تَكَلَّمْ *

يريد تكلمى » . مع أبيات أخر

قال الأعلم : « الشاهد فيه حذف واو الجماعة من صنعوا ، كما تحذف الواو الزائدة ، إذا لم يريدوا الترنم ، وهذا قبيح لما تقدم من العلة » (١) انتهى .

والبيت من قصيدة لتميم بن أُبَىّ بن مُقْبِل ، وقبله :

ناطَ الفُؤادَ مناطاً لا يُلائمه حَيَّانِ دَاعٍ لإصْعَادٍ وَمُنْدَفِعُ

حتى مَحاضِرُهُمْ شَتَّى وَجَمْعُهُمُ دَوْمُ الأَيَادِى وَفَاثُورٌ إِذَا انْتَجَعُوا

لا يُبْعِدِ اللهُ أصحاباً تركتهمُ . . . . البيت

---

(١) يريد بالذى تقدم أن الواو اسم جاء لمعنى فلا يحسن حذفه كما تحذف حروف الترنم إذا كانت زائدة

ناط الشيء ينوطه نوطاً : أي علّقه ، فالفؤادَ مفعوله ، وحَيَّان : فاعله ، والحى : القبيلة ، وداع ومُندفع : بدل من حيان ، وأصعد من بلد كذا إلى بلد كذا إصعادا : إذا سافر من بلد سفلى إلى بلد عليا ، وأصعد إصعادا ، إذا ارتقى شَرَفا ، كذا فى المصباح ، ومندفع : منحدر إلى أسفل ، وَالْمَحَاضِر : الذين يحضرون المياه ، فى الصّحاح «يقال : على الماء حاضر ، وقوم حُضَّار إذا حضروا المياه ، ومحاضر» ، وشتّى : جمع شتيت بمعنى متفرق ، ودوْم الأيادى : موضع ، وهو فاعل يجمعهم ، وفَاثُورٌ — بالفاء والمثلثة — معطوف على دوم ، قال ياقوت فى معجم البلدان : فاثُور : موضع أو واد بنجد ، وأنشد هذا البيت ، وإذا : ظرف ليجمعهم ، وانتجع القوم : إذا ذهبوا لطلب الكلأ فى موضعه

وقوله « لا يُبْعِدِ الله الخ » لفظه إخبار ومعناه دعاء ، ويجوز أن يقرأ بالجزم على أنه دعاء فى صورة النهى ، و « يبعد » مضارع أبعده بمعنى أهلكه ، ويجوز أن يكون بمعنى بعّده تبعيدا : أى جعله بعيداً ، و « إخوانا » مفعوله ، وتركتهم : فارقتهم ، والبين : الفراق ، وما : استفهامية

وتميم : شاعر إسلامى معاصر للفرزدق وجرير وقد ترجمناه فى الشاهد الثانى والثلاثين من شرح شواهد شرح الكافية

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الواحد والعشرون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه : [من الكامل]

١٢١ — يَادَارَ عَبْلَةَ بِالجِوَاءِ تَكَلَّمْ وَعِمِى صَبَاحاً دَارَ عَبْلَةَ وَاسْلَمْ

على أن أصله تكلمى ، واسلمى ، حذف ضمير المخاطبة منهما — وهو الياء — للوقف

والبيت من أوائل معلقة عنترة بن شداد العبسي ، وعبلة — بالعين المهملة

والموحدة — : اسم امرأة ، والجواء — بكسر الجيم والمد — : اسم موضع ، قال يونس : سئل أبو عمرو بن العلاء عن قول عنترة : وعِمِى صَبَاحاً ، فقال : هو من قولهم : يَعِمِ المطرُ ويَعِمِ البحرُ إذا كثر زبده ، وكأنه يدعو لدارها بكثرة الاستسقاء والخير ، وقال الأصمعى : عِمْ وَانعَمْ واحد : أى كن ذا نعمة وأهل إلا أن عِمْ أكثر فى كلام العرب ، وأنشد بيت امرئ القيس [من الطويل] :

أَلاعِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ البَالِي   وَهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كانَ فِي العُصُرِ الخَالِي

وقد استقصينا ما قيل فى هذه الكلمة فى الشاهد الثالث من أول شرح شواهد شرح الكافية .

و « دار عبلة » منادى ، وحرف النداء محذوف ، يقول : يادار حبيبتى بهذا الموضع تكلمى ، وأخبرينى عن أهلك ما فعلوا ، ثم أضرب عن استخبارها إلى تحيتها فقال : طاب عيشك فى صباحك ، وسلمت يادار حبيبتى .

وقد ترجمنا عنترة مع شرح شىء من هذه القصيدة ، وبيان التسمية وعدد المعلقات فى الشاهد الثانى عشر من أوائل شرح شواهد شرح الكافية .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والعشرون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه [من الطويل]

١٢٢ — * خَلِيلَيَّ طِيرَا بِالتَّفَرُّقِ أَوْقَعَا *

على أنه لايجوز حذف الألف من « قعا » للوقف لأنه ضمير مثنى ، قال سيبويه : « وأنشدنا الخليل :

* خَلِيلَيَّ طِيرَا بِالتَّفَرُّقِ أَوْقَعَا *

فلم يحذف الألف كما لم يحذفها من تَقْضَى » ، قال الأعلم : « أراد أن الألف من قوله « قعا » لاتحذف كما لاتحذف ألف نَقْضَى ، يقال : وقع الطائر إذا نزل بالأرض ، والوقوع : ضد الطيران » انتهى .

وخليليَّ : مثنى خليل مضاف إلى ياء المتكلم ، و«طيرا» فعل أمر من الطيران مسند إلى ضمير الخليلين ، و « قَعَا » فعل أمر من الوقوع مسند إلى ضميرهما ، ومعموله محذوف ، بدليل ما قبله : أى به

ولم أقف على تتمته ولا على قائله والله تعالى أعلم

***

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد المائة [من البسيط] :

١٢٣ — تَعَثَّرَتْ بِهِ فِي الْأَفْوَاهِ أَلْسُنُهَا
وَالْبُرْدُ فِي الطُّرْقِ وَالْأَقْلَامُ فِي الْكُتُبِ

على أنه إذا كان قبل هاء الضمير متحرك فلا بد من الصلة ، إلا أن يضطر شاعر فيحذفها ، كما حذفها المتنبي من قوله « به » ، قال ابن جنى فى سر الصناعة : « ومن حذف الواو فى نحو : [من الوافر]

لَهُ زَجَلٌ كَأَنَّهُ صَوْتُ حَادٍ إِذَا طَلَبَ الْوَسِيقَةَ أَوْ زَمِيرُ

وقول الآخر : [من البسيط]

وَأَشْرَبُ الْمَاءَ مَابِي نَحْوَهُ عَطَشٌ إلاَّ لِأَنَّ عُيُونَهُ سَيْلُ وَادِيهَا

لم يُقَلْ فى نحو «رأيتها» و« نظرتها» إلا بإثبات الألف ، وذلك لخفة الألف وثقل الواو ، إلا أن قد روينا عن قطرب بيتا حذفت فيه هذه الألف تشبيها بالواو والياء لما بينهما و بينها من الشبه ، وهو قوله : [من البسيط]

أَعْلَقْتُ بِالذِّيبِ حَبْلاً ثُمَّ قُلْتُ لَهُ
الْحَقْ بِأَهْلِكَ وَاسْلَمْ أَيُّهَا الذِّيبُ

أما تَقُودُ بِهِ شَاةً فَتَأْكُلَهَا أَوْ أَنْ تَبِيعَهَ فِي بَعْضِ الْأَرَاكِيبِ

يريد تبيعها ، فحذفت الألف ، وهذا شاذ » انتهى . وقافية البيت الثانى مُقْوَاة .

والبيت من قصيدة للمتنبي نظمها فى الكوفة بعد رجوعه إليها من مصر رَثَى بها خَوْلة أخت سيف الدولة بن حمدان البكرى ، وتوفيت بميَّا فَارِقِين ، من ديار بكر ، لثلاث بقين من جمادى الآخرة من سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة وورد خبر موتها العراق ، فرثاها بهذه القصيدة فى شعبان وأرسلها إليه ، وقبله :

طَوَى الجزيرَةَ حَتَّى جَاءَنِى خَبَرٌ فَزِعْتُ فِيهِ بِآمَالِى إِلَى الْكَذِبِ

حَتَّى إِذَا لَمْ يَدَعْ لِي صِدْقُهُ أَمَلاً شَرِقْتُ بِالدَّمْعِ حَتَّى كَادَ يَشْرَقُ بِى

تَعَثَّرَتْ بِهِ فِى الْأَفْوَاهِ أَلْسُنُهَا . . . . البيت

طَىُّ البلاد : قطعها بالسير ، والجزيرة : بلد يتصل بأرض الموصل ، والفزع إلى الشىء : الاعتصام به والالتجاء إليه ، والشَّرَقُ : الغصص ؛ وتعثر الألسن : توقفها عن الإبانة ، مستعار من عثار الرِّجْل ، والبُرْد — بالضم — رجال يحملون الرسائل على دواب تتخذ لهم ، الواحد منها بريد ، يقول : طوى أرض الجزيرة خبر هذه المتوفاة مسرعا غير متوقف حتى طرقنى بغتة ، وورد علىَّ فجأة ، ففزعت بآمالى فيه إلى تكذيب صدقه ومخادعة نفسى فى أمره ، ثم قال : حتى إذا لم يدع لى صدقه أملا أتعلل بانتظاره ورجاء أخدع نفسى بارتقابه أعلنت بالحزن ، واستشفيت بالدمع فأذريت منه ما أشرقنى تتابعه ، وأدهشنى ترادفه ، حتى كدت أُوله كتألمى به وأُشرقه كشرَقِى به ، ثم قال : تعثرت الألسن بذلك الخبر فى الأفواه فلم تظهره لشنعته ، ولم تفصح به لجلالته ، وكذلك تعثرت به البرُد فى الطرق استعظاما لحمله ، والأقلام فى الكتب استكراهاً لذكره

وقد أوردنا ما يتعلق به بأبسط من هذا فى الشاهد السادس والثمانين بعد الأربعمائة من شرح شواهد شرح الكافية

* * *

وأنشد بعده : [من الرمل]

* رَهْطُ مَرْجُومٍ وَرَهْطُ ابْنِ الْمُعَلّْ *

وتقدم شرحه فى الشاهد الثالث بعد المائة

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه : [من الطويل]

١٢٤ — * قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ *

على أن حرف الإطلاق لا يلحق الكلمة فى الوقف إلا فى الشعر إذا أريد التغنى والترنم ، كما ألحقت الياء لام منزل ، ولولا الشعر لكانت اللام ساكنة ، قال سيبويه فى باب وجوه القوافى فى الإنشاد : « أما إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والياء والواو ما ينون وما لا ينون ؛ لأنهم أرادوا مدّ الصوت ، وذلك قولهم لامرىء القيس :

* قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ *

وقال فى النصب ليزيد بن الطثرية : [من الطويل]

فَبِتْنَا تَحِيدُ الْوَحْشُ عَنَّا كَأَنَّنَا قَتِيلاَنِ لَمْ يَعْلَمْ لَنَا النَّاسُ مَصْرَعَا

وقال فى الرفع للأعشى : [من الطويل]

* هُرَيْرَةَ وَدِّعْهَا وَإِنْ لاَمَ لاَئِمُ *

هذا ما ينون فيه ، ومما لا ينون فيه قولهم لجرير : [من الوافر]

* أَقِلِّى اللَّوْمَ عَاذِلَ وَالْعِتَابَا *

وقال فى الرفع لجرير أيضا : [من الوافر]

* سُقِيتِ الْغَيْثَ أَيَّتُهَا الْخِيَامُ *

وقال فى الجر لجرير أيضا : [من الكامل]

* كَانَتْ مُبَارَكَةً مِنَ الْأَيَّامِ *

وإنما ألحقوا هذه المدة فى حروف الروى لأن الشعر وضع للغناء والترنم ، فألحقوا كل حرف الذى حركته منه ، فإذا أنشدوا ولم يترنموا فعلى ثلاثة أوجه : أمّا أهل الحجاز فيَدَعُون هذه القوافى : ما نون منها ، وما لم ينون ، على حالها فى الترنم ، ليفرقوا بينه وبين الكلام الذى لم يوضع للغناء ، وأما ناس كثير من بنى تميم فإنهم يبدلون مكان المدة النونَ فيماينوَّن وفيما لم ينون لما لم يريدوا الترنم أبدلوا مكان المدة نونًا ، وافظوا بتمام البناء وما هو منه ، كما فعل أهل الحجاز ذلك بحروف المد ، سمعناهم يقولون للعجاج : [من الرجز]

* يا أبتا علّكَ أوْ عسَاكَ كَنْ *

و * ياصاح ما هاجَ الدُّمُوعَ الذُّرَّفَنْ *

وقال العجاج :

* منْ طللٍ كالأتْحَمِيِّ أنْهَجَنْ *

وكذلك الجر والرفع ، والمكسور والمفتوح والمضموم فى جميع هذا كالمجرور والمنصوب والمرفوع ، وأما الثالث فأن يجروا القوافى مُجْرَاها لو كانت فى الكلام ولم تكن قوافى شعر ، جعلوه كالكلام حيث لم يترنموا وتركوا المدة | لعلمهم أنها فى أصل البناء | (١) ، سمعناهم يقولون لجرير : [من الوافر]

* أقِلّى اللَّوْمَ عاذلَ والعتابْ *

والأخطل : [من البسيط]

* واسْأَلْ بمَصْقَلةَ البَكْرِىِّ مَا فَعَلْ *

وكان هذا أخفّ عليهم . ويقولون : [من الرجز]

* قدْ رابنى حفْصٌ فحَرِّكْ حفْصَا *

(١) هذه الزيادة عن سيبويه (٢ : ٢٩٩)

يثبتون الألف لأنها كذلك فى الكلام » انتهى كلام سيبويه ، ونقلناه برمته ؛ لأن الشارح المحقق لم يورد مسائله بتمامها

والمصراع صدر ، وعجزه

* بِسَقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ *

والبيت مطلع معلقة امرىء القيس ، وقد شرحناه شرحا وافيا فى الشاهد السابع والثمانين بعد الثمانمائة من شواهد شرح الكافية

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد المائة : [من الخفيف]

١٢٥ — * آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُو *

على أن واو الإطلاق لحقت الهمزة من « أسماء » فى الوقف لإرادة الترنم ، ولو كان فى نثر لسكنت الهمزة ولما جاز إلحاق الواو لها

والمصراع صدر ، وعجزه :

* رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ *

والبيت مطلع معلقة الحارث بن حِلِّزَةَ اليَشْكُرِى ، وبعده :

آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا ثُمَّ وَلَّتْ لَيْتَ شِعْرِى مَتَى يَكُونُ اللِّقَاءُ

و « آذنتنا » أعلمتنا ، قال تعالى : (فقل آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ) قال ابن السكيت : يقال : آذن يُؤْذن إيذانا ، وأذَّن يُؤَذِّن تأذينا ، والاسم الأَذَان ، بمعنى الإعلام ، والبين : الفراق ، مَصْدَر بَانَ يَبِين بَيْنًا وَبَيْنُونَةً ، وأسماء : اسم امرأة ، لا ينصرف للعلمية والتأنيث ، وأصله وَسْمَاء ، أبدلت الواو همزة ، ووزنه فَعْلاء ، من الوَسْم والوَسَامة : أى الحسن والجمال ؛ ولم يصب النحاس فى شرح المعلقة فى زعمه أنه قبل العلمية جمع اسم (١) قال : ولو سميت به رجلا

---

(١) عدم تصويب أبى جعفر النحاس فى ذلك غير سديد ؛ فان هذا مذهب

لـكان الأكثر فيه الصرف؛ لأنه جمع اسم ، وقد قال : إنه لا ينصرف إذا سميت به رجلا لأن الأصل أن يكون اسما لمؤنث فقد صار بمنزلة زينب » انتهى

وقوله « رُبَّ ثاو — الخ » أرسله مثلا ، والتقدير رب شخص ثاوٍ ، وجواب رُبَّ العامل فى محل مجرورها هو يُمَلّ بالبناء للمفعول ، بمعنى يُسْأَم ، يقال : مَلِلْتُه أَمَلُّه ورجل مَلُول ومَلُولة ، والهاء للمبالغة ، والثاوى : المقيم ، يقال : ثَوَى يَثْوِى ثَوَاء وَثَوَاية ، إذا أقام ، يقول : أعلمتنا أسماء بمفارقتها إيانا : أى بعزمها على فراقنا ، ورب مقيم تُمَلّ إقامته ، ولم تكن أسماء ممن يُمَلّ وإن طال إقامتها .

وتقدم ترجمته مع شرح أبيات من هذه المعلقة وذكر سببها فى الشاهد الثامن والأربعين من شرح شواهد شرح الكافية

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد المائة [من الطويل]

١٢٦ — وَمُسْتَلْئِمٍ كَشَّفْتُ بِالرُّمْحِ ذَيْلَهُ أَقَمْتُ بِعَضْبٍ ذِى شَقَاشِقَ مَيْلَهُ

لما تقدم قبله

والواو واو رب ، والمستلئم : اسم فاعل من استلأم الرجل : أى لبس اللَّأْمة ، واللأمة بالهمز : الدرع ، وكشفت — بالتشديد — للمبالغة ، وذيله : مفعوله ، يعنى طعنته بالرمح فسقط عن فرسه وانكشف ذيله ، وأقمت : بمعنى عدّلت تعديلا ، والعَضْب — بفتح العين المهملة وسكون الضاد المعجمة — : السيف القاطع ، وهنا مستعار للسان(١) ، شبه به للتأثير والإيلام ، والشقاشق : جمع شِقْشِقة

للفراء ، نعم الأول مذهب سيبويه ، وهو أرجح المذهبين ؛ لكون النقل إلى العلمية من الصفة أكثر من النقل من الجمع .

(١) دعاه إلى ذلك التصحيف ، والرواية « بعضب دى سفاسق » والسفاسق : جمع سفسقة ، وهى فرند السيف ، وانظر اللسان .

بكسر الشين ، وهى شىء كالرئة يخرجها البعير من فيه إذا هاج ، ويشبه الفصيح المنطيق بالفحل الهادر ، ولسانه بشقشقته ، وميله : اعوجاجه ، وهو مفعول أقمت

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه [من الرجز] :

١٢٧ — بِبَازِلٍ وَجْنَاء أَوْ عَيْهَلِّ

على أنهم جوزوا فى الشعر تحريك اللام المضعف لأجل حرف الإطلاق مع أن حقه السكون فى غير الشعر كما جوزوا فيه أن يحركوا لأجل المجىء بحرف الإطلاق ما حقه السكون فى غيره

قال سيبويه : «وأما التضعيف فقولك : هذا خالدّ ، وهو يجعلّ ، [وهذا فَرَجّ] [(١)] حدثنا بذلك الخليل عن العرب ، ومن ثمّ قالت العرب [فى الشعر][(١)] فى القوافى سَبْسَبّا تريد السَّبْسَبَ ، وعيهلّ تريد العيهلُ ؛ لأن التضعيف لما كان فى كلامهم فى الوقف أتبعوه الياء فى الوصل والواو على ذلك . كما يلحقون الواو والياء فى القوافى فيما لا تدخله واو ولا ياء فى الكلام ، وأجروا الألف مجراها ؛ لأنها شريكتهما فى القوافى ، ويمد بها فى غير موضع التنوين ، [ويلحقونها فى غير التنوين][(١)] ؛ فألحقوها بهما فيما ينون فى الكلام ، وجعلت سَبْسَب كأنه مما لا تلحقه الألف فى النصب ، إذا وقفت ، قال رجل من بنى أسد [من الرجز]

* بِبَازِلٍ وَجْنَاء أَوْ عَيْهَلِّ *

وقال رؤبة : [من الرجز]

لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ أَرَى جَدَبَّا　　فِى عَامِنَا ذَا بَعْدَ مَا أَخْصَبَّا

أراد جَدْبا ؛ وقال رؤبة : [من الرجز]

---

(١) هذه الزيادة عن كتاب سيبويه (٢ : ٢٨٢)

* بَدْءًا يُحِبُّ الْخُلُقَ الأَضْخَمَّا *

فعلوا هذا إذ كان من كلامهم أن يضعفوا » انتهى كلامه

وقوله « ومن ثمة قالت العرب فى الشعر سبسبًّا تريد السبب ، وعيهلٌّ تريد العيهل » صريحٌ فى أنه ضرورة ، وكذا صرح الأعلم بقوله : « الشاهد فيه تشديد عيهلٌّ فى الوصل ضرورة ، وأراد جَدْبًا فشدد الباء ضرورة ، وحرك الدال بحركة الباء قبل التشديد لالتقاء الساكنين ، وكذلك شدد أخْضَبًّا للضرورة » انتهى .

فقول الشارح المحقق « وليس فى كلام سيبويه ما يدل على كون مثله شاذا أو ضرورة » مخالفٌ لنصه

وقد أورده ابن السراج فى باب الضرائر الشعرية من كتابه الأصول ، قال : « الثانى إجراؤهم الوصل كالوقف ؛ من ذلك قولهم فى الشعر للضرورة فى نصب [(١) سَبْسَب وكلكل رأيت سبسبًّا وكلكلاْ ، ولا يجوز مثل هذا فى الكلام ، إلا أن تخفف ، وإنما جاز هذا فى الضرورة لأنك كنت تقول فى الوقف فى الرفع والجر : هذا سَبْسَبْ ، ومررت بِسَبْسَبّ ، فتثقل على أنه متحرك الآخرِ فى الوصل ؛ لأنك إذا ثقلت لم يجز أن يكون الحرف الآخر إلا متحركا ؛ لأنه لا يلتقى ساكنان ، فلما اضطر إليه فى النصب أجراه على حاله فى الوقف ، وكذلك فعل به فى القوافى المرفوعة والمجرورة فى الوصل ، ثم أنشد أبيات سيبويه ، وقال : فهذا أجراه فى الوصل على حده فى الوقف » انتهى .

وكذلك عده ابن عصفور ضرورة فى كتاب الضرائر ، وقد نقلنا مثله من المسائل العسكرية لأبى على فى الشاهد الثانى والأربعين بعد الأربعمائة من شواهد شرح الكافية

---

(١) سقطت هذه الكلمة من بعض النسخ

وقال ابن جنى فى شرح تصريف المازنى : «التثقيل إنما يكون فى الوقف ، ليعلم باجتماع الساكنين فى الوقف أنه متحرك فى الوصل ، حرصا على البيان ؛ لأنه معلوم أنه لا يجتمع فى الوصل ساكنان ، وعلى هذا قالوا : خالدّْ وهو يجعلّْ ، فإذا وصلوه قالوا : خالدٌ أتى ، وهو يجعلُ لك ، فكان سبيله إذا أطلق فى الأضخم بالنصب أن يزيل التثقيل ، إلا أنه أجراه فى الوصل مجراه فى الوقف للضرورة ، ومثله : [من الرجز]

* بِبَازِلٍ وَجْنَاءَ أَوْ عَيْهَلِّ *

يريد العَيْهَلَ ، وهذا أكثر من أن أضبطه لك لسعته وكثرته » .

وقال فى المحتسب أيضاً : « وقد كان ينبغى — إذ كان إنما شدد عوضاً من الإطلاق — أنه إذا أطلق عاد إلى التخفيف إلا أن العرب قد تجرى الوصل مجرى الوقف تارة ، وتارة الوقف مجرى الوصل » انتهى .

والبيت من أرجوزة طويلة لمنظور بن مَرْثَد الأسدى ، وقيل : لمنظور بن حَبَّة (١) الأسدى ، أولها :

أَيْنَ شَبَابِي [كان] (٢) لِلأَوَّلّ وغضٌ عَيْشٍ قَدْ خَلا أَرْغَلّ

شدد لام أوّل ، وأرغلُ كذلك ، وهو بالغين المعجمة ، قال صاحب العباب « وعيش أرغَل وأغرل : أى واسع »

* مَنْ لِيَ مِنْ هِجْرَانِ لَيْلَى مَنْ لِي *

* وَالْحَبْلِ مِنْ حِبَالِهَا الْمُنْحَلِّ *

---

(١) منظور بن حبة هو بعينه منظور بن مرثد ، قال المجد : « ومنظور بن حبة راجز ، وحبة أمه ، وأبوه مرثد » اهـ

(٢) هذه زيادة يقتضيها الوزن ، وقد بحثنا عن هذا البيت فى كثير من المظان لنثبت لفظ الشاعر نفسه فلم نجده ، فأثبتنا ما يقتضيه المقام

قال أبو على فى المسائل العسكرية : «المنحل لا يخلو من أن يكون محمولا على الحبل أو الحبال ، وكلا الأمرين قبيح»

تَعَرَّضَتْ لِى بِمَكَانٍ حِلِّ   تَعَرُّضَ الْمُهْرَةِ فى الطِّوَلِّ

* تَعَرُّضاً لَمْ تَعْدُ عَنْ قَتْلاً لِى (١) *

قال أبو على : قال «أبوالحسن (١) : يكون « عَنْ قَتْلاً لى » على الحكاية ، ويكون يريد أَنْ ؛ فأبدل منها العين فى لغة من يقولون فى أَنَّ : عَنَّ ، وتسمى عنعنة تميم » انتهى .

والطِّوَل بكسر الطاء وتخفيف اللام ، وشددت لما ذكرنا ، وهو الحبل الذى يطول للدابة فترعى فيه ، ورواه صاحب العباب :

* تَعَرُّضاً لَمْ تَأْلُ عَنْ قتلٍ لِى *

أى : لم تقصر عن قتل ، وهذا ظاهر لا يحتاج إلى تأويل :

تَرَى مَرَادَ نِسْعِهِ الْمُدْخَلِّ   بَيْنَ رَجَى الْحَيْزُومِ وَالْمَرْحَلِّ

* مِثْلَ الزَّحَالِيفِ بِنَعْفِ التَّلِّ *

وقال ابن جنى فى سر الصناعة : «يريد الْمُدْخَلَ والمَرْحَلَ فشدد» ؛ إلى أن قال :

إِنْ تَبْخَلِى يَا جُمْلُ أَوْ تَعْتَلِّى   أَوْ تُصْبِحِى فِى الظَّاعِنِ الْمُوَلِّى

(١) هذان وجهان ذكرهما ابن المكرم عن ابن برى ، وذكر وجهاً ثالثاً عن سيبويه عن الخليل ، قال : أراد عن قتلى ، فلما أدخل عليه لاماً مشددة كما أدخل نوناً مشددة فى قول دهلب بن قريع

جَارِيَةٌ لَيْسَتْ مِنَ الْوَخْشَنِّ   كَأَنَّ مَجْرَى دَمْعِهَا الْمُسْتَنِّ

قُطُنَّةٌ مِنْ أَجْوَدِ الْقُطُنِّ   أُحِبُّ مِنْكِ مَوْضِعَ الْقُرْطُنِّ

وصار الاعراب فيه ـ فتح اللام الأولى كما تفتح فى قولك مررت بتمر وبتمرة وبرجل وبرجلين » اهـ

نُسَلِّ وَجْدَ الْهَائِمِ الْمُغْتَلِّ بِبَازِلٍ وَجْنَاءَ أَوْ عَيْهَلِّ
كَأَنَّ مَهْوَاهَا عَلَى الْكَلْكَلِّ وَمَوْقِعاً مِنْ ثَفِنَاتٍ زُلِّ
مَوْقِعُ كَفَّىْ رَاهِبٍ يُصَلِّى فِى غَبَشِ الصُّبْحِ وَفِى التَّجَلِّى

جُمل : اسم امرأة — بضم الجيم — وتعتلى : من الاعتلال وهو التمارض والتمسك بحجة ، ونُسَلِّ : من التسلية ، وهى تطييب النفس ، وهو جواب الشرط ، والمغتل — بالغين المعجمة —: الذى قد اغتل جوفه من الشوق والحب والحزن ، كغُلة العطش ، و « ببازل » متعلق بنُسل ، والبازل : الداخل فى السنة التاسعة من الإبل ذكراً كان أم أنثى ، والوجناء : الناقة الشديدة ، والعيهلّ : الناقة الطويلة ، ومَهْواها : مصدر ميمى بمعنى السقوط ، والكلكل : الصدر ، قال أبو على : « استعمال العيهل والكلكل بتخفيف اللام ، قدر الوقف عليه فضاعف إرادة للبيان ، وهذا ينبغى أن يكون فى الوقف دون الوصل ؛ لأن ما يتصل به فى الوصل يبين الحرف وحركته ، و يضطر الشاعر فيجرى الوصل بهذه الإطلاقات فى القوافى مجرى الوقف ، وقد جاء ذلك فى النصب أيضاً ، قال : [من الرجز]

* مِثْلُ الْحَرِيقِ وَافَقَ الْقَصَبَّا *

وَهَذَا لاَ يَنْبغِى أن يكون فى السعة » انتهى

والثفِنة — بفتح المثلثة وكسر الفاء بعدها نون — وهو ما يقع على الأرض من أعضاء الإبل إذا استناخ وغلظ كالركبتين ، وزُلّ — بضم الزاى — : جمع أزَلّ ، وهو الخفيف ، شبه الأعضاء الخشنة من الناقة بكثرة الاستناخة بكفى راهب قد خشنتا من كثرة اعتماده عليهما فى السجود ، والغَبَش — بفتحتين — : بقية الليل ، وأراد بالتجلى النهار ، قال السخاوى فى سفر السعادة : « وهذا الشعر لمنظور بن مرثد الأسدِى ، وقد روى لغيره ، و يزاد فيه :

إن صَحّ عَنْ دَاعِي الْهَوَى الْمُضِلّ ضَحْوَة نَاسِي الشَّوْقِ مُسْتَبِلّ
أَوْ تَعْدُنِي عَنْ حَاجِهَا حَاجٌ لِي نُسّلٌ وَجْدَ الْهَائِمِ الْمُغْتَلّ »

انتهى .

ومستَبِل : من أبلّ من مرضه ، إذا صح وتوجه إلى العافية ، وتَعْدُنِي : تتجاوزنى ، وحاج : جمع حاجة

وقد تكلمنا على هذه الأبيات فى شواهد شرح الكافية بأبسط من هذا .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد المائة : [من الوافر]

١٢٨ — * وَلاَ تُبْقِى خُمُورَ الأَنْدَرِينَا *

على أن [حق] (١) نون الأندرين فى الكلام السكون عند الوقف

وهذا عجز وصدره :

* أَلاَ هُبِّى بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينَا *

وهو مطلع معلقة عمرو بن كلثوم التغلبى

و « ألا » حرف يفتتح به الكلام ومعناه التنبيه ، وهُبِّى : فعل أمر مسند إلى ضمير المخاطبة ، ومعناه قومى من نومك ، يقال : هب من نومه يَهُب — بالضم — هبا ، إذا انتبه وقام من موضعه ، والصَّحْن : الكبير الواسع ، واصْبَحِينا : اسقينا الصَّبُوح ، وهو الشرب بالغداة ، وهو خلاف الغَبُوق ، يقال : صَبَحه صَبْحًا — من باب نفع — واصطبح : أى شرب الصبوح ، والعرب تسمى شرب الغداة صَبُوحاً — بفتح الصاد — وشُرب نصف النهار قَيْلاً — بفتح القاف — وشرب العشاء غَبُوقا — بفتح الغين — وشرب الليل فحمة —

(١) كان الأصل « على أن نون الأندرين فى الكلام على السكون ... الخ » وهو غير ظاهر المعنى فأثبتنا ما ترى ليستقيم الكلام

بفتح الفاء وسكون المهملة — وشرب السحر جَاشِرِيَّةٌ — بالجيم والشين المعجمة — وقد نظمها محمد التوَّجىّ (١) فقال : [من الطويل]

صَبُوحٌ وَقَيْلٌ وَالْغَبُوقُ وَفَحْمَةٌ لَدَى الْعَرَبِ الْعَرْبَاءِ يَاصَاحِ تُعْتَبَرْ
لِشُرْبِ غَدَاةٍ وَالظَّهِيرَةِ وَالْعِشَا وَلَيْلٍ ، وَشُرْبُ الْجَاشِرِيَّةِ بِالسَّحَرْ

وقوله « ولاتبقى الخ » أبقيت الشيء و بقَّيته بمعنًى: أى لا تبقيها لغيرنا وتسقيها سوانا ، والمعنى ولا تدخرى خمر هذه القرية . والأَندرينُ : قرية بالشام ، وهى معدن الخمر ، وقيل : إنما هى أندر ، وجمعها بما حولها ، وقيل : إنها أندرون ، وفيها لغتان : منهم من يرفعه بالواو و يجره وينصبه بالياء، و يفتح النون فى كل ذلك ، ولهذا قال « خمور الأندرينا » ومنهم من يجعل الإعراب على النون و يجعل ما قبلها ياء فى كل حال ، و إنما فتح(٢) هنا فى موضع الجر لأنه لا ينصرف للعلمية والتأنيث ، أو للعلمية والعجمة

وقال أبو إسحق : « و يجوز أن تأتى بالواو ، ويحتمل الإعراب على النون ، و يكون مثل زيتون ، وخبرنا بهذا أبو العباس المبرد ، ولا أعلم أحدا سبقه إليه » وقال أبوعبيد فى معجم ما استعجم : « الأَنْدَرِينُ : قرية بالشام ، وقال الطوسى : قرية من قرى الجزيرة ، وأنشد هذا البيت » وقال ياقوت فى معجم البلدان : « الأندرين : اسم قرية فى جنوبى حلب ، بينهما مسيرة يوم للراكب ، فى طرف البرية ليس بعدها عمارة ، وهى الآن خراب ليس إلا بقية جُدُر ، و إياها عنى عمرو بن كلثوم بقوله :

* وَلاَ تُبْقِى خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا *

وهذا مالا شك فيه ، سألت عنه ذوى المعرفة من أهل حلب فكل وافق

---

(١) نسبة إلى توج ، وهى مدينة بفارس قريبة من كازرون ، فتحت فى أيام عمر ابن الخطاب ، وأمير المسلمين فى الموقعة مجاشع بن مسعود

(٢) غير مستقيم لوجود ال ، بل هو على اللغة الأولى لاغير .

عليه ، وقد تكلف جماعة اللغويين لمّا لم يعرفوا حقيقة اسم هذه القرية ، وألجأتهم الحيرة إلى أن شرحوا هذه اللفظة من هذا البيت بضروب الشروح ؛ فقال صاحب الصحاح : الأندر : اسم قرية بالشام ، إذا نسبت إليها تقول : هؤلاء الأندريون ، وذكر البيت ، ثم قال : لما نسب الخمر إلى هذه القرية اجتمعت ثلاث ياءات فخففها للضرورة كما قال الآخر : [من الوافر]

* وَمَا عِلْمِي بِسِحْرِ الْبَابِلِينَا *

وقال صاحب كتاب العين : الأندرىّ ، ويجمع الأندرين [يقال : هم الفتيان يجتمعون من مواضع شتى ، وأنشد البيت ، وقال الأزهرى : الأَنْدَر قرية بالشأم فيها كروم ، وجمعها الأندرين] [(١)] فكأنه على هذا المعنى أراد خمور الأندريين فخفف ياء النسبة ، كما قال الأشعرين فى الأشعريين ، وهذا حسن منهم ، صحيحُ القياس ؛ مالم يعرف حقيقة اسم هذا الموضع ، فأما إذا عرفت فلا افتقار بنا إلى هذا التكلف » انتهى باختصار

وتقدم ذكر هذه المعلقة مع ترجمة ناظمها فى الشاهد الثامن والثمانين بعد المائة من شواهد شرح الكافية

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد المائة : [من الكامل]

١٢٩ — لَعِبَ الرِّيَاحُ بِهَا وَغَيَّرَهَا بَعْدِى سَوَافِي الْمُورِ وَالْقَطْرِ

على أن تحريك الراء بالكسر لأجل حرفَ الإطلاق وهو الياء [(٢)] ، وليس بشاذ اتفاقاً ، مع أن حقه السكون فى غير الشعر

---

(١) الزيادة من ياقوت

(٢) هذا الذى أثبتناه هو الموافق لروى القصيدة التى منها هذا البيت ، ووقع فى الأصول « على أن تحريك الراء بالضم لأجل حرف الاطلاق وهو الواو » وهو خطأ ظاهر

والبيت من قصيدة لزهير بن أبى سُلمى ، وقبله وهو مطلع القصيدة

لِمَنِ الدِّيَارُ بِقُنَّةِ الْحِجْرِ أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ شَهْرِ

وهـذا الاستفهام تعجب من شـدة خرابها حتى كأنها لاتعرف ولا يعرف سكانها ، وقنـة الشيء — بضم القاف وتشديد النون — : أعـلاه ، وحَجْر — بفتح الحاء المهملة وسكون الجيم — : قصبة اليمامة ، وأل فيه زائدة لضرورة الشعر ، وقيل : العَلَم إنما هو الحَجْر بأل . وأقوين : أقفرن ، يقال : أقوت الدار إذا خلت من سكانها ، والحِجَجُ — بكسر الحاء المهملة وفتح الجيم الأولى — : جمع حِجَّة — بالـكسر أيضاً — وهى السنة ، وأراد بالشهر الشهور فوضع الواحد موضع الجمع اكتفاء به ، والسوافى : جمع سافية اسم فاعل من سفت الريح التراب سفيا ، إذا ذرته ، والمورُ — بضم الميم — : الغبار بالريح ، والقطر : المطر

قال أبو عبيد : « ليس للقطر سواف ، ولـكنه أشركه فى الجر »

أقول : ليس هذا من الجر على الجوار ؛ لأنه لا يكون فى النسق ، ووجهه أن الرياح السوافى تذرى التراب من الأرض وتنزل المطر من السحاب

وقد شرحنا هذين البيتين شرحا وافيا فى الشاهد الرابع والسبعين بعـد السبعمائة من شواهد شرح الـكافية

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثلاثون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه :

[من الرجز]

١٣٠ — لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ أَرَى جَدَبَّا فِي عَامِنَا ذَا بَعْدَ مَا أَخْصَبَّا

إِنَّ الدَّبَا فَوْقَ المُتُونِ دَبَّا وَهَبَّتِ الرِّيحُ بِمُورٍ هَبَّا

تَتْرُكُ مَا أَبْقَى الدَّبَا سَبْسَبَّا كَأَنَّهُ السَّيْلُ إِذَا اسْلَحَبَّا

أَوِ الْحَرِيقُ وَافَقَ الْقَصَبَّا وَالتِّبْنَ وَالْحَلْفَاءَ فَالْتَهَبَّا

على أن تحريك المضعف للوقف كثير ، وليس ضرورة عند سيبويه

تقدم قبله أن هـذا النقل خلاف نصه ، وهو فى هـذا تابع لقول المفصل : « وقد يُجْرَى الوصل مجرى الوقف ؛ منه قوله :

* مِثْلُ الْحَرِيقِ وَافَقَ الْقَصَبَّا *

ولا يختص بحال الضرورة ، يقولون : ثلثَهْرَبعة ، وفى التنزيل (لَـكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّى) » انتهى

وقد رد عليه الأندلسى فى شرحه قال : « جمع فى هذا الفصل بين مالايجوز إلا فى الضرورة و بين مايجوز فى غيرها ؛ فقوله « ولا يختص هذا بحال الضرورة » ينبغى أن يكون فى آخر الفصل حتى يرجع إلى ثلثَهْرَبعة ، و (لَـكِنَا هُوَ اللهُ رَبِّى) أو يعنى به أن التشديد فى الوقف لايختص بالضرورة ، فأما أن يعنى به أن تحريك المشدد لأجل الوقف يجوز فى غير الضرورة فمما لايعرف ، فإنه من المشهور أن من جملة المعدود فى الضرورات تشديد المخفف ، وأصله الوقف ، ثم للشاعر أن يجرى الوصل مجرى الوقف ، بل غير سيبويه لايجيز التشديد فى المنصوب إلا فى الشعر ، فـكيف لايختص هذا بالضرورة » انتهى .

ونقـله ابن المستوفى فى وسلمه ، قال : « إنما أراد الزمخشرى بقوله « ولا يختص بالضرورة » ماذكره من قوله « وقـد يجرى الوصل مجرى الوقف » ولم يرد أن تحريك المشدد لأجل الوقف جائز ، ولهذا علله بثَلَثَهْرَبَعَة ، و (لَـكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّى) ، فلا شبهة فى أن هذين الموضعين أجرى فيهما الوصل مُجرَى الوقف ، وهما من كلام فصحاء العرب والوارد فى الـكتاب العزيز ، وأما إسناده البيت لِيُرِيكَ صورة إجراء الوصل مجرى الوقف لا أنه ممن يخفى عليه ذلك » انتهى .

و بالغ ابن يعيش فى شرحه فممم ، قال : « قد يُجْرى الوصل مجرى الوقف ، و بابه الشعر ، ولا يكون فى حال الاختيار ، من ذلك قولهم : السبْسَبَّا والـكَلْكَلّ ،

وربما جاء ذلك فى غير الشعر تشبيهاً بالشعر ، ومن ذلك ما حكاه سيبويه من قولهم فى العدد : ثَلَثْهَرْبَعَة ، ومنه (لـكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّى) فى قراءة ابن عامر بإثبات الألف » هذا كلامه

وهو غير جيد ، والأولى التفصيل ، وحرره ابن عصفور بقوله فى كتاب الضرائر : « ومنها تضعيف الآخر فى الوصل إجراء له مجرى الوقف ، نحو قول ربيعة بن صُبيح [من الرجز] :

* تَتْرُكُ ما أبْقَى الدَّبَا سَبْسَبَّا * الأبيات

فشدد آخر سَبْسَبًّا والقَصَبَّا وَالتَّهَبَّا فى الوصل ضرورة ، وكأنه شدّد وهو ينوى الوقف على الباء نفسها ، ثم وصل القافية بالألف فاجتمع له ساكنان فحرك الباء وأبقى التضعيف ؛ لأنه لم يَعْتَدّ بالحركة لكونها عارضة ، بل أجرى الوصل مجرى الوقف ، ومثل ذلك قول الآخر :

بِبَازِلٍ وَجْنَاء أَوْ عَيْهَلِّ ... كَأَنَّ مَهْوَاهَا عَلَى الْـكَلْـكَلِّ

يريد أو عيهلٍ وعلى الكلكل ، فشدد » انتهى .

وقال شارح شواهد أبى على الفارسى : « جلبه شاهدا على أن الشاعر لم يحدث فيه أكثر من القطع لألف الوصل » (١)

وهذه الأبيات الثمانية نسبها الشارح المحقق تبعا لابن السيرافى وغيره إلى رؤبة ، وقد فتشت ديوانه فلم أجدها فيه (٢)

وقال أبو محمد الأعرابى فى فرحة الأديب : « توهم ابن السيرافى أن الأراجيز

---

(١) فى الأصول « على أن الشاعر إذا لم يحدث فيه الح » وكلمة (إذا) لم يظهر لنا وجه إثباتها لحذفناها ، والظاهر أن مراد شارح شواهد أبى على بقطع همزة الوصل كلمة أخصبا ، وكأنه جعلها من باب احمر ونحوه

(٢) قد فتشنا ديوان أراجيز رؤبة فوجدنا هذه الأحد عشر بيتا مسطورة فى زيادات ديوانه (ص ١٦٩) التى عثر عليها ناشره فى كتب غير الديوان منسوبة إليه

كلها لرؤبة ؛ لأجل أن رؤبة كان راجزا ، وهذه عامية ، وليست الأبيات لرؤبة ، بل هى من شوارد الرجز لا يعرف قائلها ، والأبيات التى جاء بها مختل أكثرها ، والصواب :

إِنِّي لَأَرْجُو (١) أَنْ أَرَى جَدَبًّا   فِي عَامِكُمْ ذَا بَعْدَ مَا أَخْصَبًّا
إِذَا الدَّبَا فَوْقَ الْمُتُونِ دَبَّا   وَهَبَّتِ الرِّيحُ بِمُورٍ هَبَّا
تَتْرُكُ مَا أَبْقَى الدَّبَا سَبْسَبًّا   أَوْ كَالْحَرِيقِ وَافَقَ الْقَصَبَّا
وَالتِّبْنَ وَالْحَلْفَاءَ فَالْتَهَبَّا   كَأَنَّهُ السَّيْلُ إِذَا اسْلَحَبَّا

وتمام الأبيات ولا يتم معنى البيت إلا بها :

حَتَّى تَرَى الْبُوَيْزِلَ الْأَزَبَّا   وَالسَّدَسَ الضُّوَاضِيَ الْمُحِبَّا
مِنْ عَدَمِ الْمَرْعَى قَدِ اجْلَعَبَّا »

انتهى .

قلت : بقى بيت آخر لم يورده ، وهو :

* تبًّا لِأَصْحَابِ الشَّوِيِّ تَبًّا *

ونسبها ابن عصفور وابن يَسْعُونَ نقلا عن الجرمى والسخاوى إلى ربيعة بن صُبيح ، وكذا قال شارح أبى على الفارسى والله أعلم .

وأورد الأبيات ابن هشام اللخمى فى شرح أبيات الجمل كرواية الشارح ، وقال : أخبر أنه إنما خاف الجَدْب لأجل الجراد الذى هبّ فى متون الأرض ؛ فأكل ما مر عليه ، ثم هبت الريح فاقتلعت ما أبقى الدّبا ولم تترك شيئا من المرعى

---

(١) المحفوظ — وهو الموافق لما رواه الشارح المحقق ولما فى زيادات الديوان —
* لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ أَرَى جَدَبَّا *
وفيه « فى عامنا » وفيه « إن الدبا » وفيه « كأنه الحريق » وفيه « الإِرْزَبَّا » وفيه « قد أُقْرَعَبَّا »

ولا غيره ، فشبهها بالسيل فى حمله ما يمر عليه ، أو بالنار إذا وافقت القصب والتبن والحلفاء ؛ فإنها تحطم جميعها

وقوله بعد « ما أخصبا » ما : مُهَيِّئة عند المبرد ، و مَصْدَرِية عند سيبويه »

انتهى .

ورواية أبى محمد الأعرابى دعاء على المخاطبين بخلاف الروايه الأولى فإنها إخبار عما وقع ، وأرى بصرية ، والجَدْب — بفتح الجيم وسكون الدال — : نقيض الخِصْب والرخاء ، ومكان جَدْب أيضاً وجَدِيب : بين الجدوبة ، وأرض جَدْبة ، وأجدب القوم : أصابهم الجدب ، وأجْدَبْتُ أرضَ كذا : وجَدْتُها جدبة ، قال السخاوى فى سفر السعادة : « و جَدَبَّا أصله جدْبا بإسكان الدال ، و إنما حركها لالتقاء الساكنين حين شدد الباء ، و إنما حركها بالفتح لأنها أقرب الحركات إليه » وقال فى موضع آخر : « و شدد الباء فى الشعر فى الوصل تشبيهاً بحال الوقف » وقال أبو الفتح : « لا يقال فى هذا إنه وقف ولا وصل » وقوله « أخصبا » هو من الخِصب — بالكسر — نقيض الجدب ، وأخصبت ، ومكان مُخْصب وخَصِيب وأخْصَبَ القوم إذا صاروا إلى الخصب . قال السخاوى و « أما قوله : أخصبا [فإنه] يروى بفتح الهمزة وكسرها ، فالفتح على أنه أخْصَبَ يُخْصب إخصابا ، وشدّد الباء ، كما قال : القصبّا ، ومن رواه بالكسر كان مثل احْمَرّ ، إلا أنه قطع همزة الوصل » انتهى .

وكل منهما ضرورة إلا أن تشديد الباء أخف من قطع همزة الوصل ؛ فإنه لحن فى غير الشعر ؛ وقول العينى : « جَدَبّا بتشدد الباء هو نقيض الخِصْب ، وقوله : أخصبا بتشديد الباء ماض من الخصب » لا يعرف منه هل الدال مفتوحة أم لا ولا يعرف هل حركة الهمزة من أخصبا مفتوحة أم مكسورة . وقوله « إن الدبا الخ » يروى بكسر همزة إن و بفتحها ، وعلى رواية « إذا الدبا » إذا شرطية وجوابها

تترك ، والدّبا — بفتح الدال بعدها موحدة — قال صاحب الصحاح : « هو الجراد قبل أن يطير ، الواحدة دَبَاة » والمُتُون : جمع مَتْن ، وهو المكان الذى فيه صلابة وارتفاع ، ودبّ : تحرّك ، من دب على الأرض يدب دبيبا ، وكل ماش على الأرض دابة ودبيب ، والألف للإطلاق ، وتشديد الباء أصلى لا للوقف ، وفاعل دب ضمير الدبا ، وفيه جناسُ شبهِ الاشتقاق ، وقوله « بمور » البـاء متعلقة بهبّت ، والمور — بضم الميم — : الغبار ، والسبْسَبُ — كجعفر — : القفر ، والمفازة ، وتشديد الباء للضرورة ، وهو المفعول الثانى لتترك ، و « ما » هو المفعول الأول إن كان ترك بمعنى جعل وصير ، وإن كان بمعنى خلّى المتعدى إلى مفعول واحد وهو « ما » الواقعة على النبات ، فسبسبٌ حال من « ما » وفاعل تترك ضمير الريح ، والمرادُ كسَبْسَبٍ ، على التشبيه ، وأراد تترك الريح المكان الذى أبقى فيه الدبا شيئاً من النبات أجرد لا شىء فيه ؛ لأنها جَفَّفَتْ النبت وحملته من مكان إلى مكان ، ورواه بعض أفاضل العجم فى شرح أبيات المفصل :

* تَـتْرُكُ مَا انْتَحَى الدَّبَا سَبْسَبَا *

وقال : المراد انتحاه : أى قصده ؛ فحذف الراجع إلى الموصول ، وقوله « كأنه » أى كان الدبا ، واسْلَحَبَّ اسلحبابًا بالسين والحاء المهملتين : أى امتد امتدادا ، هذا على الرواية المشهورة ، وأما على رواية أبى محمد الأعرابى فهو متأخر عن البيتين بعده ، ويكون ضمير « كأنه » للحريق : أى كأن صوت التهاب النار فى القصب والحلفاء والتبن صوت السيل وجريه ، ويكون على روايته قوله « أو كالحريق » معطوفا على قوله « سَبْسَبًا » ؛ فيكون الجار والمجرور فى محل نصب ، وروى السخاوى الأبيات بالرواية المشهورة ، وقال : « وأنشده أبو على « مِثْل الحريق » بدل قوله « أو كالحريق » فيكون منصوبًا على الحال من الضمير فى اسلحبا : أى اسلحبَّ مثل الحريق ، أو على أنه نعت لمصدر محذوف :

أى اسلحبابا مثل اسلحباب الحريق : أى امتد الدبا وانتشر امتداد النار فى القصب والتبن والحلفاء » وقال العينى : قوله « مثل الحريق » هكذا هو فى رواية سيبويه ، وفى رواية أبى على « أو كالحريق » .

أقول : ليس هذا البيت من شواهد سيبويه البتة ، وإنما أورد سيبويه البيتين الأولين فقط ، والنقل عن أبى على معكوس ، وتشديد الباء من القصبّا والتهبّا ضرورة ، والتبن بكسر المثناة الفوقية وتسكين الموحدة ، والحلفاء : نبت فى الماء ، قال أبو زيد : واحدتها حَلَفَة ، مثل قصبة وطرفة ، وقال الأصمعى حَلِفَة بكسر اللام ، وقوله « حتى ترى البويزل إلخ » هو مصغر البازل من بزل البعير بزولا من باب قعد ؛ إذا فطَر نابه بدخوله فى السنة التاسعة ، فهو بازل ، يستوى فيه المذكر والمؤنث ، والأَزَبّ — بالزاى المعجمة — : وصف من الزبب ، وهو طول الشعر وكثرته ، وبعير أزَبّ ، ولا يكاد يكون الأزب إلاّ نفورا ؛ لأنه ينبت على حاجبيه شعيرات ، فاذا ضربته الريح نفر ، وقال السخاوى : الإِرْزَبُّ — بكسر الهمزة وسكون الراء المهملة بعدها زاى — قال الإرزب الضخم الشديد ، وقوله « والسَّدَسَ الضُّوَاضِيَ الخ » السَّدَس ــ بفتحتين ــ : السن التى قبل البازل يستوى فيه المذكر والمؤنث ؛ لأن الاناث فى الأسنان كلها بالهاء إلا السَّدَس والسديس والبازل ، قاله صاحب الصحاح ، والضُّوَاضِى : بضادين معجمتين الأولى مضمومة ، وهو الجمل الضخم ، كذا فى القاموس ، والمحب — بفتح الحاء — : المحبوب ؛ وأُجلعبّ : بالجيم ، فى الصحاح : «واُجْلَعَبَّ الرجل اجْلِعْبابا ، إذا اضطجع وامتد وانتصب ، واجلعبّ فى السير إذا مضى وجدّ » انتهى ، ورواه السخاوى قد أُقْرَعَبَّا : بالقاف والراء والعين المهملتين ، وقال : « اقرعب : اجتمع وتقبّض من الضر ، أى الهزال » انتهى : وليست هذه المادة فى الصحاح ، والجملة حال من البُوَيزل والسدَس ، والألف للتثنية ، وترى بصرية ، الشَّوِىّ بفتح الشين

المعجمة وكسر الواو ، قال السخاوى : هو الشاء (١) وقال العينى : «تَبًّا : أىْ خسرانا وهلاكا لأصحاب الشاء ؛ لأنها أقل احتمالا للشدة» انتهى . وفى الصحاح : والشاة من الغنم : تذكر وتؤنث ، وأصلها شاهة ، وجمعها فى القلة شِيَاه بالهاء ، وفى الكثرة شاء ، وجمع الشاء شَوِىّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثلاثون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه [من الرجز]

١٣١ — عَجِبْتُ وَالدَّهْرُ كَثِيرٌ عَجَبُهْ
مِنْ عَنَزِىٍّ سَبَّنِى لَمْ أَضْرِبُهْ

على أن ضمة الباء منقولة من الهاء إليها للوقف

قال سيبويه : « هذا باب الساكن الذى تحركه فى الوقف إذا كان بعده هاء المذكر الذى هو علامة الإضمار ليكون أبين لها كما أردت ذلك فى الهمزة ، وذلك قولك ضَرَبْتُهْ وَأَضْرِبُهْ وقَدُهْ وَمِنُهْ وَعَنُهْ ، سمعنا ذلك من العرب ، ألقوا عليه حركة الهاء بحيث حركوا لتبيانها ، قال زياد الأعجم :

عَجِبْتُ والدَّهْرُ كَثِيرٌ عَجَبُهْ مِنْ عَنَزِىٍّ سَبَّنِى لَمْ أَضْرِبُهْ

وقال أبو النجم : [من الرجز]

* فَقَرِّبَنْ هَذَا وَهَذَا أَزْحِلُهْ » اهـ *

قال الأعلم : «الشاهد فيه نقل حركة الهاء إلى الباء فى الأول ، وإلى اللام فى الثانى ليكون أبين لها فى الوقف ؛ لأن مجيئها ساكنة بعد ساكن أخفى لها ، وعَنَزَةُ : قبيلة من ربيعة بن نزار ، وهم عَنَزَة بن أسد بن ربيعة ، وزياد الأعجم من عبد القيس ، وسمى الأعجم للكنة كانت فيه ، ومعنى أَزْحِلُهْ أبعده» انتهى

(١) فى نسخة الشياه

وهو بالزاى المعجمة والحاء المهملة ، يقال : زَحَلَ عن مكانه زحولا : أى تنحى وتباعد وزحلته تَزْحيلا : بَعَّدْتُه ، و« من عَنَزِىّ » متعلق بعجبت ، وما بينهما اعتراض .

***

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثلاثون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه :

[من الرجز]

١٣٢ — بِالْخَيْرِ خَيْرَاتٍ وَإِنْ شَرًّا فَا
وَلَا أُرِيـــدُ الشَّرَّ إِلاَّ أَنْ تَا

على أنه يجوز أن يوقف على حرف واحـد فيوصل بألف كما هنا ، والتقدير وإن شرا فشر ، ولا أريد الشر إلا أن تشاء .

ولم يورد سيبويه هذا البيت فى باب من أبواب الوقف ، وإنما أورده فى باب إرادة اللفظ بالحرف الواحد من أبواب التسمية ، وهـذا نصه : (١) « قال الخليل يوماً وسأل أصحابه : كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بالـكاف التى فى لكَ ، والـكاف التى فى مالكَ ، والباء التى فى ضرَبَ ؟ فقيل له : نقول : باء ، كاف ، فقال : إنما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف ، وقال : أقول : كَهْ ، وبَه ، فقلنا : لِمَ ألحقت الهاء ؟ فقال : رأيتهم قالوا عِهْ فألحقوا هاء [حتى صيروها يستطاع الـكلام بهـا] ؛ لأنه لا يلفظ بحرف ؛ فإن وصلت قلت « كَ و بَ فاعلم يافتى » ، كما تقول « عِ يا فتى » ، فهذه طريقة كل حرف كان متحركا ، وقد يجوز أن تـكون الألف هنا بمنزلة الهـاء ، لقربها منها وشَبَهِها بها ، فتقول : « با » و « كا » كما تقول : « أنا » وسمعت من العرب من يقول : « ألا تا ، بلى فا » فإنما أرادوا ألاَ تفعل وبَلَى فافعل ، ولـكنه قطع كما كان قاطعاً بالألف فى « أنا » ،

---

(١) انظر (جـ ٢ ص ٦١ من كتاب سيبويه)

وشركت الألف الهاء كشركتها فى قوله « أنا » ، بيّنوها بالألف كبيانهم بالهاء فى هِيَة وهُنَّهْ و بَغْلَتِيَة ، قال الراجز :

بِالْخَيْرِ خَيْرَاتٍ وَإِنْ شَرًّا فَا   وَلاَ أُرِيدُ الشَّرَّ إلاَّ أَنْ تَا

يريد إن شرا فشر ، ولا أريد الشر إلا أن تشاء » انتهى كلامه .

قال الأعلم: «الشاهد فى لفظه بالفاء» من قوله «فشرٌّ » والتاء من قوله «تشاء» ولما لفظ بهما وفصلهما مما بعدهما ألحقهما الألف للسكت عوضا من الهاء التى يوقف عليها ، كما قالوا « أنا » و « حيّهلا » فى الوقف ، والمعنى أجزيك بالخير خيراتٍ ، وإن كان منك شر كان منى مثله ، ولا أريد الشر إلا ان تشاء ؛ فحذف لعلم السامع » انتهى .

وكذا أورده المبرد فى الكامل قال : « حدثنى أصحابنا عن الأصمعى ، وذكره سيبويه فى كتابه ، ولم يذكر قائله ، ولكن الأصمعى قال : كان أخوان متجاوران لايكلم واحد منهما صاحبه سائر سنته حتى يأتى وقت الرّعى فيقول أحدهما للآخر « ألاتا » فيقول الآخر « بلى فا » يريد ألا تنهض فيقول الآخر : بلى فانهض ، وحكى سيبويه فى كتابه

* بِالْخَيْرِ خَيْرَاتٍ وَإِنْ شَرًّافَا * الخ

يريد إن شرًّا فشر ولا أريد الشر إلا أن تريد » انتهى .

وهذا على رواية الألف الواحدة ، وأما الرواية بألف بعد همزة فى البيت فقد قال ابن جنى فى سر الصناعة : « أنشدنا أبو على :

بِالْخَيْرِ خَيْرَاتٍ وَإِنْ شَرًّا فَأَا   وَلاَ أُرِيدُ الشَّرَّ إلاَّ أَنْ تَأَا

والقول فى ذلك أنه يزيد « فا » و « تا » ثم زاد على الألف ألفا أخرى توكيدا كما تشبع الفتحة ، فتصير ألفًا كما تقدم ، فلما التقت ألفان حرّك الأولى فانقلبت همزة ، وقد أنشدنا أيضًا « فا » و « تا » بألف واحدة» انتهى .

وفيه أمور : أحدها : ظاهر كلام هؤلاء جوازه ، وبه صرح الشارح المحقق تبعاً لجماعة منهم الفراء ، قال فى تفسير سورة (ق) : « ويقال : إن (ق) جبل محيط بالأرض ، فإن يكن كذلك فكأنه فى موضع رفع : أى هو قاف ، والله أعلم ، وكان لرفعه أن يظهر لأنه اسم وليس بهجاء ، فلعل القاف وحدها ذكرت من اسمه كما قال الشاعر : [من السريع]

* قُلْنَا لَهَا قِفِى فَقَالَتْ قَافْ *

ذكرت القاف وأرادت القاف من الوقف : أى إنى واقفة » انتهى .

ومنهم أبو إسحق الزجاج رحمه الله ، قال فى أول سورة البقرة : « وأختار من هذه الأقوال التى حكينا فى (ألم) بعضَ ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وهو أن العرب تنطق بالحرف الواحد تدل على الكلمة التى هو منها ، قال الشاعر :

قُلْتُ لَهَا قِفِى فَقَالَتْ قَافْ لاَ تَحْسَبِى أَنَا نَسِينَا الْإِيجَافْ

فنطق بقاف فقط يريد قالت : أقف ، وقال الشاعر أيضاً : [من السريع]

نَادَوْهُمُ أَنْ أَلْجِمُوا أَلاَ تَا قَالُوا جَمِيعاً كُلُّهُمْ أَلاَ فَا

تفسيره نادوهم أن ألجموا ، ألا تركبون ؟ قالوا جميعاً ألافا ركبوا ، فإنما نطق بتا وفا كما نطق الأول بقاف ، وأنشد بعض أهل اللغة للقُيَمِ بن أوس :

بِالْخَيْرِ خَيْرَاتٍ وَإِنْ شَرًّا فَا وَلاَ أُرِيدُ الشَّرَّ إِلاَّ أَنْ تَا

أنشده جميع البصريين هكذا » انتهى .

وتبعه الامام البيضاوى فقال : « ويجوز أن تكون إشارة إلى كلمات هى منها ، اقتَصَرْتَ عليها اقتصار الشاعر فى قوله :

* قُلْتُ لَهَا قِفِى ، فقَالَتْ : قَافْ *

كما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : الألف آلاء الله ، واللام لطفه ، والميم ملكه ، وعنه أن « ألر » و « حم » و « ن » مجموعها

الرحمن ، وعنه أن « ألم » معناه أنا الله أعلم ، ونحو ذلك فى سائر الفواتح ، وعنه أن الألف من الله ، واللام من جبريل ، والميم من محمد : أى القرآن منزل من الله عز وجل بلسان جبريل على محمد صلى الله تعالى عليهما وسلم » انتهى .

ومنهم ابن جنى قاله فى باب (شجاعة العربية)[١] من الخصائص ، وقال أيضا فى المحتسَب عند توجيه قراءة (يَاحَسْرَهْ عَلَى العِبَادِ) من سورة يس : « قرأ جماعة (يَا حَسْرَهْ) بالهاء ساكنة ، وفيه نظر ؛ لأن قوله (عَلَى العِبَادِ) متعلقة بها أو صفة لها ، وكلاهما لايحسن الوقوف عليها دونه ، ووجهه عندى أن العرب إذا أخبرت عن الشىء غير مُعْتَمِدَتِه ولا معتزمةٍ عليه أسرعت فيه ، ولم تتأن على اللفظ المعبر به عنه ، وذلك كقوله :

* قُلْنَا لَهَا قِفِي ، فَقَالَتْ : قَافْ *

معناه وقفت ، فاقتصر من جملة الكلمة على حرف منها تهاونًا بالحال وتثاقلا عن الإجابة واعتماد المقال . . . إلى آخر ماذكره » .

وذهب جماعة إلى أن هذا ضرورة لايجوز فى فصيح الكلام ، قال المبرد بعد ما نقلناه عنه : « وهذا ما تستعمله الحكماء ، فانه يقال : إن اللسان إذا كثرت حركته رقت عَذَبَتُه[٢] ... إلى آخر ما ذكره »

ومنهم أبو الحسن الأخفش ، قال فيما كتبه على نوادر أبى زيد : « وهذا الحذف كالإيماء والإشارة ، يقع من بعض العرب لفهم بعضٍ عن بعضٍ ما يريد ، وليس هذا هو البيان ؛ لأن البيان مالم يكن محذوفا وكان مستوفى شائعًا ، حدثنا أبو العباس المبرد قال : حدثنا أصحابنا عن الأصمعى قال : كان أخوان من العرب يجتمعان فى موضع لا يكلم أحدهما الآخر إلا فى وقت النُّجْعة[٣] ، فإنه يقول

---

(١) كذا ، وانظر الخصائص (١ : ٢٩٩)

(٢) عذبة اللسان طرفه الدقيق ، يريد درب على الكلام ومرن عليه

(٣) النجعة ـ بالضم ـ : طلب الكلأ من مواضعه ، ويتجوز به فى غير ذلك

لأخيه « ألا تَا » فيقول الآخر « بلى فا » يريد ألا ترحل وألا تنتجع ؟ فيقول الآخر: بلى فارحل ، بلى فانتجع ، وأما ما رواه أبو زيد * إلا أنْ تَأا * فإن هذا من أقبح الضرورات ، وذلك أنه لما اضطر حرك ألف الإطلاق ، فخرجت عن حروف المد واللين فصارت همزة » انتهى .

ومنهم المرزُبانى ، قال فى كتاب الموشح : « زعم أبو عبيدة أن حُكيم بن مُعَية التيمى قال : [من الرجز]

قَدْ وَعَدَتْنِى أُمُّ عَمْرٍو أَنْ تَا تَدْهُنَ رَأْسِى (١) وتُفَلِّينِى وَا

* وَتَمْسَحَ الْقَنْفَاءَ حتى تَنْتَا (٢) *

وقال آخر :

* بِالْخَيْرِ خَيْرَاتٍ وَإِنْ شَرًّا فَا * إلخ

يريد فشر ، أو يريد إلا أن تريد ، قال : فسألت عن ذلك الأصمعى ، فقال : هذا ليس بصحيح فى كلامهم ، وإنما يتكلمون به أحيانًا ، قال : وكان رجلان من العرب أخوان ربما مكثا عامة يومهما لا يتكلمان ، قال : ثم يقول أحدهما « ألا تا » يريد ألا تفعل ، فيقول صاحبه « بلى فا » يريد فافعل ، وليس هذا بكلام مستعمل فى كلامهم » انتهى .

ومنهم ابن عصفور ، قال فى كتاب الضرائر : « ومنه قول الآخر :

نَادَوْهُمُ أَنْ أَلْجِمُوا أَلاَ تَا قَالُوا جَمِيعًا كُلُّهُمْ أَلاَ فَا

يريد قالوا : ألا تركبون ، ألا فاركبوا ، فحذف الجملة التى هى اركبوا ،

---

(١) فى اللسان « تمسح رأسى »

(٢) القنفاء : فيشلة الذكر ، وقوله « تنتا » ليس بعض كلمة كسابقه ولكن (تَنْتَأُ) فخفف الهمزة بقلبها ألفا ، وقد ضبطت فى موشح المرزبانى بكسر التاء الأولى وهو خطأ ، ومعنى « تَنْتَأُ » ترتفع وتنتفخ

وا كتفى بحرف العطف وهو الفاء ، ولولا الضرورة لم يجز ذلك ، وكذلك أيضا اكتفاؤه بالتاء من « تركبون » ، وحذف سائر الجملة إنما ساغ للضرورة ، ومثل ذلك قول الآخر :

بِالْخَيْرِ خَيْرَاتٍ وَإِنْ شَرًّا فَأَا ۝ وَلَا أُرِيدُ الشَّرَّ إِلَّا أَنْ تَأَا

أراد فأصابك الشر، فاكتفى بالفاء والهمزة وحذف مابعدها وأطلق الهمزة بالألف ، وأراد بقوله « إلا أنْ تَأا » إلا أن تأبى الخير، فاكتفى بالتاء والهمزة وحذف مابعدهما وحرك الهمزة بالفتح وأطلقها بالألف ، ونحو من ذلك قول الآخر :

* قُلْتُ لَهَا قِفِي فَقَالَتْ قَافْ *

يريد قد وقفتُ ، فاكتفت بالقاف ، ومثل ذلك أيضا — إلا أن الدليل على المحذوف متأخر عنه — قوله :

قدْ وَعَدَتْنِي أُمُّ عَمْرٍو أَنْ تَا ۝ تَدْهُنَ رَأْسِي وَتُفَلِّينِي وَا

* وَتَمْسَحَ الْقَنْفَاءَ حَتَّى تَنْتَا *

ألا ترى أنه حذف ما بعد التاء والواو من غير أن يتقدم له دليل على ذلك المحذوف ، ثم أعادها مع ما كان قد حذفه ليبين المعنى الذى أراده قبل» انتهى .

والرجز الذى أنشده ابن عصفور مختصر ، رواه بتمامه أبو على بن المستنير المعروف بقطرب فى كتاب الرد على أهل الإلحاد فى آى القرآن ، قال : « قال غيلان :

نَادَوْهُمُ أَنْ أَلْجِمُوا أَلَاتَا ۝ ثُمَّ تَنَادَوْا بَعْدَ تِلْكَ الضَّوْضَا

* مِنْهُمْ بِهَابِ وَهَلٍ وَيَا بَا *

وأنشد قطرب قبله : [من الرجز]

مَا لِلظَّلِيمِ عَالَ[1] كَيْفَ لَا يَا ۝ يَنْقَدُّ عَنْهُ جِلْدُهُ إِذَا يَا

---

(١) فى الأصول «عال» ـ بالعين المهملة ـ والمعنى يحتمل أن يكون من قولهم : عال عولا ، بمعنى زاد ، والمراد أنه زاد فى جريه ، فكأنه قال متعجبا : أى شىء ثبت

* أَهْبَى (١) التُّرَابَ فَوْقَهُ إِهْبَابَا *

قال يا ثم ابتدأ كلامه » انتهى .

الأمر الثانى (٢) أن الرجز الذى أنشده الشارح وسيبويه إنما هو « فأا » و « تأا » بهمزة بعدها ألف ، كما أنشده أبو زيد فى نوادره ، قال فيها : « قال لُقَيم ابن أوس من بنى أبى ربيعة بن مالك :

إِنْ شِئْتِ أَشْرَفْنَا كِلاَنَا فَدَعَا ... اللهَ جَهْدًا (٣) رَبَّهُ فَأَسْمَعَا
بِالْخَيْرِ خَيْرَاتٍ وَإِنْ شَرًّا فَأَا ... وَلاَ أُرِيدُ الشَّرَّ إِلاَّ أَنْ تَأَا

أجاب بها امرأته إذ تقول له :

قَطَّعَكَ اللهُ الْكَرِيمُ (٤) قِطَعَا ... فَوْقَ الثُّمَامِ قِصَدًا مُرَصَّعَا (٥)
تَاللهِ مَا عَدَّيْتَ إِلاَّ رُبَعًا ... جَمَّعْتَ فِيهِ مَهْرَ بِنْتِي أَجْمَعَا

وقوله « إن شرا فأا » أراد فالشر ، فأقام الألف مقام القافية ، وقوله « إلا أن تأا » إلا أن تشاء ذلك ، وقولها : « ماعديتَ إلا رُبعاً » ما سقت وصرفت إلينا إلا ربعا من مهر ابنتى » انتهى كلام أبى زيد ، وكذا أسنده ابن عصفور فى

للظليم وقد جرى حتى لا ينشق عنه جلده إذا يجرى جريا يثير التراب فوقه إثارة ؟ و« يجرى » فى كلامنا هو الذى اقتطع منه « يا » فى قوله « إذايا »

(١) تقول : أهبى الفرس التراب ، إذا أثاره بحوافره

(٢) هذا هو الأمر الثانى من الأمور التى ذكر الأول منها قبل ذلك بمرحلة طويلة ، فانظر (ص ٢٦٣)

(٣) فى نسخة « جهرا » بالراء ، ولها وجه وما أثبتناه عن نوادر أبى زيد (ص ١٢٦) وعن نسخة أخرى

(٤) فى النوادر « المليك »

(٥) كذا فى نسخة من الأصول ، وهى التى سيشرح عليها المؤلف ، وفى أخرى « موضعا » وهى التى توافق ما فى كتاب النوادر (ص ١٢٦)

كتاب الضرائر ، وأبو حيان فى الارتشاف ، قال فيه : « وقد يوقف على حرف واحد كحرف المضارعة يليه ألف نحو قوله :

جَارِيةٌ قَدْ وَعَدَتْنِى أَنْ تَا   تَدْهُنَ رَأْسِى وَتُفَلِّينِى وَا

* وَتَمْسَحَ القَنْفَاءَ حَتَّى تَنْتَا *

أو يؤتى بهمزة بعد الحرف بعدها ألف ، نحو قوله :

بِالْخَيْرِ خَيْرَاتٍ وَإِنْ شَرًّا فَأَا   وَلاَ أُرِيدُ الشَّرَّ إِلاَّ أَنْ تَأَا

يريد فشرًّا وإلا أن تشاء » انتهى .

فلا يستقيم على هذا إلا أن يهمز فأا وتأا لتكون الهمزة بإزاء العين فى « دَعَا » و « أَسْمَعَا » قال السيرافى : « وكذا أنشد هذا الشعر ، وأراد فأفعل ، فحذف وأطلق الهمزة بالألف لأنها مفتوحة ، وقال أبو زيد : أراد فالشرّ إن أردْتَ الخ ، والذى ذكرته[1] آثر فى نفسى ؛ لأن فيه همزة مفتوحة ، والذى ذكره أبو زيد ليس فيه همزة إلا أن تقطع ألف الوصل من الشر ، وفيه قبح ، وقول أبى زيد فى «إلاَّ أَنْ تَأَا » إنه أراد الا أن تشأى : يعنى أنه حذف الشين والألف واكتفى بالتاء والهمزة وأطلقها للقافية ، والهمزة مكسورة من تشَأَىِ لأن الخطاب لمؤنث ، والهمزة من تأا مفتوحة ، وأحبُّ إلىّ من قول[1] ما قاله إلا أن تأبَى الخير » انتهى .

وتقدير ابن عصفور فأصابك الشر مثل تقدير فأفعل ، وعلى هـذا التدقيق يضمحل قولهم : قد يوقف على حرف فيوصل بهمزة تليها ألف ، وأصل الهمزة ألف قلبت همزة ؛ لأنه يكون إنما وقعت على حرفين من الكلمة مع ألف الإطلاق ، وفى جعل الهمزة كالعين فى « دَعَا » و « أَسْمَعَا » عيب من عيوب القافية ، وهو الإكفاء ،[2] وسهله قرب مخرج العين والهمزة ، وتقدير المبرد فى الكامل وتبعه بعضهم

---

(١) فى الأصول « والذى ذكره أثر » وفيها « وأحب إلى من قوله ما قاله » وهو عندنا تحريف صوابه ما ذكرناه

(٢) الاكفاء : اختلاف الروى بحروف متقاربة المخارج

خطأ ؛ لأن الأصل فى هذا الباب إذا لفظ بالحرف أن يترك على حركته و يزاد عليه فى الوقف هاء السكت أو ألف الوصل ، كما أجاز سيبويه أن يوقف بالألف فى المفتوحة عوضاً من الهاء ، والتاء من « تريد » مضمومة فكان يلزم إبقاء ضمتها ، ولا يصح ذلك فى الشعر ، إلا أن تقول : إنه فتحها من أجل ألف الإطلاق بعدها ؛ فيحتاج إلى تعليل آخر .

الأمر الثالث أن هذا الشعر خطاب لامرأة ، فيجب أن يكون المقدّر مؤنثاً كما قدره أبو زيد ، وتقديره مذكراً غفلة عن سياق الشعر وأصله .

وقوله « إن شئْتِ أشرفنا الخ » بكسر التاء من شئْتِ خطاب لامرأته ، وأشرفنا : أى علَوْنا شرَفا — بفتحتين — وهو المكان العالى ، وكلانا : تأكيد ا«نا» وكلا : مفرد اللفظ مثنى المعنى ، و يجوز مراعاة كل منهما ، ولهذا أعاد الضمير من دَعَا إليها مفردا : أى دعا كل منا ، ولو أعاد الضمير باعتبار معناه لقال دَعَوَا وقطع همزة الوصل لضرورة الشعر ، ورَبَّهُ : بدل منه ، وجَهْدًا : منصوب بمفعول مطلق بتقدير مضاف : أى دعاء جهد ، أو حال بتقدير جاهدا ، والجهد — بالفتح — : الوُسْع والطاقة ، و«أسْمَعَا» من أسْمَعْتُ زيدا : أى أبلغته ، فهو سميع ، والدعاء يتعدى إلى مفعول واحد بنفسه ، وإلى ثان بحرف جر ، يقال : دعوت الله أن يفعل كذا : أى بفعل كذا ، ودعوت الله : أى ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده ، والتقدير هنا أن يجْزِى أحدَنا بمقابلة الخير خيراتٍ ، و إن كان فعله شراً فأصابه بشر ، ولا أريد لكِ الشر إلا أن تأبى الخير

ومن هنا تعرف أن تقدير ابن عصفور هو الجيد ، لا تقدير السيرافى ، وأن شرح الأعلم من قبيل الرجم بالظنون

وقوله « قطَّعك الله الكريمُ قِطَعَا » . هو دعاء عليه ، والقِطَع : جمع قِطْعَة ، والثُّام — بالثاء المثلثة — : نَبْتٌ ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص ، والقِصَد : جمع قِصْدة ، وهى القطعة من الشىء إذا انكسر ، كَكِسَر جمع كِسْرَة ،

وَالْمُرَصعُ — بفتح الصاد المهملة المشددة — : الْمُلْقَى وَالْمُطَّرح ، والرُّبَع — بضم وفتح الموحدة — هو الفصيل يُنتج فى الربيع فى أول النتاج والأنثى رُبَعَة

ولُقَيْم بن أوس : شاعر إسلامى

وأما الشعر الآخر

* قُلْتُ لَهَا قِفِى : فقالت قَافْ *

فهو أول رجز للوَلِيد بن عقبة بن أبى مُعَيْط ، أورد بقيته أبو الفرج الأصبهانى فى الأغانى فى ترجمته ، قال : « لما شُهِد على الوليد بن عقبة عند عثمان ابن عفان ـ رضى الله عنه ربه الملك المنَّان ـ بِشُرْبِ الخمر وكتب إليه يأمره بالشخوص فخرج وخرج معه قوم فيهم عدى بن حاتم رضي الله عنه ، فنزل الوليد يوما يَسُوق بهم ، فقال يرتجز :

قُلْتُ لَهَا قِفِى فَقَالَتْ قَافْ ... لاَتَحْسَبِينَا قَدْ نَسِينَا الإيجَافْ

وَالنَّشَوَاتِ مِنْ مُعتَّقٍ صَافْ (١) ... وَعَزْفَ قَيْنَاتٍ عَلَيْنَا عُزَّافْ

فقال له عدى : إلى أين تذهب بنا ؟ أقم

وقد تخيل فيه العصام كعادته فى حاشية القاضى شيئاً حتى أخرجه عن موضع الاستشهاد ، قال : « ويمكن أن يكون أمرًا من قَافَاهُ بمعنى قَفَاه : أى تبعه فإن فَاعَلَ يجىء بمعنى فَعَلَ ، نحو سافر ، ويناسب كل المناسبة بما قبله وبما بعده ، فيقول : قلت لها قِفِى حتى تستريحى من نَصَب السفر والسير ، فقالت قاف : أى قافِنى واتبعنى ولا تصاحبنى فى السير ، فإنك قد فَتَرْتَ وحصل لك الكَلاَل ، فقلت : لا تحسبينا.. الخ ، بل كان المقصود استراحتك » هذا كلامه .

وفيه أن فَاعَلَ بمعنى فَعَلَ سماعى ، كما نصوا عليه فى علم الصرف ،

---

(١) فى الأغانى (٥ : ١٣١ طبع الدار)

* وَالنَّشَوَاتِ مِنْ عَتِيقٍ أو صَافْ *

والإيجاف : متعدى وَجَفَ الفرسُ والبعير وَجيفاً ؛ إذا عدا ، وأوجفته ؛ إذا أعدَيته ، وهو العنف فى السير ، وقولهم « ما حصل بإيجاف » أى : بإعمال الخيل والرّكاب فى تحصيله بالسير ، ورجل نَشْوَان مثل سَكْرَان ، و « من مُعَتَّق » أى : من خمر مُعَتَّق ، والعَزْف — بالعين المهملة والزاى المعجمة — : مصدر من عَزَف عَزْفاً من باب ضرب ، إذا لعب بالمَعَازف ، وهى آلات يضرب بها ، الواحد عَزْف كفَلْس على غير قياس ، والمِعْزَف — بكسر الميم — : نوع من الطنابير (١) يتخذه أهل اليمن ، وقيل : إنه العود ، وقال الجوهرى : المعازف الملاهى ، والقَيْنَة — بفتح القاف — : الأمَة البيضاء ، مغنيّة كانت أو غيرها ، وقيل : تختص بالمغنية ، وعُزَّاف — بالضم — : جمع عازفة ، وروى أيضاً :

* وَعَزْفَ قَيْنَاتٍ لَنَا بِمِعْزَافْ *

وأصله مِعْزَفٌ ، فتولدت الألف من إشباع الفتحة .

والوليد بن عقبة : هو أخو عثمان بن عفان رضى الله عنه لأمّه ، وكان فاسقاً ، وولى لعثمان رضى الله عنه الكوفة بعد سعد بن أبى وَقّاص رضى الله تعالى عنه ؛ فشرب الخمر ، وشُهد عليه بذلك ، فَحَدّه وعزله .

وأما الشعر الثالث ، وهو :

* قَدْ وَعَدَتْنِي أُمُّ عَمْرٍو أَنْ تَا * الخ

فقد رواه ابن الأعرابى فى نوادره كذا :

* جَارِيَةٌ قَدْ وعَدَتْنِي أَنْ تَا * الخ

والقَنْفَاء : بفتح القاف وسكون النون بعدها فاء ، قال الليث : الأذن القنفاء أذن المعزى إذا كانت غليظة كأنها نعل مخصوفة ، ومن الإنسان إذا كانت لا أطرَ لها ، والكمرة القنفاء : أى رأس الذكر .

---

(١) وقع فى الأصول محرفا « نوع من الضنابير »

حديث همام بن مرة مع بناته

وكان لهمام بن مرة ثلاث بنات آلى أن لا يزوجهن أبداً ، فلما طالت بهن العزوبة قالت إحداهن بيتاً وأسمعته كأنها لا تعلم أنه يسمع ذلك ، فقالت :

أَهَمَّامُ بْنَ مُرَّةَ إِنَّ هَمِّى   لَفِى اللَّائِى يَكُونُ مَعَ الرِّجَالِ

فأعطاها سَيْفاً ، وقال : السيف يكون مع الرجال ، فقالت لها التي تليها : ما صنعت شيئاً ! ولكني أقول :

أَهمَّامُ بْنَ مُرَّةَ إِنَّ هَمِّى   لَفِى قَنْفَاء مُشْرِفَةِ الْقَذَالِ

فقال : وما قَنْفاء ؟ تريدين مِعْزَى ؟ فقالت الصغرى : ما صنعت شيئاً ! ولكني أقول :

أَهَمَّامُ بْنَ مُرَّةَ إِنَّ هَمِّى   لَفِى عَرْدٍ أَسُدُّ بِهِ مَبَالِى

فقال : أخزاكن الله ! ! وزوجهن .

وأنشد غير الليث :

وَأُمُّ مَثْوَاىَ تُدَرِّى لِمَّتِى   وَتَغْمِزُ الْقَنْفَاءَ ذَاتَ الْفَرْوَةِ

و « تَنْتَا » مضارع نتا نُتُوًّا ، وفى المثل « تُحَقِّرُه وينْتَا » أى : يرتفع ، وكل شىء يرتفع فهو ناتٍ ، وهو مهموز ، وقد سَهَّل الشاعر همزه هنا ألفاً ، يريد تمس ذكره فينعظ .

وهذا الشعر لحُكَيم بن مُعَيَّة التميمى ، كما قال المرزُبانى ، وحكيم بالتصغير ، ومُعَيَة : تصغير معاوية ، وهو راجز إسلامي قد ترجمناه فى الشاهد الرابع والأربعين بعد الثلاثمائة ، من شواهد شرح الكافية .

وأما الشعر الرابع ، وهو * نَادَوْهُمُ أَلاَ الْجِمُوا أَلاَ تَا * الخ فقد رواه أبو على القالى فى كتاب المقصور والممدود ، كذا : « قال الراجز :

ثُمَّ تَنَادَوْا بَعْدَ تِلْكَ الضَّوْضَا   مِنْهُمْ بِهَابِ وَبِهَلِ وَيَايَا
نَادَاهُمُ أَلاَ الْجِمُوا أَلاَتَا   قَالُوا جَمِيعاً كُلُّهُمْ أَلاَ فَا

والضوضا يمد ويقصر ، قال الفراء : الضوضاء ممدود جمع ضوضاة » انتهى وفى الصحاح الضَّوْضَاة أصوات الناس . وجلبتهم ، يقال : ضَوْضَوَ بلا همز وضَوْضَيْت » انتهى ، ولم يذكر لاممدوداً ولا مقصوراً

وهاب : زجر للابل ، وَهَل : بمعنى هَلاً ، وهى كلمة استعجال وحث ، ويايا هى ياحرف الندا كررت للتأكيد

وهذا الرجز لم أقف على قائله ، والله أعلم

***

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد المائة : [من الرجز]

١٣٣ — لَمَّا رَأَى أَنْ لاَ دَعَهْ وَلاَ شِبَعْ
مَالَ إِلَى أَرْطَاةِ حِقْفٍ فَالْطَجَعْ

على أن تاء التأنيث فى دعه هاء فى الوصل ؛ لأنه أجراه مجرى الوقف لضرورة الشعر ، وظاهر كلام الفراء أنه غير ضرورة ، قال فى تفسير قوله تعالى (أَرْجِهْ وَأَخَاهُ) « جاء فى التفسير احبسهما عندك ولا تقتلهما ، والإرجاء : تأخير الأمر ، وقد جزم الهاء حمزة والأعمش ، وهى لغة للعرب ، يقفون على الهاء المكنى عنها فى الوصل إذا تحرك ماقبلها ، أنشدنى بعضهم : [من الرجز]

أَنْحَى عَلَيَّ الدَّهْرُ رِجْلاً وَيَدَا(١) يُقْسِمُ لاَ يُصْلِحُ إِلاَّ أَفْسَدَا
فَيُصْلِحُ الْيَوْمَ وَيُفْسِدُهْ غَدَا

(١) هذه الأبيات لدويد بن زيد بن نهد أحد المعمرين ، وهى فى «الشعراء» لابن قتيبة (ص ٣٦) وأمالى المرتضى (ح ١ ص ١٧٢) . ووقع فيهما

أَلْقَى عَلَيَّ الدَّهْرُ رِجْلاً وَيَدَا وَالدَّهْرُ مَا أَصْلَحَ يَوْمًا أَفْسَدَا

والبيت الثالث فى الشعراء :

* يُصْلِحُهُ الْيَوْمَ وَيُفْسِدُهْ غَدَا *

وفى أمالى المرتضى :

يُصْلِحُ مَاأَفْسَدَهُ الْيَوْمَ غَدَا

وكذلك يفعلون بهاء التأنيث ، فيقولون : هذه طلْحَهْ قـد أقبلت بالجزم ، أنشدنى بعضهم :

* لَمَّا رَأى أنْ لاَدَعَهْ ولاَشَبِـعْ * انتهى

وقد أورده الزمخشرى فى المفصل على أن اللام أبدلت من الضاد فى «فالطجع» وأصله فاضطجع ، وكذلك أورده المرادىّ وابن هشام فى شرح الألفية ، قال ابن جنى فى سر الصناعة : « وأما قول الراجز : فالطجع فأبدل الضاد لاماً وهو شاذ ، وقد روى فاضْطَجَع ، وروى أيضا فاطَّجع ، ويروى أيضا فاضَّجَع » انتهى . وهذا البيت قبله

يَارُبَّ أبَّازٍ مِنَ الْعُفْرِ صَدَعْ تَقَبَّضَ الذِّئْبُ إلَيْهِ وَاجْتَمَعْ

وقد أنشدهما ابن السكيت فى باب فَعَلَ وفعَّل من إصلاح المنطق ، و «يا» حرف التنبيه ، ورب لإنشاء التكثير ، وأباز — بتشديد الموحدة وآخره زاى معجمة — قال صاحب الصحاح : أبز الظبى يأبز [من باب ضرب] : (١) أى قفز فى عدوه فهو أبّاز ، وأنشد هـذا البيت ، وصحفه بعض أفاضل العجم بالإبَّان ، فقال فى شرح أبيات المفصل : « يارُبَّ المنادى محذوف يريد ياقوم ، والإبّان : الوقت ، والعُفر : جمع أعفر ، وهو الأبيض الذى ليس بشديد البياض ، وشاة عفراء يعلو بياضها حمرة ، والصَّدَع : الوَعِل ، تقبض إليه : تزوى إليه وانضم ، «صَدَعٌ» مبتدا ومن العفر بيان له ، وبهذا صح وقوعه مبتدأ ، وتقبض خبره ، والجملة صفة إبان والعائد محذوف : أى تقبض فيه » هذا كلامه

وهو خبط عشواء ؛ فإن قوله من العُفْرِ صفة لمجرور رُب ، وصَـدَعٌ صفة ثانية ، وتقبض جواب رُب ، قال صاحب الصحاح تبعاً لابن السكيت : « ورجل

ولا شاهد فيه فوق أن معناه غير مستقيم مع ماقبله ووقع فى الأصول « انحوا على » وهو تحريف

(١) هذه الجملة ثابتة فى الأصول التى بأيدينا ، وبالرجوع الى الصحاح لم نجدها فيه

صَدْعٌ بالتسكين ، وقد يحرك ، وهو الخفيف اللحم ، وأما الوعِلُ فلا يقال فيه إلا بالتحريك ، وهو الوسط منها ، ليس بالعظيم ولا بالصغير ، ولكنه وعِل بين وعِلَين ، وكذلك هو من الظباء والحُمُرِ ، قال الراجز

* يَارُبَّ أَبَّازٍ مِنَ الْوَعْلِ صَدَعْ * » انتهى

وتقبض : جمع قوائمه ليثب على الظبي ، وقوله « لما رأى الخ » راى هنا علمية : وفاعله ضمير الذئب وأن مخففة من الثقيلة : واسمها ضمير الشأن ، ولا نافية للجنس ، وخبرها محذوف : أي له ، والجملة خبر أن المخففة ، وَالدَّعَة : الراحة والسكون ، قال الجوهري : « والدعة : الخفض ، والهاء عوض من الواو ، تقول منه : وَدُع الرجل — بالضم — فهو وديع : أي ساكن ، وَوادِع أيضا » وَالشِّبع — بكسر الشين وفتح الموحدة — نقيض الجوع ، وأما الشِّبْع — مع تسكين الموحدة — فهو ما أشبعك من شيء » . قال صاحب الصحاح : « الأرطى : شجر من شجر الرمل والواحدة أرطاة ، قال الراجز :

مَالَ إِلَى أَرْطَاةِ حِقْفٍ فَاضْطَجَعْ » انتهى

والحقف — بكسر الحاء المهملة وسكون القاف — : التل المعوج من الرمل ، واضطجع : وضع جنبه بالأرض ، يقول : لما رأى الذئب أنه لا يشبع من الظبي ولا يدركه وقد تعب في طلبه مال إلى الأرطاة فاضطجع عندها ،

ونسب ياقوت هذه الأبيات الأربعة فيما كتبه على هامش الصحاح إلى منظور بن حبة الأسدي ، وكذلك نسبها العيني ، ولم يتعرض لها ابن بري ولا الصفدي في المواضع الثلاثة من الصحاح .

***

المقصور

أنشد فيه وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد المائة : [من البسيط]

١٣٤ — فِي لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أَنْدِيَةٍ
لاَ يُبْصِرُ الْكَلْبُ فِي ظَلْمَائِهَا الطُّنُبَا

على أنه شذ [جمع] (١) ندًى على أندية كما فى البيت ، قال ابن جنى فى إعراب الحماسة : « اختلف فى أندية هذه ، فقال أبو الحسن : كُسِّر نَدًى على نداء كجبل وجبال ، ثم كسر نِدَاء على أندية كرداء وأردية ، وقال محمد بن يزيد هو جمع نَدِيٍّ كقول سَلاَمة بن جندل : [من البسيط]

يَوْمَانِ يَوْمُ مَقَامَاتٍ وَأَنْدِيَةٍ وَيَوْمُ سَيْرٍ إِلَى الْأَعْدَاءِ تَأْوِيبِ

وذهب غيرهما إلى أنه كسّر فَعَلاً على أفْعُلٍ كَزَمَنٍ وأزْمُنٍ ، وجَبَلٍ وأَجْبُلٍ فصار أَنْدٍ كأَيْدٍ ، ثم أنَّثَ أفْعُلَ هذه بالتاء ، فصارت أندية كما أنثت فِحَالَةٌ ، وذكورةٌ ، وبُعُولةٌ ، وأندية على هذا أفْعُلَة — بالضم — لاأفعِلة — بالكسر — وذهب آخرون إلى أنه كسر فَعَلا على أفْعِلة : وركب به مذهب الشذوذ ، وهذا وإن كان شاذا فإن له عندى وجها من القياس صالحا ، ونظيرا من السماع مؤنسا : أما السماع فقولهم فى تكسير قفا ورحى : أقفية وأرحية ، حكاهما الفراء وابن السكيت فيما علمت الآن ، وأما وجه قياس الجمع فهو أن العرب قد تُجرى الفتحة مجرى الألف ، ألاتراهم لم يقولوا فى الإضافة إلى جَمَزَى وبشَكَى [إلاّ جَمَزِيّ ، وَبَشَكِيّ] (٢) كما لايقولون فى حُبَارى ، إلا حبارىّ ، ومشابهة الحركة للحرف أكثر مايذهب إليه؛ فكأن فَعَلاً على هذا فَعَالٌ ، وفَعَالٌ مما يكسر على أفعلة نحو غزال وأغْزِلة وشراب وأشربة ، وكذلك كسّر نَدًى ورحًى وقفاً على أندية وأرحية وأقفية ، وكما شبهت الحركة بالحرف فكذلك شبه الحرف بالحركة ؛ فقالوا حياء وأحياء ، وعزاء وأعزاء ، وعراء وأعراء ومن الصحيح جواد وأجواد ؛ فكأن كل واحد من هذه الآحاد فَعَلٌ (٣)

---

(١) هذه زيادة يقتضيها المقام

(٢) سقطت هذه من نسخ الأصل وكأن الناسخ حسبهما تكراراً .

(٣) فى الأصل فعال ، وليس له وجه .

عندهم ، وأجود تكسير نَدًى أنداء ، كما قال الشماخ : [من الطويل]

إِذَا سَقَطَ الأَنْدَاءُ صِينَتْ وأُشْعِرَتْ   حَبِيرًا وَلَم تُدْرَجْ عَلَيْهَا المَعَاوِزُ (١)

وقد تقصَّيْتُ هذا الموضع فى كتاب سر الصناعة » انتهى كلامه .

أقول : ذكره فى فصل الواو من ذلك الكتاب .

وقال السهيلى فى الروض الأنف : « أندية ، جَمَعَ نَدًى على نِدَاء مثل جَمَل وجِمَال ، ثم جمع الجمع على أفعِلَةٍ ، وهذا بعيد فى القياس ؛ لأن الجمع الكثير لا يجمع وفِعَال من أبنية الجمع الكثير ، وقد قيل : إنه جمع ندِيٍّ ، والندِيّ : المجلس ، وهذا لا يشبه معنى البيت ، ولكنه جاء على مثال أفْعِلَة ؛ لأنه فى معنى الأهوية والأشتية ونحو ذلك ، وأقرب من ذلك أنه فى معنى الرذاذ والرشاش ، وهما يجمعان على أفْعلة » انتهى .

وقريب منه قول الخوارزمى : « ندًى وإن كان فى نفسه فَعَلاً لكنه بالنظر إلى ما يقابله — وهو الجفاف — فَعَالٌ ، فمن ثم كسروه على أفعلة »

وقول السهيلى « لا يشبه معنى البيت » قد يمنع ، ويكون معناه فى ليلة من ليالى الشتاء ذات مجالس يجلس فيها الأشراف والأغنياء لإطعام الفقراء ؛ فإنهم كانوا إذا اشتد الزمان وفشا القحط ، وذلك يكون عند العرب فى الشتاء ، يجلسون فى مجالسهم ويلعبون بالميسر ، وينحرون الجزر ، ويُفرقونها على الفقراء .

والبيت من قصيدة لِمُرَّةَ بن مَحْكَان ، أوردها أبو تمام فى باب الأضياف والمديح من الحماسة ، وقبله :

أَقُولُ وَالضَّيْفُ مَخْشِيٌّ ذَمَامَتُهُ   عَلَى الكَرِيمِ وَحَقُّ الضَّيْفِ قَدْ وَجَبَا
يَارَبَّةَ البَيْتِ قُومِى غَيْرَ صَاغِرَةٍ   ضُمِّى إِلَيْكِ رِحَالَ القَوْمِ وَالقُرُبَا
فِى لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أَنْدِيَةٍ   لاَ يُبْصِرُ الكَلْبُ فِى ظَلْمَائِهَا الطُّنُبَا

---

(١) انظر ديوان الشماخ (ص ٥٠)

لاَ يَنْبَحُ الـكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ حَتَّى يَلُفَّ عَلَى خَيْشُومِهِ الذَّنَبَا
وَخَيِّرِيهِمْ أَنُدْنِيهِمْ إِلَى سَعَةٍ مِنْ سَاحَةِ الدَّارِ أَمْ نَبْنِي لَهُمْ قُبَبَا ؟

مخشى : اسم مفعول من الخشية ، وهى الخوف ، وذَمَامَةٌ : نائب الفاعل ، وهى بمعنى الذم ، وقوله «يار بة البيت» هو مقول القول ، ور بةالبيت : صاحبته ، يريد امرأته ، و «غير» منصوب على الحال ، وصاغرة : من الصغار -بالفتح - وهو الذلة ، وضمى : اجمعى ، والرحال- بالحاء المهملة- : جمع رحل ، وهو كل شىء يعد للرحيل من وعاء للمتاع ومركب للبعير وحِلْس وَرَسَن ، والقرُبُ — بضمتين — : جمع قِراب ، وقِرَاب السيف — بالكسر — : جفنه وهو وعاء يكون فيه السيف بغمده وحمالته ، وقوله « فى ليلة» هو متعلق بقومى ، وقيل بـ«ضُمِّى» لقر به ، وقوله « من جمادى » متعلق بمحذوف صفة لليلة ، ومن للتبعيض ، و إن كانت للبيان كانت متعلقة بمحذوف حال من ليلة ، كقوله تعالى (مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَب) والشاهد فى « مِنْ » الثانية فإن الأولى ابتدائية ، واخطأ العينى فى قوله : من جمادى صفة لليلة ، ومن للبيان .

اشتقاق اسماء الشهور

قال السهيلى : « أراد بجمادى الشهر ، وكان هذا الاسم قد وقع على هـذا الشهر فى زمن جمود الماء ، ثم انتقل بالأهلة ؛ و بقى الاسم عليه و إن كان فى الصيف والقيظ ، وكذلك أكثر[1] هذه الشهور العربية سميت بأسماء مأخوذة من أحوال السنة الشمسية ، ثم لزمتها و إن خرجت تلك الأوقات » انتهى .

و ينبغى أن يعتبر هنا أصل الوضع ، و إلا فلا فائدة فى ذكر اسم شهر لا يدل على شدة البرد وجمود المـاء ، والشاعر إسلامى وليس ممن أدرك زمن وضع الشهور ، ويجوز أن يلاحَظ فى الأعلام أصل وضعها .

قال ابن الأنبارى : « أسماء الشهور كلها مذكرة إلا جمادى ، فهما مؤنثان

---

(١) كذا فى السهيلى (ج ٢ ص ١٥٥) ووقع فى الأصول « أشهر هذه الشهور »

تقول :مضت جمادى بما فيها ؛ فإن جاء تذكير جمادى فى شعر فهو ذهاب إلى معنى الشهر ، وهى غير مصروفة للتأنيث والعلمية ، والأولى والآخرة صفة لها ، فإن الآخرة بمعنى المتأخرة ، ولا يقال : جمادى الأخرى ؛ لأن الأخرى بمعنى الواحدة فتتناول المتقدمة والمتأخرة فيحصل اللبس ، ويحكى أن العرب حين وضعت الشهور وافق وضع الأزمنة فاشتق للشهر معان من تلك الأزمنة ؛ ثم كثر حتى استعملوها فى الأهلة وإن لم توافق ذلك الزمان ؛ فقالوا : رمضان ، لما أرمضت الأرض من شدة الحر ، وشوال ، لما شالت الإبل بأذنابها للطروق ، وذو القَعدة لما ذللوا القِعدان للركوب ، وذو الحِجة لما حجوا ، والمحرم ، لما حرموا القتال والتجارة ، وصفر لما غزوا فتركوا ديار القوم صِفرا ، وشهر ربيع ، لما أربعت الأرض وأمرعت ، وجمادى ، لما جمد الماء ، ورجب لما رجبوا الشجر ، وشعبان لما أشعبوا العود »

وقوله « ذات أندية » بجر ذات بمعنى صاحبة صفة لليلة ، وأندية جمع نَدًى ، وهو أصل المطر ، والندى البلل ، وبعضهم يقول ماسقط آخر الليل فهو ندى ، وأما الذى يسقط أوله فهو السَّدَى : ــ بفتح السين المهملة ــ على وزنه من باب تعب ؛ فهى ندية مثل تقية ، ويعدى بالهمزة والتضعيف ، وجملة «لايبصر الكلب الخ» صفة أخرى لليلة ، وخَصَّ الكلب بالإبصار لأنه أصدق الحيوانات بصراً بالليل ، وقيل إنه يكاد يعرف الفارس المدجج الذى لايبين إلاّ عيناه ، والطنب ــ بضمتين ، وسكون النون ــ لغة ، وهو الحبل الذى تشد به الخيمة ونحوها ، والجمع أطناب كعُنُق وأعناق ، وقول العوام طَنَب ــ بفتحتين ــ لا أصل له ، و« فى » متعلقة بيبصر ، وروى بدلها « من» وهى بمعناها وقال العينى : للتعليل ، والظلماء هنا بمعنى الظلمة ، ويأتى وصفا أيضا يقال : ليلة ظلماء والليلة الظلماء ، وقوله لا ينبح الكلب الخ من باب ضرب ، وفى لغة من باب نفع ، والنُّباح ــ بالضم ــ :صوته ، والخيشوم الأنف ، وإنما يلف ذنبه

على أنفه لشدة البرد فلا يقدر أن ينبح وقوله « وخَيِّرِيهِمْ أَنُدْنِيهِمْ » الهمزة للاستفهام ، والإدناء التقريب ، وروى أيضاً :

مَاذَا تَرَيْنَ أَنُدْنِيهِمْ لِأَرْحُلِنَا مِنَ البَيْتِ جَانِبَ أَمْ نَبْنِي لَهُمْ قُبَبَا

يقال : بنى الخيمة إذا ضربها وأقامها ، والقبب : جمع قبة ، وهى الخيمة المدورة .

ومرة بن محكان شاعر إسلامى من معاصرى الفرزدق وجرير ، وهو بضم الميم وتشديدالراء ، ومحكان ــ بفتح الميم وسكون الحاء المهملة ــ على وزن غضبان : مصدر محَكَ يَمْحَكُ محكامن باب نفع إذا لج فى الأمر فهو محك وماحك ، ورجل محكان إذا كان لجوجا عسر الخلق ، و يقال أيضاً : أمحك وامتحك فى الغضب : أى لج ، والمماحكة : الملاجة ، وضبطه العسكرى فى كتاب التصحيف بكسر الميم لا غير وهو خلاف ماقالوا والله أعلم .

قال ابن قتيبة فى كتاب « الشعراء » مُرَّة بن محكان السعدى هو من سعد بن زيد مناة بن تميم ، من بطن يقال لهم : رُبَيْع بالتصغير ، وكان مرة سيد بنى ربيع ، وكان يقال له : أبو الأضياف ، وقتله صاحب شرطة مُصْعَب بن الزبير ، ولا عقب له ، وهو القائل فى الأضياف من تلك القصيدة : [من البسيط]

وَقُلْتُ لَمَّا غَدَوْا أُوصِي قَعِيدَتَنَا غَدِّى بَنِيكِ فَلَنْ تَلْقَيْهُمُ حِقَبَا
أَدْعَى أَبَاهُمْ وَلَمْ أُقْرَفْ بِأُمِّهِمِ وَقَدْ عَمِرْتُ وَلَمْ أَعْرِفْ لَهُمْ نَسَبَا
أَنَا ابْنُ مَحْكَانَ أَخْوَالِى بَنُو مَطَرٍ أُنْمَى إِلَيْهِمْ وَكَانُوا مَعْشَرًا نُجُبَا

انتهى .

تتمة : قد وقع المصراع الأول من البيت الشاهد فى شعر آخر ، قال ابن هشام صاحب السيرة النبوية عندذكر ما قيل من الشعر يوم أحد : قال ابن اسحق

و « كان مما قيل من الشعر يوم أحد قول هُبَيْرة بن أبى وهب [من البسيط]

مَابَالُ هَمٍّ عَميدٍ بَاتَ يَطْرُقُنى بِالْوُدِّ مِنْ هِنْدَ إِذْ تعْدُوا عَوَادِيهَا
بَاتَتْ تُعَاتِبُنِى هِنْدٌ وَتعذُلُنِى وَالْحَرْبُ قدْ شَغَلَتْ عَنى مَوَالِيهَا

إلى أن قال بعد خمسة عشر بيتاً :

وَلَيْـلةٍ يَصْطَلى بِالْفَرْثِ جَازِرُهَا يَخْتَصُّ بِالنَّقَرَى الْمُثْرِينَ دَاعِيهَا
فِى لَيلَةٍ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أَنْدِيةٍ جَرْبَا جُمَادِيَّةٍ قَدْبِيتٌ أَسْرِيهَا
لاَ يَنْبَحُ الْـكَلْبُ فِيهَا غَيْرَوَاحِدَةٍ مِنَ الْقَرِيسِ وَلاَ تسْرِى أَفَاعِيهَا

ثم بعد أن أتمها وأنشد جوابها لحسان بن ثابت رضى الله عنه قال : و بيت هبيرة الذى يقول فيه * ولَيْلةٍ يصطلى بالفرث جازرها * الخ يروى لجنُوبَ أخت عمرو ذى الْـكَلْب الهذلى فى أبيات لها فى غير يوم أحد » انتهى .

وقال السهيلى فى الروض : « قد شرطنا الإضراب عن شرح شعر الكفرة والمفاخرين بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا من آمن منهم ، لـكنه ذكر فى شعر هبيرة الذى بدأبه بيتين ليسا من شعره ، فلذلك ذكرتهما ، وهما :

* وليلة يصطلى بالفرث * البيت
و * وفى ليلة من جمادى .. * البيت

قوله يصطلى بالفرث : أى يستدفىء به من شدة البرد ، و « يختص بالنَّقَرَى المثرين » : يختص الأغنياء طلباً لمـكافأتهم وليأ كل عندهم ، يصف شدة الزمان ، قال يعقوب فى الألفاظ : ونسبها لهذلى ، وكذلك قال ابن هشام فى هذين البيتين : إنهما ليسا لهبيرة ، ونسبهما لجنوبَ أخت عمرو ذى الـكلب الهذلى » انتهى .

وجنوب هـذه امرأة من هذيل ، جاهلية ، قد ترجمناها فى الشاهد التـاسع والستين بعد السبعمائة من شواهد شرح الـكافية ، فيكون مرة بن محكان قـد أخذ المصراع الأول من شعرها ، وكذلك يكون « لاينبح الكلب فيها غير واحدة»

هذا المصراع ليس له ، وقولها « جربا جُمَادية » أى : لانجوم تظهر فيها ، وجُمَادِيّة منسوبة إلى جُمَادى . أى لشدة البرد ، ويروى « حَبْرَى جمادية » يحار السالك فيها من شدة الظلام ، والفرث : السرجين الذى يخرج من الكرش ، والنَّقَرَى — بفتح النون والقاف وبالقصر — : الضيافة الخاصة لأفراد ، والجفلى على وزنها — بالجيم والفاء — : الضيافة العامة ، والمثرين : مفعول مقدم ، وداعيها فاعل مؤخر ، والقريس — بفتح القاف وآخره سين مهملة — : البرد الشديد .

* * *

ذو الزيادة

أنشد فيه ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد المائة : [من الرجز]

١٣٥ — * تُجَاوِبُ القَوْسَ بِتَرْنَمُوتِهَا *

على أن « تَرْنَمُوتًا » بمعنى الترنم ؛ فالواو والتاءان زوائد ، وصوابه .

* تُجَاوِبُ الصَّوْتَ بِتَرْنَمُوتِهَا *

قال ابن جنى فى سر الصناعة : « وزيدت التاء أيضاً خامسة فى نحو مَلَكُوت وجَبَرُوت ورَغَبُوت ورَهَبُوت ورَحَمُوت وطَاغُوت ، وسادسة فى نحو عَنْكَبُوت وتَرْنَمُوت ، وهو صوت ترنم القوس عند الإنباض ، قال الراجز :

* تُجَاوِبُ القَوْسَ بِتَرْنَمُوتِهَا *

أى : بترنمها» انتهى .

وقال أيضاً فى شرح تصريف المازنى : « وأمّا ترنموت فيدل على زيادة تائه أيضاً أنه بمعنى الترنم ، قال الراجز :

* تجاوب القوس بترنموتها *

أى : بترنمها ، ومثال عَنْكَبوت فَعْلَلُوت ، ومثال تَرْنَموت تَفْعَلُوت» انتهى .

وقال صاحب الصحاح : «والترنموت : الترنم ، زادوا فيه الواو والتاء ، كما زادوا

فى مَلَكُوت ، قال أبو تراب : أنشدنى الغَنَوى : فى القوس

تُجَاوِبُ الصَّوْتَ بِتَرْنَمُوتِهَا   تَسْتَخْرِجُ الحَبَّةَ مِنْ تَابُوتِهَا

يعنى حبة القلب من الجوف » انتهى .

فعرف أن الشارح المحقق تبع ابن جنى فى ذكر القوس موضع الصوت ، والصواب ما أنشده الجوهرى .

قال ابن برى فى أماليه عليه : « قبل البيتين :

* شِرْيَانَةٌ تُرْزِمُ مِنْ عُنُوتِهَا *

والشريانة — بكسر الشين المعجمة وفتحها — : شجر تتخذ منه القسىّ ، قال الدّينَوَرِىُّ فى كتاب النبات : « هو من جيد العيدان ، وهو من نبات الجبال ، قال أبو زياد : وتصنع القياس من الشريان ، قال : وقوس الشريان جيدة إلا أنها سوداء مشربة حمرة ، وهى أخف فى اليدين من قوس النبع والشّوحَط ، وزعموا أن عود الشّرْيان لا يكاد يَعْوَجّ ، وقال الفراء : هى الشريان بالفتح والكسر » . اه

وتُرْزم — بتقديم المهملة على المعجمة — بمعنى أنّت وصوّتت [1] من أرزمت الناقة إرزاما ، والاسم الرَّزَمَة بالتحريك وهو صوت تخرجه من حلقها لا تفتح به فاها ، وذلك على ولدها حين ترأمه ، والحنين أشد من الرّزَمَة ، والعُنُوت [2] : جمع عَنَت — بفتح العين المهملة والنون — وهو الوقوع فى أمر شاق ، وقوله « تجاوب الصوت » أى : صوت الصيد ، يعنى إذا أحسّت بصوت حَيَوان أجابته بترنم وترها ، والتابوت هنا : القلب ، ووزنه فاعول

---

(١) كذا ، والأولى أن يقول « بمعنى تئن وتصوت »

(٢) هكذا وقع فى الأصول كلها ، والذى فى اللسان « عتوتها » والعتوت : الحز فى القوس ، ولا معنى لما ذكره المؤلف

وزعم الجوهرى أنه فَعَلُوت من التوب ، ورد عليه ، قال الراغب : التابوت : وعاء يعزُّ قَدْرُهُ ، ويسمى القلب تابوت الحكمة ، وسَفْط العلم ، وبَيْته

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد المائة : [من الرجز]

١٣٦ — * رَبَّيْتُهُ حَتَّى إِذَا تَمَعْدَدَا *

على أن وزنه عند سيبويه تَفَمْلَلَ ، ومعناه غَلُظ واشْتَدَّ ، قال ابن دريد فى الجمهرة : « تمعدد الغلام ؛ إذا صلب واشتد ، وبعده :

* كَانَ جَزَائِى بالعصا أنْ أُجْلَدَا *

وتقدم الكلام عليه فى الشاهد الثانى والأربعين بعد الستمائة من شواهد شرح الكافية

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه : [من الرجز]

١٣٧ — * بِشِيَةٍ كَشِيَةِ الْمُمَرْجَلِ *

على أن الْمُمَرْجَل وزنه عند سيبويه مُفَعْلَل

قال سيبويه : « جعلت الْمَرَاجِل ميمها من نفس الحرف حيث قال العجاج

* بِشِيَةٍ كَشِيَةِ الْمُمَرْجَلِ *

الممرجل : ضرب من ثياب الوشى »

قال الأعلم : « استشهد به على أن ميم الممرجل أصلية ، وهى ضرب من ثياب الوشي تُصْنَعُ بدارات كالْمِرْجَل ، وهو القدر ، لثباتها فى الممرجل ، وهو عنده مُفَعْلَل ؛ فالميم الثانية فاء الفعل ؛ لأن مُمَفْعَلاً لا يوجد فى الكلام ، وغيره يزعم أن ممرجلا ممفعل ، وأن ميميه زائدتان ، ويحتج لمجيئهما زائدتين فى مثل

هذا بقولهم : تَمَدْرَعت الجارية ؛ إذا لبست المدرع ، وهو ضرب من الثياب كالدرع ، وبقولهم : تمسكن الرجل ، إذا صار مسكينا ، والمسكين من السكون ، وميمه زائدة ، وهذا قريب ؛ إلا أن سيبويه حمل الممرجل على الأكثر فى الكلام ؛ لقلة تَمَفْعَل [وكثرة مُفَعْلل] والشية : هى اللون يخالطه لون آخر ، ومنه سمى الْوَشى لاختلاف ألوانه ، كأنه شبَّه فى البيت اختلاف لون الثور الوحشى لما فيه من البياض والسواد بوَشْى المراجل واختلافه » انتهى

وفى العباب للصاغانى : « والمِرْجَل — بالكسر — : قدر من نحاس ، وقال الليث : والْمَرَاجل : ضرب من برود اليمن ، واحدها مرجل — بفتحها — وثوب مُرَجَّل : أى معلم » انتهى

ولم يذكر مُمَرْجلا

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد المائة : [من الطويل]

١٣٨ — * عَلَى إثْرِنَا أَذْيَالَ مِرْطٍ مُرَجَّلِ *

وهو عجز ، وصدره :

* فَقُمْتُ بِهَا أَمْشِى تَجُرُّ وَرَاءنَا *

على أن المرجل معناه الذى فيه صورة الرجال

أقول : لم يروه شراح المعلقات بالجيم ، وإنما رووه بالحاء المهملة ، قال أبو جعفر النحوى والخطيب التبريزى : « الْمُرَحَّل الذى فيه صورة الرِّحَال بالوشى ، وقال الزوزنى : « الْمُرَحَّل : الْمُنَقَّش بنقوش تشبه رحال (١) الإبل ، يقال : ثوب مُرَحَّل ، وفى هذا الثوب ترحيل » وما رواه بالجيم إلا الصاغانى

---

(١) كان فى الأصول « رجال الأدب » وهو تحريف واضح ، والتصويب عن شرح الزوزنى للمعلقات

فى العباب ، قال : «روى مُرَجَّل بالجيم : أى مُعَلَم ، وروى بالحاء أى موشى شبيها بالرحال » هذا كلامه

وعلى تقدير ثبوت المرجل — بالجيم — يعنى الذى فيه صورة الرجال كيف يكون دليلا لكون المرجل يعنى الذى فيه نقوش على صورة المراجل ؛ فان تشبيه كل منهما خلاف تشبيه الآخر ، ولعل فى نسختنا من الشرح كلاماً ساقطا ، فإن الذى فيها إنما هو « والمرجل : الثوب الذى يكون فيه نقوش على صورة المراجل ، كما قال امرؤ القيس * على إثْرِنا ـ الخ » ولعل الساقط بعد قوله على صورة المراجل « كما أن المرجل الثوب الذى فيه صورة الرجال كما قال امرؤ القيس ـ الخ » (١) والله سبحانه وتعالى أعلم

والمرط ـ بكسر الميم ـ : كساء من خز ، أو مِرْعِزّى ، أو من صوف ، وقد تسمى المُلَاءة مِرْطاً ، يقول : أخرجتها من خدرها وهى تمشى تجر مرطها على أثرنا لتعفّى به آثار أقدامنا

وقد تقدم شرحه بأبسط من هذا مع أبيات أخر من هذه المعلقة فى الشاهد الواحد والتسعين بعد الثمانمائة من شواهد شرح الكافية

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه : [من الطويل]

١٣٩ — فَلَسْتَ لإِنْسِيٍّ وَلٰكِنْ لِمَلْأَكٍ تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ

على أن مَلَكا أصله مَلْأَك ، كما فى البيت

قال سيبويه : « اجتمع أكثرهم على ترك الهمزة فى مَلَك ، وأصله الهمز — وأنشد البيت ، قال : وقالوا مألكة ومَلْأَكة ، وإنما يريدون رسالة » انتهى

(١) هذا الكلام ثابت فى نسخ الشرح التى بأيدينا

وقال ابن السراج فى الأصول : « ومما ألزم حذف الهمزة لكثرة استعمالهم مَلَكٌ إنما هو مَلْأَكٌ ، [فلما] (٢) جمعوه ردوه إلى أصله قالوا ملائكة وملائك ، وقد قال الشاعر — فرد الواحد إلى أصله حين احتاج — * فَلَسْتَ لإنسى ... البيت » انتهى .

وقد أخذ هذه من تصريف المازنى ، قال ابن جنى فى شرحه : « اعلم أنه يريد بالحذف هنا التخفيف ، ألا ترى أنهم يحركون اللام من مَلَك لفتحة الهمزة من ملأك كما تقول فى تخفيف مَسألة : مَسَلَة ، وهذا هو التخفيف ، إلا أنهم ألزموه التخفيف فى الأمر الشائع فى الواحد ، وصارت ميم مَفْعَل كأنها بدل من إلزامهم إياه التخفيف ، كما أن حرف المضارعة فى نَرَى وتَرَى ويَرَى وأرى كأنه بدل من إلزامهم إياه التخفيف فى الأمر الشائع ، حتى إن التحقيق وإن كان هو الأصل قد صار مستَقْبَحاً لقلة استعماله ، وينبغى أن تعلم أن أصل تركيب مَلَك على أن الفاء لام والعين همزة واللام كاف ؛ لأن هذا هو الأكثر وعليه يُصَرف الفعل ، قال الشاعر : [من الطويل]

أَلِـكْنِي إلي قَوْمِي السَّلاَمَ رِسَالَةً بِآيَةِ مَا كَانُوا ضِعَافًا ولاَ عُزْلاَ

فأصل ألكنى ألئكنى فخفف الهمزة بأن طرح كسرتها على اللام ، وقال الآخر : [من المتقارب]

أَلِـكْنِي إِلَيْهَا وَخَيْرُ الرَّسُو لِ أَعْلَمُهُمْ بِنَوَاحِي الْخَبَرْ

وعلى هذه اللغة جاء مَلَك ، وأصله مَلْأَك ، وعلى هذا جمعوه ، فقالوا : ملائك وملائكة ؛ لأن جمع مَفْعَل مَفَاعل ، ودخلت الهاء فى ملائكة لتأنيث الجمع ، وقد قدموا الهمزة على اللام فقالوا : مَأْلُك ومَأْلُكة للرسالة ، قال عدى بن زيد : [من الرمل]

أَبْلِـغْ النُّعْمَانَ عَنِّى مَأْلُـكًا أَنَّهُ قَدْ طَالَ حَبْسِي وَانْتِظَارْ

(٢) زيادة يقتضيها المقام

وقال لبيد رضى الله عنه : [من الرمل]

وغلامٍ أرْسَلَتْهُ أُمُّهُ   بألوكٍ فبَذَلْنَا مَا سَأَلْ

ولم نرهم استعملوا الفعل بتقديم الهمزة ، فهـذا يدل على أن الفاء لام والعين همزة » انتهى .

قال ابن هشام اللخمى فى شرح أبيات الجمل : « البيت لعلقمة بن عَبَدَة أحد بنى ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وهو علقمة الْفَحْل(١) ، من قصيدته التى يقول فيها : [من الطويل]

وَفِى كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ   فَحُقَّ لِشَأْسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنُوبُ

وهو آخر القصيدة » اهـ . وقد بحثت [عنه] فلم أجده فيها من رواية المفضل فى المفضليات ، وكذلك لم أره فى ديوانه

قال السهيلى : « هذا البيت مجهول ، وقد نسبه ابن سيده إلى علقمة ، وأنكر ذلك عليه ، ثم قال اللخمى : وحكى أبو عبيد أنه لرجل من عبد القيس من كلمة يمدح بها النعمان ، وحكى السيرافى : أنه لأبى وَجْزَةَ(٢) السُّلَمِى المعروف بالسعدى من قصيدة يمدح بها عبد الله بن الزبير رضى الله عنه

وقوله « تنزَّلَ مِنْ جَوِّ السماء » [يحتمل وجهين : الأول(٣)] أنه ليس بقديم فى الأرض فتلحقه طباع الآدميين ، والثانى أن كل ملك قرب عهده بالنزول من السماء فليس بمنزلة من لم يكن قريب العهد ، ويصوب : ينحدر إلى أسفل ، وقوله « لِمَلأَكٍ » فى موضع رفع على أنه خبر مبتدأ مضمر ، والتقدير أنت لملأك . « ولأنسى » فى موضع خبر ليس والتقدير فلست منسوبا لأنسى ، والجواب

(١) انظر (حـ ٢ ص ٣٤٦) من القسم الأول من هذا الكتاب

(٢) فى القاموس : أبو وجزة يزيد بن عبيد أو أبى عبيد شاعر سعدى

(٣) زيادة لا بد منها ليصح الكلام

بين السماء والأرض، و « يصوب » فى موضع نصب على الحال من ضمير تنزل ، ويجوز أن يكون فى موضع الصفة للملاك » انتهى . وفى الصحاح ؛ صاب الماء يصوب نزل ، وأنشد البيت لرجل من عبد القيس جاهلى يمدح بعض الملوك وقال الطيبى : يصوب : بمعنى يميل وهو استئناف على سبيل البيان والتعليل ، وفى معناه قول صواحب يوسف (مَاهَذا بَشَرًا إنْ هَذَا إلاَّ مَلَكٌ) وأنشده الزمخشرى عند قوله تعالى : (وَمَا نَتَنَزَّلُ إلاَّ بِأمْرِ رَبِّكَ) على أن التنزل بمعنى النزول مطلقاً ؛ لأنه مطاوع نزل ، ولا أثر للتدريج فى غرض الشاعر وقبله :

تَعَالَيْتَ أنْ تُعزَى إلَى الْإنْسِ خَلَّةً   وَلِلْإنْسِ مَنْ يَعزُوكَ فَهْوَ كَذُوبُ

وتعالَيْتَ تعاظمت ، وتعزى : تنسب ، وخلة : تمييز وهو بفتح الخاء المعجمة ، وهو بمعنى الخصلة .

***

وأنشد بعده ــ وهو الشاهد الأربعون بعدالمائة ، وهو من شواهد سيبويه ــ : [من الرجز]

١٤٠ — * دَارٌ لِسُعْدَى إذْهِ مِنْ هَوَاكَا *

على أن هوى من « هواكا » مصدر بمعنى اسم المفعول : أى من مهوياتك وأنشده سيبويه فى باب ضرائر الشعر من أول كتابه على أن الياء حذفت للضرورة ، والأصل إذ هى من هواكا ، وقبله :

* هَلْ تَعْرِفِ الدَّارَ عَلَى تِبْرَاكَا *

بكسر المثناة الفوقية وسكون الموحدة : موضع فى ديار بنى فقعس ، وصف داراً خلت من سعدى هذه المرأة ، و بَعُدَ عهدها بها فتغيرت بعدها ، وذكَرَ أنها كانت لها دارا ومستقرا ؛ إذ كانت مقيمة بها ؛ فكان يهواها بإقامتها فيها ، وقد تكلمنا

عليه بأكثر من هذا فى الشاهد الثالث والثمانين من أوائل شرح شواهد شرح الكافية .

***

وأنشد بعده ــ وهو الشاهد الحادى والأربعون بعد المائة ــ : [من الطويل]

١٤١ — فَإِنْ تَكُنِ المُوسَى جَرَتْ فَوْقَ بَظْرِهَا
فَمَا خُتِنَتْ إِلاَّ وَمَصَّانُ قَاعِدُ

على أن الموسى مؤنثة بدليل جرت ، فإن المؤنث إذا أسند إلى فعله وجب إلحاق علامة التأنيث لفعله ، وأما إذا أسند الفعل إلى ظاهر فيجوز إلحاق العلامة ويجوز تركها ، كما فى تكن ، وأما تذكيره فلم أر له شاهداً إلا فى كلام المولدين ، وما أحسن ما كتب بعضهم بمصر إلى الأمير موسى بن يغمور وقد أهدى إليه موسى :

وَأَهْدَيْتُ مُوسَى نَحْوَ مُوسَى وَإِنْ يَكُنْ
قَدِ اشْتَرَكَا فِى الإِسْمِ مَا أَخْطَأَ الْعَبْدُ
فَهَذَا لَهُ حَدٌّ وَلاَ فَضْلَ عِنْدَهُ   وَهَذَا لَهُ فَضْلٌ وَلَيْسَ لَهُ حَدٌّ

وهذا البيت قبله :

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِى وَإِنِّى لَسَائِلٌ   أَبَظْرَاءُ أَمْ مَخْتُونَةٌ أُمُّ خَالِدِ

وروى أيضاً :

* لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِى وَإِنْ كُنْتُ دَارِيا *

والبظراء : المرأة التى لها بظر ، والبَظْر : لحمة بين شفرى المرأة ، وهى القلفة التى تقطع فى الختان ، و بَظِرَت المرأة — بالكسر — فهى بظراء ؛ إذا لم تختن ، وأم خالد : مبتدأ ، و بظراء : خبر مقدم ، وروى مخفوضة بدل مختونة ، وخُفِضَتْ بدل ختنت ، والختان مشترك بين الذكر والأنثى ، يقال : ختن الخاتن الصبى ختنا من باب ضرب ، والاسم الختان والختانة ، بكسرها ، و يطلق الختان على موضع القطع من الفرج ، وفى الحديث (إذا التقى الختانان) وهو كناية لطيفة عن تغييب

الحشفة ، فالمراد من التقائهما تقابل موضع قطعهما ، فالغلام مختون والجارية مختونة وغلام وجارية ختين أيضاً ، والخفضُ خاص بالأنثى ، يقال : خَفَضَت الخافضة الجارية خفاضا : ختنتها ، فالجارية مخفوضة، ولا يقال : الخفض إلا على الجارية دون الغلام ، وهو بالخاء والضاد المعجمتين بينهما فاء ، قال الجو اليقى : وروى أيضاً وُضِعَتْ و بُضِعَتْ ، والكل بمعنى واحد ، قال ابن السيرافى فى شرح أبيات إصلاح المنطق وتبعه الجو اليقى : « يقول أنا فى شك أمختونة هى أم لا ، ثم قال : و إن كنت أعلم أنها كذلك ، فإن كانت مختونة فما ختنت إلا بعد ما كبر ابنها فختنت بحضرته وعنى بحصان ابنها » انتهى .

وقال ابن السّيد فى شرح أبيات أدب الكاتب : «وفى معنى البيت قولان : قيل : إنه أراد بالمصّان الحجّام لأنه يمص المحاجم ، يقول : إن كانت ختنت فإنما ختنها الحجام لتبذلها وقلة حيائها ؛ لأن العادة جرت أن يختن النساء النساء ، وقيل : أراد بالمصان ابنها خالدا ؛ لأن العرب تقول لمن تسبه : يامصان : أى يامن مص بظر أمه ، يقول إن كانت ختنت فإنما خُتِنَتْ بعد أن بلغ ابنها المصان القعود ، فقد مص بظرها على كل حال ، وأجرى مصان مجرى الأسماء الأعلام ؛ فلذلك لم يصرفه » انتهى .

ولا يحتاج إلى هـــذا ؛ فإن مَصّان وصف له كَسلْمَان فمنع صرفه للوصفية والزيادة (١)

وقد اختلف فى قائلهما والمهجو بهما ، قال يعقوب بن السكيت فى إصلاح المنطق

---

(١) هذا كلام غير مستقيم ؛ لأنه ليس كل وصف على فعلان يمتنع صرفه ؛ بل ذلك خاص بما كان مؤنثه على فعلى ، أو بما لا يكون مؤنثه على فعلانة ، وقد قيل : للأنثى مصانة ؛ فصان مصروف ، فامتناع صرف مصان فى البيت لضرورة الشعر وهو جائز عند الكوفيين

وتبعه الجواليقى فى شرح أبيات أدب الكاتب ، وابنُ برى فى حاشية الصحاح وغيرُهما : «وأنشد الفراء فى تأنيث الموسى لزياد الأعجم يهجو خالد بن العتاب بن ورقاء لما أعطى إليه خالد بَدْرَةً من الدراهم وقال له مازحا : أدخلها فى حر أمك ، وكذا قال أبو عمرو الشيبانى ، وقيل : قائلها أعشى همدان ، واسمه عبد الرحمن بن عبد الله ويكنى أبا المُصَبِّح ، قالها فى خالد بن عبد الله القسرى ، وهذا قول أبى الفرج الأصبهانى فى الأغانى : قال : حدثنا الخرّاز عن المدائنى عن عيسى بن زيد وابن جُعْدُبَةَ قالا : كانت أم خالد القسرى رومية نصرانية : فبنى لها كنيسة فى قبلة مسجد الجامع فى الكوفة فكان إذا أراد المؤذن بالمسجد أن يؤذن ضرب لها بالناقوس ، وإذا قام الخطيب على المنبر رفع النصارى أصواتهم بقراءتهم ، فقال أعشى همدان يهجوه ويعيره بأمه ، وكان الناس إذا ذكروه قالوا : ابن البظراء فأنف من ذلك ، فيقال : إنه ختن أمه كارهة فعيره الأعشى بذلك حين يقول : [من الطويل]

حديث خالد القسرى وهجاء الشعراء له

لَعَمْرِكَ ما أدرِى وَإنِّى لَسَائِلٌ   أبَظْرَاءُ أمْ مَخْتُونَةٌ أمُّ خَالِدِ

فَإنْ كَانَتِ المُوسَى جَرَتْ فَوْقَ بَظْرِهَا   فَمَا خُتِنَتْ إلَّا وَمَصَّانُ قَاعِدُ

يَرَى سَوْأةً مِنْ حَيْثُ أطْلَعَ رَأسَهُ   تَمُرُّ عَلَيْهَا مُرْهَفَاتُ الحَدَائِدِ

وقال أيضا يرميه باللواط :

ألَمْ تَرَ خَالِدًا يَخْتَارُ مِيًّا   وَيَتْرُكُ فِى النِّكَاحِ مَشَقَّ صَادِ

وَيُبْغِضُ كُلَّ آنِسَةٍ لَعُوبٍ   وَيَنْكِحُ كُلَّ عَبْدٍ مُسْتَقَادِ

وقال أبو عبيدة : حدثنى أبو الهذيل العلاف ، قال : صعدَ خالد القسرى المنبر فقال : إلى كم يغلب باطلُنا حقَّكم ، أما آن لربكم أن يغضب لكم ، وكان زنديقا وأمه نصرانية ؛ فكان يولى النصارى والمجوس على المسلمين ويأمرهم بضربهم وامتهانهم ، وكان أهل الذمة يشترون الجوارى المسلمات ويطئونهن ؛ فيطلق ذلك

لهم ولا يغيره عليهم ، وله يقول الفرزدق من أبيات : [من الطويل]

وَأَنْتَ ابْنُ نَصْرَانِيَّةٍ طَالَ بَظْرُهَا غَذَتْكَ بِأَوْلَادِ الْخَنَازِيرِ وَالْخَمْرِ

وقال فيه أيضاً : [من الطويل]

أَلَا لَعَنَ الرَّحْمٰنُ ظَهْرَ مَطِيَّةٍ أَتَتْنَا تَخَطَّى مِنْ بَعِيدٍ بِخَالِدِ

وَكَيْفَ يَؤُمُّ الْمُسْلِمِينَ وَأُمُّهُ تَدِينُ بِأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِوَاحِدِ

وأورد له صاحب الأغانى حكايات كفريات كثيرةً صريحةً فى كفره وزندقته ، وروى بسنده عن خالد بن صفوان بن الأهتم أنه قال : «ولم تزل أفعال خالد به حتى عزله هشام وعذبه وقتل ابنه يزيد بن خالد ؛ فرأيت فى رجله شريطا قد شد به والصبيان يجرونه ، فدخلت إلى هشام فحدثته فأطلت ، فتنفس ثم قال : يا خالد ، رُبَّ خالدٍ كان أحبَّ إلَيَّ قُرْباً وألذَّ عندى حديثاً منك ، قال : يعنى خالدا القسرى ؛ فانتهزتها ورجوت أن أشفع فيكون لى عند أمير المؤمنين يد ، قلت : يا أمير المؤمنين فما يمنعك من استئناف الصَّنيعة عنده فقد أدبته بما فرط منه ، فقال : هيهات ، إن خالدا أوجف فأعجف ، وأدَلَّ فأذَلَّ ، وأفرط فى الإساءة فأفرطنا فى المكافأة ، حَلِمَ الأَدِيمُ [1] ونَغِلَ [2] الجرحُ ، وبلغ السيل الزُّبَى و [جاوز] الحِزامُ الطُّبْيَيْنِ [3] ؛ فلم يبق فيه مستصْلَح ، ولا للصنيعة عنده موضع »

حديث هشام وخالد القسرى

---

(١) يقال : حلم الأديم — بالكسر — أصابته الحلمة ، وهى دودة تخرقه فلا ينفع فيه الدباغ

(٢) فى الأصول « بتل الجرح » ولا معنى له والصواب ما أثبتناه ، والنغل — بفتحتين — : الفساد ، وفى الحديث : ربما نظر الرجل نظرة فنغل قلبه كما ينغل الأديم فى الدباغ فيتثقب

(٣) الزبى : جمع زبية — بالضم — وهى حفرة تحفر للأسد إذا أرادوا صيده والطبيان : مثنى طبي — بالضم أو الكسر — وهو لذى الحافر والسباع كالضرع لغيرها ، وهذان مثلان يضربان إذا تجاوز الأمر قدره ، وفى معناهما «بَلَغَ الدَّمُ الشُّنَنَ»

وأعشى همدان شاعر فصيح كوفى من شعراء الدولة الأموية ، وكان زوج أخت الشعبى الفقيه ، والشعبي زوج أخته ، وكان أحد القراء الفقهاء ، ثم ترك ذلك وقال الشعر ، وخرج مع ابن الأشعث فأُتِيَ به الحجاج فقتله صبرا ، وكان الأعشى ممن أغزاه الحجاج الديلم فأُسر ؛ فلم يزل أسيراً فى أيدى الديلم مدة ، ثم إن بنتاً للعِلْج الذى كان أسره هويته ، وسارت إليـه ليلا ومكنته من نفسها ؛ فواقعها ثمانى مرات ، فقالت له : أهكذا تفعلون بنسائكم ، فقال لها : نعم ، فقالت : بهذا الفعل نُصِرتم ، أفرأيت إن خلصتك أتصطفينى لنفسك ؟ فقال : نعم ، وعاهدها ؛ فحلت قيوده وأَخَذَتْ به طريقاً تعرفها حتى خلصته ، فقال شاعر من أُسراء المسلمين : [من الطويل]

أسر الديلم لأعشى همدان ثم اطلاقه

وَمَنْ كَانَ يَفْدِيهِ مِنَ الْأَسْرِ مَالُهُ ... فَهَمْدَانُ تَفْدِيهَا الْغَدَاةَ أُيُورَهَا

وكان الأعشى مع خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحى بالرَّىّ ، وأملق الأعشى يوماً فأتاه فقال : [من الطويل]

رَأَيْتُ ثَنَاءَ النَّاسِ بِالْغَيْبِ (١) طَيِّبًا ... عَلَيْكَ وَقَالُوا : مَاجِدٌ وَابْنُ مَاجِدِ

بَنِى الْحَارِثِ السَّامِينَ لِلْمَجْدِ إِنَّكُمْ ... بَنَيْتُمْ بِنَاءً ذِكْرُهُ غَيْرُ بَائِدِ

فَإِنْ يَكُ عَتَّابٌ مَضَى لِسَبِيلِهِ ... فَمَا مَاتَ مَنْ يَبْقَى لَهُ مِثْلُ خَالِدِ

* * *

وأنشد الجاربردى هنا — وهو الشاهد الثانى والأربعون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه — : [من الوافر]

١٤٢ — أَتَوْا نَارِى فَقُلْتُ : مَنُونَ أَنْتُمْ ؟

فَقَالُوا : الْجِنُّ ، قُلْتُ : عِمُوا ظَلَامَا

فَقُلْتُ : إِلَى الطَّعَامِ ، فَقَالَ مِنْهُمْ ... فَرِيقٌ : نَحْسُدُ الْإِنْسَ الطَّعَامَا

---

(١) فى الأغانى (جـ ٦ ص ٥٧) « بالقول » وفى ديوان الأعشى مثل ما هنا

على أن قوله « الإنْسَ » يدل على أن همزة إنسان أصل ، وأنه مأخوذ من الأُنْس لا من النسيان ، وأنشد سيبويه البيت الأول على أن يونس يجوِّز فيه الحكاية بمن وصلا ، كما فى البيت ، و « عِمُوا » معناه : أنْعِمُوا ، وهى كلمة تحية عند العرب ، يقال : عِمُوا صباحا ، وإنما قال لهم : عِمُوا ظلاما ؛ لأنهم جِنٌّ وانتشارهم بالليل ، كما يقال لبنى آدم إذا أصبحوا : عِمُوا صباحا

وقد شرحناه شرحا وافياً فى الشاهد الواحد والخمسين بعد الأربعمائة من شواهد شرح الكافية

***

وأنشد بعده أيضاً ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد المائة : [من الخفيف]

١٤٣ — إنَّما أنْفُسُ الأَنِيسِ سِبَاعٌ يَتَفَارَسْنَ جَهْرَةً وَاغْتِيَالاَ

على أن قوله « الأنِيس » وهو بمعنى الأنس يدل أيضاً على إن إنسان أصله كما تقدم قبله

والبيت من قصيدة للمتنبي مدح بها سيف الدولة ، مطلعها : [من الخفيف]

ذِى الْمَعَالِى فَلْيَعْلُوَنْ مَنْ تَعَالَى هَكَذَا هَكَذَا وَإلاَّ فَلاَ لاَ

وبعده وهو آخر القصيدة :

مَنْ أَطَاقَ الْتِمَاسَ شَىْء غِلاَبًا وَاغْتِصَابًا لَمْ يَلْتَمِسْهُ سُؤَالاَ

كُلُّ غَادٍ لِحَاجَةٍ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ الْغَضَنْفَرَ الرِّئْبَالاَ

***

وأنشد أيضاً بعده — وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد المائة — : [من الكامل]

١٤٤ — إن الْمَنَايَا يَطَّلِعْـــنَ عَلَى الأُنَاسِ الآمنينا

وقد شرحناه مفصلا فى الشاهد السابع والعشرين بعد المائة من شواهد شرح الكافية

* * *

وأنشد أيضاً ـ وهو الشاهد الخامس والأربعون بعد المائة ـ : [من الكامل]

١٤٥ — لاَ تَنْسَيَنْ تِلْكَ الْعُهُودَ فَإِنَّمَا
سُمِّيْتَ إِنْسَاناً لِأَنَّكَ نَاسِى

على أن قوله « سميت إنساناً لأنك ناسى » يدل على أن همزة إنسان زائدة من النسيان ، فلامه محذوفة ، ورد بأنه لم يذهب به مذهب الاشتقاق ، وإنما هو تخييل شعرى ، على أن شعر أبى تمام لا يحتج به ؛ لأنه من المولدين

والبيت من قصيدة مدح بها أحمد بن المأمون بن هرون الرشيد وقبله — وهو فى الغزل — :

قَالَتْ وَقَدْ حُمَّ الفِرَاقُ وَكَأْسُهُ   قَدْ خُولِطَ السَّاقِى بِهَا وَالْحَاسِى
لاَ تَنْسَيَنْ تِلْكَ الْعُهُودَ   .... البيت

ومنها :

هَدَأَتْ عَلَى تَأْمِيلِ أَحْمَدَ هِمَّتِى   وَأَطَافَ تَقْلِيدِى بِهِ وَقِيَاسِى

ومنها فى المديح — وهو مشهور — :

إِقْدَامُ عَمْرٍو فِى سَمَاحَةِ حَاتِمٍ   فِى حِلْمِ أَحْنَفَ فِى ذَكَاءِ إِيَاسِ
لاَ تُنْكِرُوا ضَرْبِى لَهُ مَنْ دُونَهُ   مَثَلاً شَرُودًا فِى النَّدَى وَالْبَاسِ
فَاللهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقَلَّ لِنُورِهِ   مَثَلاً مِنَ الْمِشْكَاةِ وَالنِّبْرَاسِ

وزعم بعضهم أن هذه القصيدة فى مدح الخليفة ، وقال : « لما أنشد

* إِقْدَامُ عَمْرٍو فِى سَمَاحَةِ حَاتِمٍ *

قال الفيلسوف الكندى : ما قدر هؤلاء حتى تشبه بهم مولانا ومولاهم [1] ، فنظر إليه أبو تمّام وزاد ارتجالا فى القصيدة — ولم يقطع إنشاده — :

* لاَ تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ مَثَلاً * إلى آخر البيتين

وكان من الحاضرين فى مجلس الخليفة جبريل بن بَخْتَيْشُوع الطبيب ، فقال : والله لقد شَمِمْتُ رائحة كبده لفرط اتقاده ، فمات أبو تمام بعد أيام» انتهى ، والله أعلم

* * *

وأنشد بعده أيضاً — وهو الشاهد السادس والأربعون بعد المائة — : [من البسيط]

١٤٦ — أُدْعَى بِأَسْمَاءَ نَبْزًا فِي قَبَائِلِهَا
كَأَنَّ أَسْمَاءَ أَضْحَتْ بَعْضَ أَسْمَائِي

على أن الشاعر لقب بأسماء ، لما بينه و بين أسماء من الملابسة والشهرة فى محبتها

و « أُدْعى » بالبناء للمفعول ، بمعنى أُسَمَّى ، يتعدى إلى المفعول الثانى تارة بنفسه وتارة بالباء ، يقال : دعوت الولد زيداً و بزيد ؛ إذا سميته بهذا الاسم ، و «أسماء» من أعلام النساء ، وأصله وَسْماء ، من الوسامة بمعنى الجمال ، و «نبزا» تمييز ، والنبز : اللقب تسمية بالمصدر ، يقال : نبزه بكذا نبزاً من باب ضرب ... إذا لقبه به

والبيت من قصيدة لأبى محمد خازن كتب الصاحب بن عباد مدحه بها ، مطلعها :

هَذَا فُؤَادُكَ نُهْبَى بَيْنَ أَهْوَاءِ وَذَاكَ رَأْيُكَ شُورَى بَيْنَ آرَاءِ
لاَ تَسْتَقِرُّ بِأَرْضٍ أَوْ تَسِيرَ إِلَى أُخْرَى بِشَخْصٍ قَرِيبٍ عَزْمُهُ نَاءِ
يَوْمًا بِحُزْوَى وَيَوْمًا بِالْعَقِيقِ وَبِالْـــعُذَيْبِ يَوْمًا وَيَوْمًا بِالْخُلَيْصَاءِ
كَذَا تَهِيمُ بِسُعْدَى بُرْهَةً وَإِذَا هَوِيتَ عَزَّةَ تَبْغِي وَصْلَ عَفْرَاءِ

---

(١) فى الأصول « حتى تشبه به » وهو تحريف

ومن المديح :

هُوَ الوَزِيرُ أَدَامَ اللهُ نِعْمَتَهُ ... وَعِزَّهُ وَوَقَاهُ كُلَّ أَسْوَاء
لَوَ أَنَّ سَحْبَانَ بَارَاهُ لَأَسْحَبَهُ ... عَلَى فَصَاحَتِهِ أَذْيَالَ فَأْفَاء
وَلَوْ رَآهُ زُهَيْرٌ لَمْ يَزُرْ هَرِمًا ... وَلَمْ يُعَرِّجْ عَلَى التَّنُّومِ وَالْآء
أَرَى الْأَقَالِيمَ أَعْطَتْهُ مَقَالِدَهَا ... إِلَيْهِ مُسْتَلْقِيَاتٍ أَيَّ إِلْقَاء
تُسَاسُ سَبْعَتُهَا مِنْهُ بِأَرْبَعَةٍ ... أَمْرٍ وَنَهْيٍ وَتَثْبِيتٍ وَإِمْضَاء
كَذَاكَ تَوْحِيدُهُ أَوْدَى بِأَرْبَعَةٍ ... كُفْرٍ وَجَبْرٍ وَتَشْبِيهٍ وَإِرْجَاء
وَقَدْ تَجَنَّبَ «لَا» يَوْمَ الْعَطَاءِ كَمَا ... تَجَنَّبَ ابْنُ عَطَاءٍ لَثْغَةَ الرَّاء
يَالَيْتَ أَعْضَاءَ جِسْمِي كُنَّ أَلْسِنَةً ... فَصَارَ يُثْنِي عَلَيْهِ كُلُّ أَعْضَائِي

روى أنه لما أنشدها بين يدى الصاحب [كان] مقبلا عليه حسن الإصغاء إليه حتى عجب الحاضرون ؛ فلما بلغ البيت الشاهد مال الصاحب عن دَسْته طرباً ، فلماختمها قال له : « أحسنت ، ولله أنت » وتناول النسخة منه ثم أمر له بخلعة من ملابسه ، وفرس من مراكبه ، وصلة وافرة .

وأبو محمد هذا هو عبد الله بن أحمد الخازن ، كان خازنا لـكتب الصاحب اسماعيل بن عبّاد ، وزير مؤيد الدولة بن بُوَيْه ، وكان أبو محمد حسنة من حسنات أصبهان وأفرادها فى الشعر ، ومن خَوَاصّ الصاحب . وترجمه الثعالبي فى اليتيمة ، وأوْرَد له أشعارا جيدة وحكايات مفردة .

* * *

وأنشد أيضاً بعده ـ وهو الشاهد السابع والأربعون بعد المائة ـ : [من الطويل]

١٤٧ — لَقَدْ تَرَكَتْنِي مَنْجَنِيقُ ابْنُ بَحْدَلٍ
أَحِيدُ مِنَ الْعُصْفُورِ حِينَ يَطِيرُ

على أن المنجنيق مؤنث ، ولهذا قال « تركتنى » كذا فى الصحاح والعباب وغيرهما .

وأحيد : مضارع حادَ عن كذا حَيْدَة وحُيُودا ، إذا تنحى و بعد عنه ، ويتعدى بالحرف والهمزة ؛ فيقال : حدت به ، وأحدته ، وابن بَحْدَل — بالموحدة والحاء المهملة — : هو حُمَيْد بن حُرَيْث بن بَحْدَل ، من بنى كلب بن و بْرَة، و ينتهى نسبه إلى قُضَاعَة ، وكانت عمته مَيْسُون بنت بَحْدَل أم يزيد بن معاوية ، ولما مات يزيد وثب زُفَر بن الحارث على قِنَّسْرِين فتملكها ، و بايع لابن الزبير رضى الله عنه ، وخرج عُمَيْر بن الُحْباب السُّلَمى مُغِيرا على بنى كلب بالقتل والنهب ، فلما رأت كلب ما وقع لهم اجتمعت إلى حميد بن حُرَيْث بن بحدل ، فقتل حميد بنى فزارة قتلاً ذريعاً وحاصر زفر بن الحارث ، وفى ذلك قال زفر :

* لَقَدْ تَرَكَتْنِى مَنْجَنِيقُ ٱبْن بَحْدَل * البيت

وزفر بن الحارث الكلابى كان سيد قيس فى زمانه ، فى الطبقة الأولى من التابعين من أهل الجزيرة ، من أمراء العرب ، سمع عائشة وميمونة وشهد وقعة صِفِّينَ مع معاوية أميرا على أهل قِنَّسْرِين ، وهرب من قنسرين فلحق بقَرْقِيسِياء [1] ، ولم يزل متحصِّناً بها حتى مات فى مدة عبد الملك بن مروان ، فى بضع وسبعين من الهجرة

* * *

وأنشد أيضا ـ وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد المائة ـ : [من الرجز]

١٤٨ * وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌ عُرُدُّ *

على أن عُرُدًّا — بضمتين فتشديد — يدل على زيادة النون فى عُرُنْد — بضمتين فسكون ؛ لأنه بمعناه

قال الصاغانى فى العباب : «ووتر عُرُدٌّ كَعُتُلٍّ وَعُرُنْد كَتُرُنْج : شديد غليظ

---

(١) قرقيسياء ـ بفتح فسكون فكسر فياء ، و بعد السين المهملة ياء ، ومنهم من يرويه بدونها ، وآخره همزة ـ : بلد عند مصب نهر الخابور فى الفرات

وكذلك رِشَاءٌ عُرُدٌّ وعُرُنْد، وكذلك من كل شيء، قال حنظلة بن ثعلبة بن يسار يومَ ذى قار:

مَا عِلَّتِي وَأَنَا شَيْءٌ إِدُّ وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌ عُرُدُّ

مِثْلُ ذِرَاعِ الْبَكْرِ أَوْ أَشَدُّ

ويروى «مثل ذراع الفيل»(١) وفى نوادر ابن الأعرابىّ

قَدْ جَدَّ أَشْيَاعُكُمُ فَجِدُّوا وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌ عُرُدُّ

والإِد ـ بكسر الهمزة ـ : الداهية، والأشياع: جمع مشايع(٢)، وهو الصاحب وَالْبَكْرُ — بفتح الموحدة — : الفتىّ من الإبل، ويوم ذى قار: يوم للعرب غلبوا فيه جنود كسرى، وكان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

***

وأنشد بعده — وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد المائة — : [من الرجز]

١٤٩ — * أُمَّهَتِى خِنْدِفُ وَالْيَاسُ أَبِى *

على أن الهاء فى «أُمَّهَتِى» زائدة

قال ابن جنى فى سر الصناعة: «كان أبو العباس يخرج الهاء من حروف الزيادة، ويذهب إلى أنها إنما تلحق فى الوقف فى نحو «اخْشَهْ» «وارْمِهْ» و«هُنَهْ» [ولَكِنَّهْ، وتأتى بعد تمام الكلمة](٣) وهذه مخالفة منه للجماعة، وغير مرضى [منه] عندنا، وذلك أن الدلالة قد قامت على زيادة الهاء فى غير

---

(١) فى اللسان (ع ر د) روايته:

* مثلُ جِرَانِ الْفِيلِ أَوْ أَشَدُّ *

(٢) كذا فى الأصول، وهو غير مستقيم، والأشياع: جمع شيع ـ بكسر ففتح ـ وهو جمع شيعة، وشيعة الرجل: أتباعه وأنصاره، واختص فى العرف بشيعة على كرم الله وجهه

(١) الزيادة من سر الصناعة لابن جنى فى باب الهاء والكلام على زيادتها

ماذكره ؛ فما زيدت فيه الهاء قولهم « أمَّهَات » ووزنه فُعْلَهَات ، والهاء زائدة ؛ لأنه بمعنى الأم ، والواحدة أمهة ، قال :

* أمَّهَتِي خِنْدِفُ وَالْيَاسُ أَبِي *

[أى أمى] . قولهم : أم بَيِّنَة الأمومة ، قد صح لنا منه أن الهمزة فيه فاء الفعل ، والميم الأولى عين الفعل ، والميم الآخرة لام الفعل ، فأم بمنزلة دُرّ وحرّ وحُبّ وجُلّ مما جرى على وزن فُعْلٍ وعينه ولامه من موضع واحد

وأجاز أبو بكر فى قول من قال أمَّهة فى الواحد أن تكون الهاء أصلية وتكون فعَّلة ، وهى فى قول أبى بكر بمنزلة تُرَّهَة وأُبَّهة وَقُبَّرَة ، ويُقَوِّى هذا الأصل قول صاحب العين : تأمهت أمًّا ؛ [فتأمَّهْت] بيّن أنّه تفعَّلْت بمنزلة تَفَوَّهْت وَتَنَبَّهْت ، إلا أن قولهم فى المصدر الذى هو الأصل أُمُومَة يُقَوِّى زيادة الهاء فى أمَّهة وأن وزنها فُعْلَهَة ، ويزيد فى قوة ذلك قولهم :

إِذَا الْأُمَّهَاتُ قَبَحْنَ الْوُجُوهَ . . . . البيت

وقرأتها على أبى سهل أحمد بن محمد بن القطان

* فَوَّالِ مَعْرُوفٍ وفَعَّالِهِ * البيت

وهذا فيمن أثبت الهاء فى غير الآدميين ، وقال الآخر :

لَقَدْ وَلَدَ الأُخَيْطِلَ أُمُّ سُوءٍ [عَلَى بَابِ اُسْتِهَا صُلُبٌ وَشَامُ]

فجاء بلا هاء فيمن يعقل ، وقال الراعى :

[كَانَتْ نَجَائِبُ مُنْذِرٍ وَمُحَرِّقٍ] أُمَّاتِهِنَّ وَطِرْقُهُنَّ فَحِيلَا

فجاء بغير هاء ، إلا أنه فى غالب الأمر فيمن يعقل بالهاء ، وفيمن لا يعقل بغير هاء ؛ زادوا الهاء فرقا بين من يعقل وبين مالا يعقل ، فإن قال قائل : ماالفرق بينك وبين من عكس الأمر عليك فقال : ما تنكر أن تكون الهاء إنما حذفت فى غالب الأمر مما لا يعقل وأثبتت فيمن يعقل ، وهى أصل فيه للفرق ؟ فالجواب

أن الهاء أحد [الحروف العشرة التى تسمى] حروف الزيادة لا حروف النقص ، وإنما سميت حروف الزيادة لأن زيادتها فى الكلام هو الباب المعروف ، وأما الحذف فإنما جاء فى بعضها ، وقليل ذلك ، ألا ترى إلى كثرة زيادة الواو والياء فى الكلام وأن ذلك أضعاف أضعاف حذفهما إذا كانتا أصليّتين نحو يَدٍ ودَمٍ [وغَدٍ] وأب وأخ وهَنٍ ، فهذه ونحوها أسماء يسيرة محدودة محتقرة فى جنب الأسماء المزيد فيها الياء والواو[1] ، وكذلك الهاء أيضاً إنما حذفت فى نحو شفة : وأست وعِضَةٍ فيمن قال : عاضِه ، وسَنة فيمن قال : سانَهْتُ ، وما يقلُّ جدا ، وقد تراها تزاد للتأنيث فيما لا يحاط به ، نحو جَوْزَة ولَوْزة ، ولبيان الحركة فى نحو (ماليَهْ) و (كِتَابِيَهْ) ولبيان حرف المد نحو « وَازَيْدَاه » ، ألا ترى أن من حروف الزيادة ما يزاد ولا يحذف فى شىء من الكلام البتة ؟ وذلك اللام والسين والميم ، فقد علمت أن الزيادة فى هذه الحروف أفشى من الحذف ، فعلى هذا القياس ينبغى أن تكون الهاء فى أمّهَة زيادة على أم ؛ فأما قول من قال : تأمّهتُ أمّا وإثباته الهاء فنظيره مما يعارضه قولهم : أم بيّنة الأمومة ، بحذف الهاء ؛ فرواية برواية ، وبقى الذى قدمناه حاكما بين القولين ، وقاضياً بأن زيادة الهاء أولى من اعتقاد حذفها ، على أن الأمومة قد حكاها ثعلب ، وحسبك به ثقة ، وأما « تأمّهْت أما » فإنما حكاها صاحب العين ، وفى كتاب العين من الخطل والاضطراب ما لا يدفعه نَظّار جَلْد » إلى آخر ما ذكر من القَدْح فى هذا الكتاب .

وكذا حكم الزمخشرى فى المفصل بزيادة الهاء فى لفظ المفرد والجمع ، وقال : تأمّهت مُسْتَرْذَل ، وأنشد البيت فى الكشاف عند قوله تعالى (فى بُطُونِ أمّهَاتِكم) على أن زيادة الهاء فى المفرد شاذة .

والبيت لقُصَىّ بن كلاب جَدّ النبى صلى الله عليه وسلم ، وقبله :

---

(١) هنا فى سر الصناعة أمثلة للياء والواو الزائدتين

إِنِّى لَدَى الْحَرْبِ رَخِىُّ اللَّبَبِ عِنْدَ تَنَادِيهِمْ بِهَالٍ وَهَبِ
مُعْتَزِمُ الصَّوْلَةِ عَالِى النَّسَبِ أُمَّهَتِى خِنْدِفُ وَالْيَاسُ أَبِى

كذا فى شرح أمالى القالى لأبى عبيد البكرى ، والروض الأنف للسهيلى ، وزعم العينى أن بعده : * وحاتم الطائى * وهو خطأ قافيةً ونسبا ؛ وإنما هذا البيت من أبيات لامرأة من اليمن تقدم شرحه فى هذا الكتاب

وقوله « إنى لدى الحرب — الخ » الرخى : المرتخى ، واللبب : ما يشد على ظهر الدابة ليمنع السرج والرحل عن الاستئخار ، والارتخاء إنما يكون عن كثرة جرْى الدابة ، وهو كناية عن كثرة مبارزته للأقران ، ويقال أيضاً : فلان فى لبَب رخىٍّ ؛ إذا كان فى حالة واسعة ، وليس هـذا بمراد هنا ، والعجب من شارح شواهد التفسيرين فى شرحه بهذا ، وقوله « عند تناديهم » ظرف متعلق برخى ، وهالٍ : اسم فعل زجر للخيل ، كذا فى العباب ، وتنوينه للتنكير ، وهب وكذا هبِى : اسم فعل دعاء للخيل : أى أقدمى وأقبلى ، كذا فى القاموس ، وقوله « معتزم الصَّوْلة » من العَزْم ، وهو عَقْد القلب على فعل ، والصَّوْلة : من صَال الفَحْل صولة ، إذا وثب على الإبل يقاتلها ، وقوله « أمهتى خندف » يريد أم جده مدركة بن إلياس بن مضر ، وكذا يريد بقوله « والياس أبى » جَدَّه إلياس بن مضر ، وخندف : بكسر الخاء المعجمة وكسر الدال ، والنونُ بينهما ساكنةٌ . وفى سيرة ابن هشام : « ولد إلياس بن مُضر ثلاثةَ نفرٍ : مدركة بن إلياس ، وطابخة ابن إلياس ، وقَمَعَة بن إلياس ، وأمهم خندف امرأة من اليمن ، وهى خندف بنت عمران بن الحارث بن قضاعة ، وكان اسم مدركة عامرا واسم طابخة عَمْرًا ، وزعموا أنهما كانا فى إبل لهما يرعيانها ، فاقتنصا صيدا ، فقعدا عليـه يطبخانه ، وعدت عادية على إبلهما ، فقال عامر لعمرو : أتدرك الإبل أو تطبخ هذا الصيد ؟ فقال عمرو : بل أطبخ ، فلحق عامر بالإبل فجاء بها ، فلما ردَّاها على أبيهما حدثاه

شأنهما ، فقال لعامر : أنت مدركة ، وقال لعمرو : أنت طابخة » انتهى

قال السهيلي : « وفى هذا الخبر زيادة ؛ وهو أن إلياس قال لأمهم – واسمها ليلى ، وأمها ضَرِيَّةُ بنت ربيعة بن نزار التى ينسب إليها حِمَى ضَرِيَّة وقد أقبلت تخندف فى مشيها –: مالك تخندفين ؛ فسميت خندف ، والخَنْدَفة فى اللغة : سرعة فى مشى ، وقال لمدركة : وأنت قد أدركت ما طلبت ، وقال لطابخة : وأنت قد أنضجت ما طبخت ، وقال لقَمَعَة وهو عمير : وأنت قد قعدت وانقمعت ، وخندف التى عرف بها بنو إلياس هى التى ضربت الأمثال بحزنها على إلياس ، وذلك أنها تركت بنيها وساحت فى الأرض تبكيه حتى ماتت كمدا ، وكان مات يوم خميس ؛ فكانت إذا جاء الخميس بكت من أول النهار إلى آخره ، فمما قيل من الشعر فى ذلك :

سبب تسمية ليلى زوج الياس بخندق

إِذَا مُؤْنِسٌ لاَحَتْ خَرَاطِيمُ شَمْسِهِ   بَكَتْهُ بِهِ حَتَّى تَرَى الشَّمْسَ تَغْرُبُ
فَمَا رَدَّ بَأْسًا حُزْنُهَا وَعَوِيلُهَا   وَلَمْ يُغْنِهَا حُزْنٌ وَنَفْسٌ تُعَذَّبُ

وكانوا يسمون يوم الخميس مؤنساً ، قال الزبير : وإنما نُسِب بنو إلياس إلى أمهم لأنها حين تركتهم شغلا بحزنها على أبيهم رحمهم الناس ؛ فقالوا : هؤلاء أولاد خندف الذين تركتهم وهم صغار أيتام حتى عرفوا ببنى خندف » انتهى

ونقل ابن المستوفى فى تسميتها خندف وجهاً آخر ، قال : «فقَدَهُمْ إلياس يوما ، فقال لها : اخرجى فى طلب أولادك ، فخرجت وعادت بهم ، فقالت : ما زلت أُخَنْدِف فى طلبهم حتى ظفرت بهم ، فقال لها إلياس : أنت خِنْدِف » انتهى

وأما إلياس – بنقطتين من تحت – فهو أخو الناس – بالنون – الملقب بعيلان على قول

وقول الشارح « يريد به إليـاس – بقطع الهمزة – فوصلها للضرورة » هذا قول ابن الأنبارى ، وجعله غريباً مأخوذاً مما يأتى . ويردّ على قوله أن فيـه ضرورة أخرى وهو حذف التنوين ، ولو جعله أعجميا لم يرد هـذا ، قال السهيلى فى الروض : « قال ابن الأنبارى : إلياس بكسر الهمزة ، وجعله موافقاً

اشتقاق الياس

لاسم إلياس النبي عليه السلام ، وقال في اشتقاقه أقوالا : منها أن يكون فِعْيَالاً من الأَلْسِ ، وهي الخديعة والخيانة ، ومنها أن الأَلْس اختلاط العقل ، وأنشدوا : [من البسيط]

* إِنِّي إِذًا لَضَعِيفُ الْعَقْلِ مَأْلُوسُ *

ومنها أنه إفعَال من قولهم : رجل أَلْيَس ، وهو الشجاع الذي لا يفر ، والذي قاله غير ابن الأنباري أصح ، وهو أنه اليأس ، سمي بضد الرجاء ، واللام فيه للتعريف ، والهمزة همزة وصل ، وقاله قاسم بن ثابت في الدلائل ، وأنشد أبياتاً شواهد ، منها قول قصي هذا . ويقال : إنما سمي السُّلُّ « داء ياس » و « داء اليأس » لأن إلياس مات منه ، قال ابن هَرْمَة : [من الوافر]

يَقُولُ الْعَاذِلُونَ إِذَا رَأَوْنِي أُصِيبَ بِدَاءِ يَأْسٍ فَهُوَ مُودِي

وقال ابن أبي عاصية : [من الطويل]

فَلَوْ كَانَ دَاءُ الْيَأْسِ بِيَ وَأَغَاثَنِي طَبِيبٌ بِأَرْوَاحِ الْعَقِيقِ شَفَانِيَا

وقول عُرْوَة بن حزام : [من الطويل]

بِيَ الْيَأْسُ أَوْ دَاءُ الْهُيَامِ أَصَابَنِي فَإِيَّاكِ عَنِّي لاَ يَكُنْ بِكِ مَا بِيَا

ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تَسُبُّوا إِلْيَاسَ فَإِنَّه كَانَ مُؤْمِناً » . وذكر أنه كان يسمع في صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وسلم بالحج ، وإلياس أوّل من أهْدَى الْبُدْن إلى البيت ، قال الزبير : وأم إلياس الرباب (١) بنت حَيْدَة بن مَعَدّ بن عدنان ، قاله الطبري ، وهو خلاف ما قاله ابن هشام في هذا الكتاب » انتهى

والذي قاله ابن هشام أن أم إلياس وعَيْلاَن جُرْهُمِية

وقال أبوعبيد البكري في شرح أمالي القالي : « هذا الرجز حجة من قال إن

---

(١) في شرح المفضليات لابن الأنباري « الرئاب » بالهمز

إلياس بْن مضر اللام فيه للتعريف ، وألفه ألف وصل ، قال المفضل بن سَلَمَة وقد ذكر إلياس النبي عليه السلام : وأما إلياس بن مضر فألفه ألف وصل ، واشتقاقه من اليأس ، وهو السّل ، وقال الزبير بن بكار : إلياس بن مضر أول من مات من السل ، فسمى السل يأساً ، ومن قال إن إلياس بن مضر بقطع الألف على لفظ اسم النبي عليه السلام ينشد :

* أمَّهَتِي خِنْدِفُ إلْيَاسُ أبِي *

يعنى بلا واو ، ثم قال : واشتقاقه من قولهم : رجل ألْيَس : أى شجاع ، والأَلْيَس : الذى لايفرُّ ولا يبرح من مكانه ، وقد تَلَيَّسَ أشدَّ التَّلَيُّس ، وأسُود لِيسٌ وَلَبُؤَةٌ لَيْسَاء » انتهى كلامه .

وهذا يقتضى أنه عربى ؛ فيكون حذف التنوين منه للضرورة ، وأما حذف التنوين من خِنْدِف فللعلمية والتأنيث

وقال بعض فضلاء العجم فى شرح أبيات المفصل : « إلياس إسم أعجمى ، وقد سمت العرب به ، وهو إلياس بن مضر ، وكان يجب قطع همزته ، ألا ترى إلى قوله تعالى (وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) ؟ لكنه وصلها للضرورة » هذا كلامه

حديث قصى ورجوعه إلى مكة

وقصىٌّ ناظم هـذا الرجز هو أحد أجـداد النبى صلى الله عليه وسلم ، قال السهيلى (١) : « اسمه زيد ، وهو تصغير قَصِى : أى بعيد ؛ لأنه بعد عن عشيرته فى بلاد قُضَاعة حين احتملته أمه فاطمة مع بعلها ربيعة بن حَرَام ؛ فنشأ ولا يعلم لنفسه [أبا] إلا ربيعة ، ولا يدعى إلا له ، فلما كان غلاما سابّه رجل من قضاعة فعيره بالدّعوة ، وقال : لست منا ، وإنما أنت فينا مُلْصَق ، فدخل على أمه وقد وجَمَ لذلك ، فقالت له : يابنى ، صدق ؛ إنك لست منهم ، ولكن رهطك خير من رهطه ، وآباؤك أشرف من آبائه ، وإنما أنت قرشى ، واخوك وبنو عمك بمكة ، وهم جيران بيت الله الحرام ، فدخل فى سيارة حتى أتى مكة ، ثم

(١) أنظر الروض الأنف (حـ ١ ص ٦ ، ٨٤)

تزوج فيها ، وأخرج منها خزاعة ، وقام بأمرها

* * *

وأنشد بعده — وهو الشاهد الخمسون بعد المائة — : [من المتقارب]

١٥٠ — إِذَا الأُمَّهَاتُ قَبَحْنَ الوُجُوهَ فَرَجْتَ الظَّلَامَ بِأُمَّاتِكَا

على أن الأغلب استعمال الأمات فى البهائم ، والأمهات فى الانسان ، وقد جاء العكس كما فى البيت ، وقَبَحَهُ يقبَحُه — بفتح العين فيهما — بمعنى أخزاه وشوهه . والخزى : انكسار يعترى وجه الإنسان بذُل . والوجوه : مفعول قبح ، وأما قبُح يقبُح — بضم العين فيهما — فهو خلاف حسُن ، وفَرَجَه فَرْجاً من باب ضرب لغة فى فرّجه تفريجاً بمعنى كشفه . وصف أمهات المخاطب بنقاء الأعراض ، وقال : إذا قبحت الأمهات بفجورهن وجوهَ أولادهن عند الناس كشفتَ الظلام بضياء أفعالهن ، والمراد طهارتهن عما يتدنس به العرض

والبيت لمروان بن الحكم ، كذا قاله ابن المستوفى وغيره .

* * *

وأنشد بعده — وهو الشاهد الواحد والخمسون بعد المائة — : [من السريع]

١٥١ — قَوَّالِ مَعْرُوفٍ وَفَعَّالِهِ عَقَّارِ مَثْنَى أُمَّهَاتِ الرِّبَاعْ

لما تقدم قبله ، والبيت من قصيدة للسفاح بن بُكَيْر اليربوعى رثى بها يحيى بن مَيْسَرَة صاحب مصعب بن الزبير مذكورة فى المفضليات ، وقبله :

يَاسَيِّدًا مَاأَنْتَ مِنْ سَيِّدٍ مُوَطَّأَ البَيْتِ رَحِيبِ الذِّرَاعْ

وقد شرحناهما مع أبيات أخر منها فى الشاهد الخامس والثلاثين بعد الأربعمائة من شواهد شرح الكافية

وقوله « قَوَّالِ مَعْرُوف وفعّاله * عقّار » الثلاثة بالجر صفات لسيد مبالغة قائل ، وفاعل ، وعاقر من العقر ، وهو ضرب قوائم الإبل بالسيف ، لايطلق العقر

في غير القوائم ، وربما قيل : عقره ؛ إذا نحره فهو عقير ، وفعْله من باب ضرب ، وفي رواية * وهّاب مثنى الخ * والرباع — بالكسر — : جمع رُبَع — بضم ففتح — قال ابن الأنباري : « المعنى أنه لا يقول إلا فَعَل ، ولا يعد إلا وفى ، ولا يخلف وعدا ، والربع واحد الرِّبَاع ، وهو ما نتج في أول النِّتاج ، وهو أحد النتاج ، وخص أم الرباع لأنها أطيب الإبل ، وقوله « مثنى » أي : واحدة بعد أخرى » انتهى

* * *

وأنشد بعده : * مَا بَالُ عَيْنِي كَالشَّعِيبِ الْعَيَّنِ *

وتقدم الكلام عليه في الشاهد الخامس والعشرين من هذا الكتاب

* * *

وأنشد الجاربردي — وهو الشاهد الثاني والخمسون بعد المائة — : [من الرجز]

١٥٢ — أَطْعَمْتُ رَاعِيَّ مِنْ الْيَهْيَرِّ

على أن صاحب الصحاح قال : « يَهْيَرٌّ يَفْعلٌّ ، بمعنى صَمْغِ الطلح ، وأنشد متصلا به

فَظَلَّ يَعْوِي [(1)] حَبِطًا بِشَرِّ   خَلْفَ اسْتِهِ مِثْلَ نَقِيقِ الْهِرِّ

ثم قال بعده : وقال الأحمر : الحجر الْيَهْيَرُّ : الصُّلْب ، ومنه سمي صمغ الطلح يهيرا ، وقال أبو بكر بن السراج : ربما زادوا فيه الألف فقالوا يهيرّى [(2)]

---

(١) كذا في الأصول كلها ، وهو موافق لما في اللسان عن أبي عمرو ، وفي الصحاح « يغرى » مضارع أغراه بالشيء إغراء

(٢) في اللسان : « يقال للرجل إذا سألته عن شيء فأخطأ : ذهبت في اليهيرى ، وأين تذهب في اليهيرى ، وأنشد :

لَمَّا رَأَتْ شَيْخًا لَهَا دَوْدَرَّى   فِي مِثْلِ خَيْطِ الْعِهْنِ الْمُعَرَّى

ظَلَّتْ كَأَنَّ وَجْهَهَا مُحْمَرَّا   تَرْبُدُ فِي الْبَاطِلِ وَالْيَهْيَرَّى

والدودرى : من قولك : فرس درير : أي جواد » اهـ

قال : وهو من أسماء الباطل ، وقولهم : أكذب من اليهيرهو السراب» انتهى .

وقال الصاغانى فى العباب بعد ماذُكر : « وقال الليث : اليهير حجارة أمثالُ الكف ، ويقال : دويبة تكون فى الصحارى أعظم من الجُرَز ، الواحدة يهيرة ، قال : واختلفوا فى تقديرها ؛ فقالوا : يفْعَلّة ، وقالوا فَعْللّة ، وقالوا فَعْيَلّة» انتهى.

فحكى ثلاثة أقوال : أصالة الياءين ، أصالة الأولى ، أصالة الثانية :

والطَّلْح الموز ، وشجر من شجر العِضَاه ، و « يعوى » من عوى الكلب والذئب وابن آوى يعوى عُوَاءً : أى صاح ، وحبط — بفتح المهملة وكسر الموحدة — وصف من الحَبْط — بفتحتين — : وهو أن تأكل الماشية فتُكْثِر حتى ينتفخ لذلك بطنها ولا يخرج عنها مافيها . والنقيق : صوت الضفدع والدجاجة ، وفى العُباب « يقال : نقت الضفدع تنق — بالكسر — نقيقا : أى صاحت ، ويقال أيضا : نقت الدجاجة ، وربما قيل للهر أيضا » وأنشد هذا الرجز ومراده الضِّرَاط ، ولم يكتب ابن برى فى أماليه على الصحاح هنا شيئا ، ولم أقف على قائله ، والله تعالى أعلم

***

الامالة

أنشد فيها ـ وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد المائة ـ : [من المنسرح]

١٥٣ — * أَنَّى وَمِنْ أَيْنَ آبَكَ الطَّرَبُ *

وهو صدر ، وعجزه :

* مِنْ حَيْثُ لاَ صَبْوَةٌ وَلاَ رِيَبُ *

على أن « أَنَّى » فيه للاستفهام ، بمعنى كيف ، أو بمعنى مِنْ أَيْنَ ، والجملة المستفهم عنها محذوفة ؛ لدلالة ما بعده عليها ، والتقدير أنى آبك ، ومن أين آبك فحذف للعلم به ، واكتفى بالثانى .

وأنشده الزمخشرى فى المفصل فى غير باب الامالة على أن فيه « أَنَّى » بمعنى

كيف ، كقوله تعالى : (فَأْتُوا حَرْثَكُم أَنَّى شِئْتُمْ) قال ابن يعيش : « الشاهد فيه أنى بمعنى كيف ، ألا ترى أنه لا يحسن أن تكون بمعنى من أين ؟ لأن بعدها من أين ؛ فيكون تكريرا ، ويجوز أن تكون بمعنى من أين ، وكررت على سبيل التوكيد ، وحَسُنَ التكرار لاختلاف اللفظين ، فاعرفه » انتهى .

وأورده الزجاج فى تفسيره عند قوله تعالى : (أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ) على أن أنّى فيهما بمعنى كيف .

وآبك : جاءك وغشيك ، وهو فعل ماض من الأَوْب ، والطرب : خفة من فرح أوحزن ، والمراد الأول . والصبوة : الصِّبى ، والشوق . والرِّيَب : جمع رِيبة وهى الشبهة . يقول : كيف طربت مع كبر سِنِّك من حيث لايوجد الطرب ومواضعه ؟ الصبوة للفرح ، والرِّيَب للحزن ، وعدَّد ما يقع معه الطرب ؛ فقال :

لاَ مِنْ طِلاَبِ الْمُحَجَّبَاتِ إِذَا ... أُلْقِيَ دُونَ الْمَعَاصِرِ الْحُجُبُ

إلى أن انتهى إلى قوله : * فَاعْتَتَبَ الشوق * والعامل فى « أنى » آبك المحذوفة

والبيت مطلع قصيدة للكميت بن زيد الأسدى ، رضى الله عنه ، مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعَدَّد بعده ما يقع منه الطرب وأطال ، وذكر غيره ، فقال :

فَاعْتَتَبَ الشَّوْقُ من فؤادىَ وَالـ ... شِّعْرُ إِلَى مَنْ إِلَيْهِ مُعْتَتَبُ
إِلَى السِّرَاجِ الْمُنِيرِ أَحْمَدَ لاَ ... تَعْدِلُنِي رَغْبَةٌ وَلاَ رَهَبُ
عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ وَلَوْ رَفَعَ الـ ... نَّاسُ إِلَيَّ الْعُيُونَ وَارْتَقَبُوا
وَقِيلَ : أَفْرَطْتَ ، بَلْ قَصَدْتُ وَلو ... عَنَّفَنِي الْقَائِلُونَ أَوْ ثَلَبُوا
إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ تَضَمَّنَتِ الْـ ... أَرْضُ وَلَوْ عَابَ قَوْلِيَ الْعُيَبُ
لَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللِّسَانُ وَلَوْ ... أُكْثِرَ فِيكَ الضِّجَاجُ وَالصَّخَبُ

فى الصحاح : « الاعتتاب : الانصراف عن الشيء » وأنشد هذا البيت . وثلبه ثلباً ، إذا صَرَّح بالعيب وتنقّصه ، وفيه أيضاً : «الصَّخَبُ : الصياح والجلبة ، تقول منه : صَخِبَ ــ بالكسر ــ فهو صَخَّابٌ » . قال السيد المرتضى فى أماليه وابن رشيق فى العمدة : « وقد عيب عليه هــذا المدح ، قالوا : مَنْ هــذا الذى يقول له فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفرطت ، أو يعنفه و يثابه ويعيبه ، حتى يكثر الضِّجاج والصخب ، هذا كله خطأ منه وجهل بمواقع المدح » . وقال من احتج له : « لم يرد النبي صلى الله عليه وسلم ، و إنما أراد علياً كرم الله وجهه ، فَوَرَّى عنه بذكر النبي صلى الله عليه وسلم خوفاً من بنى أمية » . وقال السيد : « فوجّه القول إليه صلى الله عليه وسلم والمراد غيره ؛ إذ مراده و إن أكثر فى مدح أهل بيته وذريته عليــه السلام الضِّجاج والتقريع والتعنيف »

والقصيدة طويلة تزيد على مائة وثلاثين بيتاً

***

وأنشد الجاربردى هنا ــ وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد المائة ــ : [من الرجز]

١٥٤ — * بَيْنَ رِمَاحَيْ مَالِكٍ وَنَهْشَلِ *

على أنه يجوز تثنية الجمع ، لتأويله بالجماعتين

واستشهد به صاحب الكشاف عند قوله تعالى : (أُثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا) على جمع الأسباط ، مع أن مميز ماعدا العشرة لا يكون مفرداً ؛ لأن المراد بالأسباط القبيلة ، ولو قيل سِبْطًا لأوهم أن المجموع قبيلة واحدة ، فوضع (أسباطا) موضع قبيلة ، كما وضع الرماح وهو جمع رمح موضع جماعتين من الرماح ، وثنى على تأويل رماح هذه القبيلة ورماح هــذه القبيلة ؛ فالمراد لكل فرد من أفراد هــذه التثنية جماعة ، كما أن لكل فرد من أفراد هذا الجمع ــ وهو أسباط ــ قبيلة

والبيت من أرجوزة طويلة لأبى النجم العِجْلى أولها :

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الْعَلِيِّ الْأَجْلَلِ　　الْوَاسِعِ الْفَضْلِ الْوَهُوبِ الْمُجْزِلِ
أَعْطَى فَلَمْ يَبْخَلْ وَلَمْ يُبَخَّلِ　　كُومَ الذُّرَى مِنْ خَوَلِ الْمُخَوِّلِ
تَبَقَّلَتْ مِنْ أَوَّلِ التَّبَقُّلِ　　بَيْنَ رِمَاحَيْ مَالِكٍ وَنَهْشَلِ

والبُخْل : منع السائل مما يفضل ، والمبخَّل : مِنْ بَخَّله ــ بالتشديد ــ إذا نسبه إلى البخل ، وأما أبْخَله بالهمزة فمعناه وجده بخيلا ، و « كوم الذرى » مفعول أعطى ، وهو جمع كَوْمَاء ــ بالفتح والمد ــ وهى الناقة العظيمة السنام ، والذّرى بالضم : جمع ذُِرْوَة ــ بالكسر والضم ــ : أعلى السَّنام ، والخَوَلُ ــ بفتح المعجمة والواو ــ : العطية ، والمخوِّل : اسم فاعل من خوَّله تخويلا ، إذا أعطاه وملكه ، وتبقلت : رعت البَقْلَ ، وهو كل نبات يأكله الإنسان والحيوان ، وفاعل « تبقلت » ضمير كوم الذرى ، ومالك : قبيلة من هوازن ، ونهشل : قبيلة من ربيعة ، قال الاصبهانى فى الأغانى : « إنما ذكر هاتين القبيلتين لأنه كانت دماء وحروب بينهما ، فتحامى جميعهم الرعى فيما بين فَلْج والصَّمَّان ــ وهما موضعان فى طريق الحج من البصرة ــ مخافة الشر ؛ حتى كثر النبت وطال ، فجاءت بنو عجل لعزها وقوتها إلى ذَيْنِكَ الموضعين فرعته ولم تخف رماح هذين الحَيَّيْن ، ففخر به أبو النجم » . وبين : ظرف متعلق بقوله « تبقلت »

وقد تكلمنا على هذه الأبيات وأبيات أخر من هذه الأرجوزة بأبسط مما هنا مع ترجمة أبى النجم فى الشاهد الثامن والأربعين بعد المائة من شواهد شرح الكافية

تخفيف الهمزة

أنشد فيه ــ وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد المائة ــ : [من الكامل]

١٥٥ — مَا شَدَّ أَنْفُسَهُمْ وَأَعْلَمَهُمْ بِمَا
يَحْمِي الذِّمَارَ بِهِ الْكَرِيمُ الْمُسْلِمِ

على أن أصله « ما أشد أنفسهم » فحذفت الألف لضرورة الشعر ، وأنشده ابن عصفور فى كتاب الضرائر لذلك ، وقال المرادى فى شرح التسهيل : حذف الألف فى هذا البيت نادر ، وهو تعجب من شدة أنفسهم ، من شَدَّ الشىء يَشِدُّ — من باب ضربَ — شِدَّةً ، إذا قوى ، وكذا تعجب من كثرة علمهم بما ذكر ، وحَمَيْتُ الشىء من كذا — من باب رمى — إذا منعته عنه وصنته ، والذمار مفعوله ، والكريم فاعله ، والذمار ـ بكسر الذال المعجمة ـ قال صاحب الصحاح : وقولهم فلان حامى الذمار : أى إذا ذُمِّرَ غضبَ وحَمِىَ ، وفلان أمنع ذماراً من فلان ، ويقال : الذمار ماوراء الرجل مما يحق عليه أن يحميه ، وسمى ذماراً لأنه يجب على أهله التذمر له ، وهو من قولهم : ظَلَّ يتذمر على فلان ؛ إذا تنكر له وأوعده .

* * *

وأنشد بعده ـ وهو الشاهد السادس والخمسون بعد المائة ـ : [من المتقارب]

١٥٦ — أَرَيْتَ امْرَأً كُنْتُ لَمْ أَبْلُهُ
أَتَانِي فَقَالَ اتَّخِذْنِي خَلِيلاَ

على أن أصله « أرأيت » فحذفت الهمزة ، وهى عين الفعل ، والهمزة الأولى للاستفهام ، وأريت : بمعنى أخبرنى ، وفيه تجوز إطلاق الرؤية وإرادة الإخبار ؛ لأن الرؤية سبب الإخبار ، وجعل الاستفهام بمعنى الأمر بجامع الطلب ، والرؤية هنا منقولة من رؤية البصر ، ولهذا تعدت إلى مفعول واحد ، ولم أبْلُهُ — بضم اللام والهاء — من بَلاَه يَبْلُوه بَلْوًا ، إذا جربه واختبره ، والخليل : الصديق الخالص المودة ، وأراد به هنا امرأته

والبيت من أبيات لأبى الأسود الدؤلى ، روى الأصبهانى فى الأغانى ، قال :

«كان أبو الأسود يجلس إلى فناء امرأة بالبصرة ، فيتحدث اليها ، وكانت جميلة ، فقالت : يا أبا الأسود ، هل لك أن أتزوجك فانى صناع الكف حسنة التدبير قانعة بالميسور ؟ قال : نعم ، فجمع أهلها وتزوجته ، فوجدها بخلاف ماقالت ، وأسرعت فى ماله ، ومدت يدها إلى جبايته ، وأفشت سره ، فغدا على من كان حضر تزويجها ، فسألهم أن يجتمعوا عنده ، ففعلوا ؛ فقال لهم :

انخداع أبى الأسود فى امرأة تزوجها ثم طلقها

أَرَيْتَ امْرَأً كُنْتُ لَمْ أَبْلُهُ   أَتَانِي فَقَالَ : اتَّخِذْنِي خَلِيلاَ
فَخَالَلْتُهُ ثُمَّ أَكْرَمْتُهُ   فَلَمْ أَسْتَفِدْ مِنْ لَدَيْهِ فَتِيلاَ
وَأَلْفَيْتُهُ حِينَ جَرَّبْتُهُ   كَذُوبَ الْحَدِيثِ سَرُوقًا بَخِيلاَ
فَذَكَّرْتُهُ ثُمَّ عَاتَبْتُهُ   عِتَابًا رَفِيقًا وَقَوْلاً جَمِيلاَ
فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتِبٍ   وَلاَ ذَاكِرِ اللهَ إلاَّ قَلِيلاَ
أَلَسْتُ حَقِيقًا بِتَوْدِيعِهِ   وَإتْبَاعِ ذَلِكَ صُرْمًا طَوِيلاَ

فقالوا : بلى والله يا أبا الأسود ، فقال : تلك صاحبتكم ، وقد طلقتها ، وأنا أحب أن أستر ما أنكرته من أمرها ، فانصرفت معهم » انتهى

وخاللته : اتخذته خليلا ، والفتيل : الشىء الحقير ، والرفيق : من الرِّفق ، وهو ضد العُنف ، وألفيته : وجدته ، يتعدى إلى مفعولين ، ومستعتب : اسم فاعل ، وهو الراجع بالعتاب ، وحذف التنوين للضرورة من « ذاكرِ الله » ، ولفظ الجلالة منصوب ، وروى بالإضافة ، والتوديع : هنا الترك والفراق ، والصرم — بالضم — : الهجر .

وقد تكلمنا على هذه الأبيات بأبسط مما هنا فى الشاهد الثانى والأربعين بعد التسعمائة من شواهد شرح الكافية

* * *

وأنشد بعده ـ وهو الشاهد السابع والخمسون بعد المائة ـ : [من الخفيف]

١٥٧ — صَاحِ هَلْ رَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ بِرَاعٍ
رَدَّ فِي الضَّرْعِ مَا قَرَى فِي العِلَابِ

على أن أصله « هل رأيت » فحذفت الهمزة

واستشهد به صاحب الكشاف على قراءة الكسائى (أَرَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ) وروى :

* صَاحِ أَبْصَرْتَ أَوْ سَمِعْتَ بِرَاعٍ *

وعلى هذا لا شاهد فيه ، ومعناه كقول المتنبي : [من الوافر]

وَمَا مَاضِى الشَّبَابِ بِمُسْتَرَدٍّ وَمَا يَوْمٌ يَمُرُّ بِمُسْتَعَادِ

وصاح : منادى مرخم صاحب ، وهل ريت : استفهام انكارى ، ويجوز أن يكون تقريريا ، وقوله «براع» متعلق بسمعت ؛ وسمع له استعمالات أربعة ذكرناها فى شواهد شرح الكافية : منها أن يتعدى بالباء ، ومعناه الإخبار ، ويدخل على غير المسموع ، ولا يحتاج إلى مصحح من صفة ونحوه ، تقول : ماسمعت بأفضل منه ، وفى المثل : تسمع بالمعيدى خير من أن تراه ، قابله بالرؤية لأنه بمعنى الاخبار عنه المتضمن للغيبة ، وقال الشاعر [من البسيط] .

وَقَدْ سَمِعْتُ بِقَوْمٍ يُحْمَدُونَ فَلَمْ أَسْمَعْ بِمِثْلِكَ لَا حِلْمًا وَلَا جُودَا

والراعى : الذى يرعى الماشية ، ومن شأنه أن يحلبها ، ورده : رجعه ، والضَّرع لذوات الظلف كالثدى للمرأة ، والظِّلْف ـ بالكسر ـ من الشاء والبقر ونحوها كالظفر من الإنسان ، وما : مفعول رد ، وهو اسم موصول : أى اللبن الذى قراه : أى جمعه ، والعلاب ـ بكسر العين المهملة ـ جمع عُلْبة — بضمها — وهى محلب من جلد ، وقال ابن دريد فى الجمهرة : «العُلْبَة : إناء من جلد جنب بعير ، وربما كان من أديم ، والجمع علاب ، يتخذ كالعُسّ ، يحتلب فيه» وأنشد هذا البيت[1] ،

(١) قبل أن ينشد البيت قال : « أحسب هذا البيت للربيع بن ضبع الفزارى »

وروى « فى الحِلاَب » بكسر الحاء المهملة ، قال صاحب العباب : الإناء الذى يحلب فيه ، وأنشد هذا البيت لإسماعيل بن يسار النّسائى ، ونقل خَضِر الموصلى من الصحاح أنه لإسماعيل المذكور ، وهذا لا أصل له ؛ فانه لم ينشده إلا فى مادة الرؤية ، ولم ينشده إلا غفلا غير معزو ، ولهذا قال ابن برى فى أماليه عليه : هذا البيت مجهول لا يعرف قائله ، وقد أورده صاحب الأغانى فى قصيدة لإسماعيل أولها :

مَا عَلَى رَسْمِ مَنْزِلٍ بِالْجِنَابِ　　لَوْ أَبَانَ الْغَدَاةَ رَجْعَ الْجَوَابِ
غَيَّرَتْهُ الصَّبَا وَكُلُّ مُلِثٍّ　　دَائِمِ الْوَدْقِ مُكْفَهِرِّ السَّحَابِ
دَارَ هِنْدٍ وَهَلْ زَمَانِي بِهِنْدٍ　　عَائِدٌ بِالْهَوَى وَصَفْوِ الْجِنَابِ
كَالَّذِى كَانَ وَالصَّفَاءُ مَصُونٌ　　لَمْ تَشِنْهُ (١) بِهِجْرَةٍ وَاجْتِنَابِ
ذَاكَ مِنْهَا إِذْ أَنْتَ كَالْغُصْنِ غَضًّا (٢)　　وَهْيَ رُودٌ كَدُمْيَةِ الْمِحْرَابِ
غَادَةٌ تَسْتَبِى الْعُقُولَ بِثَغْرٍ (٣)　　طَيِّبِ الطَّعْمِ بَارِدِ الْأَنْيَابِ
وَأَثِيثٍ مِنْ فَوْقِ لَوْنٍ نَقِيٍّ　　كَبَيَاضِ اللُّجَيْنِ فِى الزِّرْيَابِ
فَأَقِلَّ الْمَلاَمَ فِيهَا وَأَقْصِرْ　　لَجَّ قَلْبِي مِنْ لَوْعَتِي وَاكْتِئَابِي (٤)

---

(١) فى الأغانى (حـ ٤ ص ٤١١) : « لم تشبه »
(٢) فى الأغانى « غض »
(٣) فى الأغانى « بعذب »
(٤) فى الأغانى : « من لوعة واكتئاب » وفى نسخة أخرى من الأغانى : « من سولتى واكتئابى »

صَاحِ أَبْصَرْتَ أَوْ سَمِعْتَ بِرَاعٍ
رَدَّ فِي الضَّرْعِ مَا قَرَى فِي الحِلَابِ (١)

وقال فيها يفخر عَلَى العرب بالعجم :

رُبَّ خَالٍ مُتَوَّجٍ لِي وَعَمٍّ
مَاجِدٍ المُجْتَدَى (٢) كَرِيمِ النِّصَابِ

إِنَّمَا سُمِّيَ الفَوَارِسُ بِالفُرْسِ مُضَاهَاةَ رِفْعَةِ الأَنْسَابِ

فَاتْرُكِي الفَخْرَ يَا أُمَامُ عَلَيْنَا
وَاتْرُكِي الجَوْرَ وَانْطِقِي (٣) بِالصَّوَابِ

إِذْ نُرَبِّي بَنَاتِنَا وَتَدُسُّونَ سَفَاهًا بَنَاتِكُمْ فِي التُّرَابِ

قال صاحب الأغانى : « كان إسماعيل بن يسار النِّسَائى مولى بنى تيم بن مرة تيم قريش ، وكان منقطعاً إلى ابن الزبير ، فلما أفضت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان وفد إليه مع عُرْوَة بن الزبير ، ومدحه ، ومدح الخلفاء من ولده ، وعاش عمراً طويلا إلى أن أدرك آخر سلطان بنى أمية ، ولم يدرك الدولة العباسية

سبب تسمية اسماعيل سار بالنسائى

وإنما سمى إسماعيل بن يسار النِّسَائىَّ لأن أباه كان يصنع طعام العرس ويبيعه ، فيشتريه منه من أراد التعريس [من المتجملين و] (٤) ممن لا تبلغ حاله اصطناع ذلك ، وقيل : إنما سمى به لأنه كان يبيع النَّجْد والفُرُش التى تتخذ للعرائس ، وقيل : إنما لقب به لأن أباه كان يكون عنده طعام العرسات مصلحا أبدا ، فمن طرقه وجده عنده مُعَدًّا

---

(١) فى الأغانى : « فى العلاب »

(٢) فى الأغانى : « ماجد مجتدى »

(٣) فى الأصول : « وانصفى » والصواب ما أثبتناه

(٤) الزيادة عن الأغانى (حـ ٤ ص ٤٠٨)

وروى المدائنى قال : استأذن اسماعيل على الغَمْر بن يزيد بن عبد الملك يوما فحجبه ساعة ، ثم أذن له ، فدخل يبكى ؛ فقال له : مالك تبكى ؟ قال : كيف لا أبكى وأنا على مَرْوَانيتى ومروانية أبى أحجب عنك ؟ فجعل الغَمْر يعتذر إليه ، وهو يبكى ، فما سكت حتى وصله الغَمْر بحلة لها قدر ، وخرج من عنده ، فلحقه رجل ، فقال له : أخبرنى — ويلك يا إسماعيل — أىُّ مروانية كانت لك ولأبيك ؟ قال : بُغْضُنَا إياهم ، امرأته طالق إن لم يكن يلعن مروان وآله كل يوم مكان التسبيح ، وإن لم يكن أبوه حضره الموت ، فقيل له : قل لا إله إلا الله ، فقال : لعن الله مروان ، تقربا بذلك إلى الله ، وإقامة له مقام التوحيد

مروانية ابن يسار النسائى وشعوبيته

وكان إسماعيل يكنى أبا فائد ، وكان أخواه محمد وإبراهيم شاعرين أيضا ، وهم من سبى فارس ، وكان إسماعيل شُعُوبِيًّا [1] شديد التعصب للعجم ، له شعر كثير يفخر بالأعاجم ، أنشد يوما فى مجلس فيه أشعب :

إذْ نُرَبِّى بَنَاتِنَا وتَدسُّــو نَ سَفَاهًا بَنَاتِــكُمْ فِى التُرَابِ

فقال أشعب : صدقت والله يا أبا فائد ، أراد القوم بناتهم لغير ما أردتموهن له ، قال : وما ذاك ؟ قال : دفن القوم بناتهم خوفا من العار عليهن ، وربيتموهن لتنكحوهن ، فضحك القوم حتى استغربوا ، وخجل إسماعيل ، حتى لو قدر أن يسيخ فى الأرض لفعل

ومدح إسماعيل رجلا من أهل المدينة يقال له عبد الله بن أنَس ، وكان قد لحق ببنى مروان ، وأصاب منهم خيراً ، وكان إسماعيل صديقا له فرحل إليه إلى دمشق ، فأنشده مدائح له ، ومَتّ إليه بالجوار والصداقة فلم يعطه شيئا ، فقال يهجوه [من الوافر]

---

(١) الشعوبى — بضم الشين — : الرجل الذى يحتقر أمر العرب ويصغر من شأنهم ، وهو منسوب إلى شعوب ، وهو جمع شعب ، والنسب إلى الجمع مما أجازه الكوفيون .

